

أعْرَانُ السَّطَانِ

رواية فنّة حافلة بالحوادث العجيبة

تأليف الكاتبة الانجليزية المشهورة

مارى كوريللى

تعرّب الكتاب المعروف

الأستاذ عمر عبد العزيز أمين

كُتُب أَشْعَرَ بِأَنَّهُ لَا يُسْتَحْقِقُ كُلُّ ذَلِكَ الْبُؤُسِ . . . لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَطْ خَاملاً أَوْ مُلْلَاقاً . . . بَلْ لَمْ يَدْأُجْ جَيَانِ الْعَمَلِيَّةِ مِكْرَأً حَنَّا عَنْ دَمَامَاتِ الْوَالِدِيِّ وَدَهْبَتْ تَرْوِيَةُ جَيَانِهِمْ بَلَى الْمَدَائِنِ وَمَمْبَقَ لَى شَرِّ سُورَةِ مَرْسَى الْوَالِدِيِّ الَّتِي وَفَتَ وَهِيَ نَدِينِ . . . وَمَدَّتْ مَاتَ الْوَالِدِيِّ وَلَا أَكْدَحَ فِي الْجَيَانِ . . . فِي الْيَدَانِ الَّتِي يُوَهَّنِي لَهُ تَعْلِيمُ الْحَاجِمِيِّ وَأَعْنِي بِهِ مِيدَانُ الْأَدَبِ .

طَرَقَتْ أَبْيَابُ جَيْحَنِ الْمَصْفُ في لَندَنَ فِي الْبَحْثِ عَنْ وَظَافَرِ الْمَالِيِّ بَعْضُهَا يَالْفَضْلِ وَاسْتَدْعَى بَعْضُهَا الْآخِرَ عَلَى سَبِيلِ التَّجَرِيَّةِ وَلَكِنَّهُ مُمْتَأْلِي مِنْ إِحْدَاهَا أَتْهِرَ مُمْتَنَظِّلَاً . . . وَالْوَاقِعُ أَنْ جَيْحَنَ الَّذِينَ يَخَاطِلُونَ كُسْبَ نَوْتِرِمْ مِنْ حَارَّةِ أَذْعَنْتِي وَكَارِ أَفَلَامِهِمْ فَهُنْ طَغَى، لَا يَدْأُنْ يَمْلَأُوا فِي أُولَى الْأَسْرِ مَعْماَلَةَ الْمُبَوْدِنِ . . . ذَلِكَ لَأَنْ أَهْلَأَهُمْ بِرِزْدَمْ وَسَبِيعَ الَّذِينَ يَخْتَرُونَ سَنَاعَةَ الْكَتَابِيَّةِ يَعَاوِنُونَهُمْ بِالسَّترِيَّةِ وَالْأَحْتَارِ مُكَبَّلَاهُمْ دَنْدَلِيَّا . . . أَنْ قَدْرَاً، وَعَصَارَةَ آذْعَنْتِهِمْ تَلُقُ فِي سَلَلِ الْمَهَلَاتِ بَعْنَ شَفَعَةِ . . . وَهِمْ عَلَى هَفَوْهَ . . . لَا يَمْدُونَ مِنْ السَّنَةِ أَكْثَرَ مَا يَجِدُ افْتَالُ الْمَكْوُمِ عَلَيْهِ الْإِعدَامِ . . . بَلْ أَنْ الْقَاتِلَ يَمْدُدْ طَلَانِا وَشَرَابِا وَلَنَّا . . . وَقَدْ يَتَفَقَّعُ عَلَيْهِ حَارِبُهُ فِي لِعَابِهِ الْوَرَقِ . . . أَمَّا الرَّجُلُ الْمُكَرِّرُ الْوَهُوبُ الَّذِي يَسْتَطِعُ أَنْ يَهْوَيْ أَكْسَرَ الْكَرَمِ الْمَاضِيَّةِ فِي أَسْلُوبِ يَهْسَبِهِ الْقَرَا، فَإِنَّهُ يَعْمَلُ مِنْ قِيَاصَةِ الْأَدَبِ وَأَبْلَاثِرَةِ الصَّفَافَةِ وَالْمَهِينَيِّ عَلَى النَّكَرِ أَسْوَأَ مَا يَعْمَلُ الْفَالَّالُ الْمَكْوُمُ عَلَيْهِ بِالْإِعدَامِ . . . فَنَعْمَمْ لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْتَلُ الْمَذَبُ وَالْمَافُعُ وَالْمَسَدُ وَالرَّكَلُ أَمَّا نَأْقَدَتْهُنَّتِلْ كُلُّ هَذَا وَعَشَتْ، لَا لَأَنَّهُ أَحَبُّ الْمَيَاهَ وَأَسْتَطَبَ هَذَا الْعَيْنِ دِيَاهَا لَأَنَّهُ أَحَسَّرَ الْأَسْحَارَ رَأَيَهُ جَيَانَهُ وَنَفَالَهُ . . . أَدَبَ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ كَتَ لَا أَزَلَهُ فِي رِيحِ الْمَيَاهَةِ تَحْيَيْنِ فِي نَفَسِ أَهْلِ كَلَدَ لَا يَسْهُلُ إِحْلَادُهَا، وَكَانَ بِعَالِمِي شَعُورُهُمْ بِأَنْ عَبْلَهُ الْمَطَقَدَ تَرْفَعُنِي بِوَمَا عَدَ أَنْ سَحَقَتْنِي أَهْوَاماً . . . وَمِنْ أَسْلُ ذَلِكَ احْتَمَلَ الْمَيَاهَ وَاحْتَمَلَ الشَّفَاءَ . . .

وَكَنْتُ فَدَ قَصَبَتْ سَنَةَ شَبُورِ فِي خَدْمَةِ جَيَرِهِ أَدِيرَةِ مَسْرُوفَةِ، فَسَكَانَ يَوْنَى لَى كُلِّ أَسْبُوعِ بَلَادِيَنِ فَسَهَّلَ لَأَنْتَبِلَهُ بِالْقَدَدِ، فَأَلْقَى مَهْرَهُ سَرَعَةَ هَلْسَتِ أَوْ سَيْعَهُمْ بِأَكْبَرِهِمْ شَهَابِ الْمَرِيدَةِ نَهَرَأَمْزَقَهُ فِي شَرِ بَرِقِ وَأَخْنَقَهُ خَامِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْقَدَمَاءِ لَمَسَهُمْ بِهَا . . . نَمَ أَهْلَ بَقِيَةِ الْفَصَصِ . . .

وَوَدَدَتْ سَاحِبُ الْجَرِيدَةِ يَنْظُرُ إِلَى عَسْنَمِ الْمَلِيقَةِ بِعِنْدِ الْأَرْتِيَّا عَلَى اعْتَدَارِهِ أَنَّهَا الْمَرِيقَةُ الْمَدَائِيَّةُ، فَأَفْعَلَتْ فِي يَلْيَضَاهُ، وَكَانَ يَقْدِسُ حَسَنَهُ عَشَرَ شَهَراً فِي الْأَسْبُوعِ . . . وَفِي يَوْمٍ مُسْتَوْمٍ خَطَوْلَى أَنْ أَكْتَبَ بِرَاهِنَهَا فَلَمْ تَدْخُلْتْ حَصَّةَ جَيَرِهِ الْمَدَيِّ، سَقِيَةَ الْبَلَاطِ، وَمَمْ كَنْ يَوْسِنَ إِلَيَّ أَنْ أَفْرَغَهُمْ، وَلَا أَنْ أَهْجُجَ الْكَشَ، عَلَى مَسَاجِهِ . . . وَانْفَقَ أَسْرَهُ الْحَدَّ أَنْ صَاحِبُ الْفَصَصَ كَانَ حَسَنَا قَدِيَّا لِصَاحِبِ الْجَرِيدَةِ، فَسَكَانَ التَّبَيِّنَ أَنْ حَسَنَ الْحَدَّ كَانَ الْمَنَدِيَّةَ فِي الْحَالِ .

وَكَانَ ذَلِكَ أَخْرَى عَهْدِي بِالْجَلَةِ الْمَهَادِيَّةِ الْمَطَمَّةِ، لَأَنَّهُ قَضَيْتُ بِعِدَّهِ حَسَنَةَ شَهَرٍ مُضْطَرِّبَةً وَعَشَتْ بِوَعْدَ كَثِيرَةِ تَمَرِّنِهِ تَمَرِّنَ أَنَّهَا، إِلَى أَنْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْفَلَوسُ الْبَرَوَةُ الْمَدِيَّ وَجَدَتْ وَهِيَ أَنَّهَا طَالِبَ الْوَاقِسِ أَتَسْوَرُ بِهَا . . . وَلَا أَحْسَرَ عَلَى الْمَوْدَةِ فِي مَوْنَ الْهَسَارِ إِلَى الْعَرَفَةِ التَّوَاضِعَةِ الَّتِي أَقْطَنَهَا عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْ لَلْحَفَ الْبَرَطَاعِيِّ حَتَّى لَا تَرَانِي صَاعِبَةَ الدَّارِ حَطَالِيَّ بِالْأَسْرِ الْمَدَيِّ . . .

قَضَيْتُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مُسْتَقْلَلِي بَيْنَ دُورِ الْمَصْفُ وَلَكِنَّهُ مُمْجَدٌ عَمَّا لَيْسَ، وَمَمْ كَانَ شَغَلَأَ أَطْعَمَ فِي احْتَالِهِ . . .

كَنْكَ حَارَّتْ أَنْ أَبْيَعَ أَحَدَ الْمَائِرِنِ صَهَّ كَتْ وَسَنَهَا وَأَعْلَمَ أَنَّهَا صَالِحةَ لِلْمَسَرِ . . .

مِلْكَنْ هَوَلَاءَ الْمَائِرِنِ يَسْتَهْدِمُونَ (الْقَرَا)، أَلْحَصُ الْكَتَبِ وَالْمَسَسِ وَلِبَدَاءَ رَأْهِمْ . . .

وَرَأَجَعَ الْقَرَا، عَلَى أَنْ قَصَنِيَّةَ . . .

وَعَدَتْ أَنْ هَوَلَاءَ (الْقَرَا) هُمْ أَنْقَهُمْ مِنْ كَتَبِ الْفَصَصِ وَأَنْهُمْ يَقْرَأُونَ مَوْلَفَتَهُمْ . . . أَرْقَاتْ فَرَاغِهِمْ . . . وَفِي ذَلِكَ طَبِيعَةَ مِنْ الْإِجْمَاعِ مَادِيَهُ . . . لَأَنْ هَوَلَاءَ (الْقَرَا) . . . وَمِنْ لَيَالِي الْمَسَسِ الْمَفَرُونِينِ . . . يَوْمَهُمْ بِهِ شَكَتْ أَنْ يَسْتَهْنُوا الْوَلَفَاتِ السَّخِيفَةِ، لَكِنْ تَوَلَّ مَوْلَافَهُمْ وَتَطْفُو كَيْوَهُمْ حَسَارَ الْكَتَبِ الْفَصَصِ . . . حَتَّى لَا يَهْمِمْ مَرْعَاهُمْ وَنَطَقَنِي عَلَيْهَا . . .

وَمِمَّا يَكُنْ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَسَنَةِ الَّتِي اغْتَرَّهُمْ بِالْمَائِرِنِ، فَهَا قَصَتْ هُنَى وَعَلَى غَارِ دَهْنِ الْجَلِلِ وَنَيَّلِي الرَّتَنِ فَأَخْذَهُمْ الشَّفَقَةِ . . .

فَلَكِيَّ: يَقْسِنِي جَهَا أَنْ أَرْفَعَهُمْ . . . وَلَكِنْ جَمِيعَ (الْقَرَا) الَّذِينَ تَصْنَعُوهُمْ جَمِعوا عَلَى أَنَّهَا لِلْأَصْلَحِ لِلْمَسَرِ . . . وَفَدَ فَهَمْتْ حَمَادَكِروهُ عَهَا أَنَّكَتْ فِيَهَا قَابِسَا عَلَى

المجتمع .. و كنت شديدة في حملاتك .. لادعاء في سخرتك .. ولكن ما هكذا تكون الكتابة .. لأن أعضاء الهيئة الاجتماعية التي توجه إليها النقد هم الذين يتعاونون على الكتب .. فصحيحة لك إذن أن تتجنب هذا النوع من الكتابة .. وأن تحاول وضع قصة جريئة .. وجريئة جداً إذا امتنعت .. فان هذه الفحص هي التي تجده الرواج والابال في هذا الزمن ..

قلت له بلهجة الشعب للكلود : عفواً .. ولكن هل أنت واثق من صدق حكمك على ذوق الجمهور ؟ !
فأرنيت على شفتيه ابتسامة عريضة . فهمت منها أن الرجل يران سادجاً إلى أبعد حدود السذاجة ..

قال : أنا واثق طبعاً .. فإن من واجبي ومن طبيعة عملِي أن أسر غور الشعور العام .
وأن أعرف ذوق الجمهور كما أعرف عشوائيات جيبي .

اصبح إلى .. أنني لا أتجه على الكتابة في موضوع مبتدىء من النوع الذي يحمل له وجه الرأة الحديثة (وابتسم) .. ولكن أحب أن أوَّلَ ذلك أن الأدب الرفيع لم يعد يجد له قراء في هذا الزمن ، والنقاد هم أول من يحمل على هذا النوع من الأدب ، والكتب المحبوبة من النقاد والجمهور على حد سواء هي التي تكتب بالأسلوب الطبيعي الذي لا تكفي فيه .. أعني الأسلوب الذي يكتب به الصحافيون ، أما الكتابة الشكسيرية فلارجاء فيها ..

قلت وأنا أبتسم ابتسامة معقصة :
إذا صبح ما تقول وجوب على أن أحطم القلم وأبحث لنفسي عن صناعة أخرى لأنني من الطراز القديم الذي يرى الأدب أisci الحرف .. ولا يرضى أن يضع يده في يد من يعمل على امتهانه .

فنظر إلى من طرق عينه نظرة استهجان وقال :
ـ الواقع إنك غريب الأطوار . وسوف تغير التجارب أطوارك وآرائك ..

والآن .. هل لك في أن تتناول الطعام معى ؟
ولكنى رفضت الدعوة في الحال . فقد شعرت أن الرجل أيس سو محلى وأخذته

الشفقة في .. ولكن الكبريات - الكبريات الكاذبة إذا شئت - خفت إلى بعدنى ..
أودعها وانصرف مسرعاً .. متابعاً القصة المرفوضة

عدت أدراجي قاسداً إلى غرفتي . وفيما كنت أرق السلم بروزت صاحبة الدار ..
وسألتني عمّا إذا كنت (أُتكرِّم) بدفع إيجار الشهر الماضي في اليوم التالي .

كانت تتكلم بأدب .. ونبينت في لهجتها العطف والتrepid . فآلتني عطفها كما آلتني من قبل دعوة الناشر لتناول الطعام معه .. بل إنني شعرت بكبريائى تحدش لمرة الثانية في أقل من ساعة اصطدمت الاطمئنان في الحال وقت لما بعراة إبني سأدفع لها الإيجار التأخير في اليوم التالي في أية ساعة تحددها .

ومن تكن عندي وقند أبة فكرة عن الطريقة التي أستطيع بها الحصول على
البلع للطلوب .

ولتكن لم أكدر أفكها وأصل إلى غرفتي .. حتى أغلقت الباب وتهالكت على أحد القاعدين . وانفجرت أثثم وأصحاب .

لم أكن قد بللت بعد تلك المرة من الصعف التي لا يستطيع معها الإنسان إلا أن يسكي ويستصرخ ولكن خيل لي وقند أن الشتم هو السبيل الوحيد للتوفيق عن وقد شعرت فعلاً من الراحة بعد ذلك بعث ما تشعر به المرأة بعد أن تسيل شجونها دموعاً .
امتنولي على يأس شديد لاموسي في اللام .. ومررت في لحظة كدت فيها يغير شك

موضع زراع عنيف بين ملاذات الحير وأيالسة الشر ، فاني على ما أعلم لم أخلد إلى الراحة والتحول .. بل سعيت بقدر ما أستطيع فالحظى المجتمع . وحرست على أن أكون أميناً فلم أر يدمن ذلك نفعاً . في حين أجد كثرين من اللثام والأشرار استطاعوا أن يجمعوا ثروات

ثلاثة .. ولذا خيل لي أن الأمانة سياسة غير مجده .. ولكن كيف السبيل إلى انتزاعها من نفس جبلى عليها . وكيفه أستطيع استئثار الشر لتفع الشخصية . بل كيف أستطيع أن أخلق من الشر خبراً .

أخذت أُتكرِّم في ذلك إذا صحي أن أهي ماترامى لم وقند من الحالات والأوهام تفكيراً .

كان الليل شديد البرودة ، فشعرت بالدم يجف في جسبي . وبأسابيع تتشنج يده

وتبجله . فرأيت أن أدقق ، يدي بوضعيها حول مصباح الزيت الذي تكررت صاجة الدار بوضعه في غرفتي على الرغم من تأخرى في دفع الإيجار .
فلا اقتربت من اللائدة رأيت عليها إلى جانب المصباح ثلاثة رسائل إحداها في غلاف طويل يدعى إلى الظن بأنه يتضمن رقعة دعوة أو مقالاً مرفوضاً . ورأيت على الثانية خاتم برييد (ملبورن) . أما الثالثة فكانت رسالة مربعة الشكل مخمة عليهما من الخلف دسم تاج منقوش بالذهب .. قلبت الرسائل الثلاث بأصابعى يقلة أكتناث ، ثم تأولت الرسالة التي تحمل طابع برييد (ملبورن) باستراليا .. وزرتها بأصابعى قبل أن أفضها كنت أعرف من الذي أرسلها ، ولكن لا أعرف أى بها تتضمن .. وتذكريت أنى كتبت منذ شهور رسالة جعلت منها سجلاً لمناعي وأحزاني .. وبسطت فيها حالي وضيق ذات يدى .. والذبون التي بدأت تتراءى على .. ثم بعثت بها إلى صديق قدسم من زملائى في الجامعة ضاقت انجلترا عن أن تسع آماله وأحلامه فرحاً إلى استراليا للعمل في مناجم الذهب ، وكانت أعلم أنه جمع ثروته واحتل لنفسه مكانة لا يأس بها .. خازفت وسألته أن يترشنى حسنين جنها .

ولا شك أن هذه الرسالة تضمنت رده .. ولذلك ترددت طويلاً قبل أن أفتحها ..
وقلت أحدث نفسي بصوت مسموع :
— لا شك أننى سأجد فيها رضاً .. لأن الصديق وان برهن على صداقته وإخلاصه في بعض النسبات ، إلا أنه غالباً ما ينسى اعتبارات الصدقة إذا وجده إليه طلب له ماس ..
يعبه قبلتس الأعذار ويعبر عن أسفه الشديد ويلعن التجارة والظروف السيئة .. وبعد
ما أن يخف إلى النجدة حلاً تحسن الأحوال .

ذلك ما أعرفه عن الأصدقاء ولم يكن عنة ما يحملنى على الاعتقاد بأن صديق صبائى يختلف عنهم .. ومع ذلك فأية دالة لي عليه غير ذكرى أيام دراسته في أكسفورد ..
حتى يجوز لي أن أطمع من مساعدته في أكثر مما يبذل لانسان من الطريق أن يتلمس معونته .. وأغنى الاعذار وابداء الأسف .. وبذل الوعود !!
وأنقلت مني آهه عميقه .. وغضبت عني سحابة .
تذكريت أيام المداواة .. وحدائق الجامعة القديمة العزبة .. حيث كنت أسرى مع

صدقى كاتب تلك الرسامة .. وحيث كنا نتجاذب من ضروب الأحاديث ما يتجاد به عادة الشباب السعيد ذو الأمل العريض والأحلام الوردية .. وندكىت وصديقى هنا نعتقد .. في ذلك المعهد أننا عبقران موهوبان واننا سوف نستحدث في العالم اصلاحات نكتبها شهرة عالمية ..

وكنت وإياه نمشق الأدب القديم .. ونعشق شعر هوميروس وتصور أننا خلقنا من نفس العصر الذى صنع منه الفيلسوف الأغريق أبطاله يد أن دخولنا للضياع الاجتماعى ما لبث أن جردننا من غرورنا . وأفهمنا أننا جزء من وحدة كبيرة لا يسمى التفوق على سائر أجزائها وما لبثت الحياة اليومية الطاحنة أن أرغمتنا على نسيان هوميروس وفلسفة هوميروس .. وما أبطأنا أن وجدنا المجتمع نهمه الفضائح العصرية ! كثُرَّ ما تهمه مآسى (روفريكيس) وحكم (أفلاطون) كان من الغباء حقاً أن نتوم أن قيام دورنا القيام بدور المصلحين في هذا العالم الذى فشل فيه فلاسفة الأجيال التالية وحكاؤها .

كان خمو المصباح رديئاً ففضيت في إصلاحه يمني وقت قبل أن أقرأ رسالة صديق وحالل هذا الوقت كنرى أربع أنقام كنجه يعزفها بضمهم في الغرفة المجاورة .. كانت أقماماً هادئة شجنة .. فأصعدت إليها بانتباه .. وشعرت أنها أخذت في خسى تأثيراً غفلت معه عن عوبل وعنى الجائعة ..

ترى أسعيد ذلك الذى يخرج هذه الأقمام السعيدة ؟ أم هو مثلى يزيد تغذية نفسه ألحاناً بعد أن عجز عن أن يعذى جسمه بالطعم

وزرى هل هو عازف صعلوك من العازفين في الشوارع والطرقات أرادت الأقدار أن تجمع بيني وبينه في صعيد واحد أم هو موسى يقارن به يرجو في أحد الأيام أن يعزف بسمع من الملائكة !

وأخذت الأقمام تضعف وتتضائل حتى طغى عليها تغير قطع الناج على زجاج النوافذ . وهي غاب أنينها في طيات العوبيل الذى أرسلته الريح من شفوق النافذ . وعندئذ شعرت ببرد قارص كالموت .. وارتجفت أعضائي .. تأولت رسالة صديق .. وفضضتها .

فسقط منها تحويل مالى ببلغ خمسين جنيهها يدفع لحامله فى أحد مصارف لندن المركزية
وتب قلبى بين صنوعى وثانية فرح وشكر واعتراف بالجليل
وهتفت على الرغم منى :

— عفوأ يا صديق .. نقدر قصوت عليك حين اهتمتك بالحجود والنسوان ..
وقد تأثرت فعلاً لهذا الكرم وشرعت توأ فى قراءة الرسالة ..
لم تسكن مطولة .. وكل الدلائل تدل على أنها كانت بسرعة ..
قرأت فيها : عزيزى جيوفرى ..

« يوسفى كثيراً أن أسمع عن سوء حظك . وأن أعلم من ذلك أنه لا زوال توجد
في لندن فإنه كبيرة من الأغنياء، تستطيع القبور والبروز في حين أن رجاله مثل
مقدراتك ومواهبك لا يتستطيع أن يجد في ميدان الأدب المكانة التي تؤهلها لها مقاومته .
» تحد رفق هذا مبلغ الخمسين جنيهها الذي سألكيه . فلا تسرع في رده .. لكن
أعلم أنى قدمت لك خدمة أجل .. هي عبارة عن صديق صدوق أفادته إليك خطاب
نوبية .. وضيقتك أن تضع ثمار قرائك وعصراته ذهنك ومؤلفاتك بين يديه
فيما وفاك على استغفارها . لأنه يعرف السكتيرين من العظام والكتيراء وهو اتصال بمحمد
 أصحاب الصحف والناشرين .. وهو رجل عب للإنسانية . يميل إلى معانقة رجال
الدين . وهو ميل أعلم أنك متوجه غربياً وشاداً .. ولذلك أوضح لي سببه في أحد
ال أيام إذ قال إنه غنى واسع الثراء . وإنه لا يعرف كيف ينفق ثروته وأن رجال الدين
المختربين الورقين هم في العادة خير من يرشدك إلى أفضل طرق الإغراق .. وهو يشعر
في أعماقه بسرور لا يوصف حين يجد أن في مقدوره استغلال فوذه وأمواله لخدمة
آخرين . وإدخال السرور على نفوس المهزونين . وقد أدعاني على مأذق دقيق فترأنى
أدين له بالشكراً وأشعر نحوه بالوفاء والإعتراف بالجليل

« إنى حدثته عنك . وعن نشاطك ومواهبك فوعدنى أن يساعدك بنفوذ العظيم
ويمارواه الطائفة

هو رجل قوى النفوذ .. عظيم السلطان وفي مقدوره أن يفعل ما يريد . وذلك
طبيعي فانت نعلم كما نعلم جميعاً ما للحال من قوة في كل ناحية من نواحي الحياة . وهذا الرجل

تلك أموالاً لا يجدو أن لها نهاية .. فاستعره .. فهو مستعد وناصح للاستئثار . تم اكتب
لى بعد ذلك وأخرى عن الجلو الذى يسود العلاقة بينكما .. ولا تحاول أن ترد إلى هذا
المبلغ حتى تومن بأنك استطاعت مقاومة العاصفة .

الخلامن : بوفار

ومع أن عينك كانتا محضتين يدعوان السائر والانفعال فانك لم تأتاك من القهقهة
حيث وقع بصري على ذلك التوقع .
ذلك لأن (بوفار) ليس اسمه .. ولكنها كلمة أطلقناها عليه في المدرسة على سبيل
السعاية . جرت عليه عند أصدقائه بجرى الأسماء .. في حين أن اسمه الحقيقي هو
جون كريجتون .

طويت الرسالة والتحويل . وفكرت قليلاً في أمر الرجل الآخر الذى يملك من
المال قدرًا لا نهاية له .. والذى لا يعرف كيف ينفق هذا المال ولا كيف يستفاده . ثم
تحولت إلى الرسائلتين الآخرين وقد سرى على كثيراً .. وشعرت كأن عملاً ثقيلاً زال
عن صدرى فقد بات في مقدوري مهما حدث أن أدفع إيجار القرفة كما وعدت صاحبة
الشار .. كما أصبح في مقدوري أن أبتاع علماً ملأ به معدى وأن أشعل ناراً أصطب
في دفتها وحرارتها ..

ورأيت قبل اليد ، في عملية الاتفاق أن أفرأ الرسائلتين .. فتاوات الرسالة ذات
النافذ الأزرق الكبير التي تلقى في روح الناظر أنها إنذار بالتخاذل الاجرامات
القانونية .. وفضضتها وأقيمت عليها نظرة سريعة .. ثم جدت أحصانى .. ما هذا ١٩
رقصت الحروف أمام عييف .. ووحدتى على الرغم منى .. وبغير أن أشعر ... أفرأ
الرسالة لمرة الثانية والثالثة والرابعة ولا أكاد أفقه منها حرفاً وبخلاف بدأت أحهم ..
كلا .. كلا .. مستحيل أن يكون الحظ عبئنا إلى هذا الحد .

لا بد أن في الأمر دعابة .. ودعابة خبيثة جريئة .

بل دعابة متفنة إلى أبعد حدود الانفاس .. وكيف لا تكون متفنة وهي مقرونة
اسم القانون ..

ألا عق الأندرار العجيبة التي تبعث عصائر البشر إنها ل رسالة مدهنة تکاد عبئها
أن تكون صححة لا يهدى إليها الشك من سيل ..

الفصل الثاني — صاحب الملايين

فوقت أوكاري بقدر ما أستطيع ... وأخذت من جديد أتلوا الرسالة كلة فكملت.
فلم أزدد إلا دهشة وعجبًا .

ترى هل استولى على خبل ؟ أم ان هذا عارض من أعراض الحمى ؟ أو ان النا
العجيب الذي أنلأه حقيق لا زيف فيه ؟ !
لأن هذا النبا إذا صح ... يا إلهي .

ودار رأسى لم يبرد التفكير في أن النبا قد يكون صحيحاً ... وبذلك جهزى حتى
لا أسقط بتأثير الدوار الذي استولى على ...

إذا صح هذا الخبر ... دانت لى الدنيا بما فيها ... وصرت ملائكة بعد أن كنت
سائلة سلوكاً ... وأصبح في مقدوري أن أفعل ما أشاء عند ما أريد ... كانت الرسالة
تحمل اسم شركة مشهورة من شركات الخامين في لندن وقد جاء بها في لفاظ مخatarة .
وبأسلوب واضح حاسم .. ان قريباً بعيداً من أفراده والذي توفي في أمريكا الجنوبيه ..
وأنه ترك لي جميع ثروته .

لم أكن قد سمعت كثيراً عن ذلك القريب ... ولكنني تذكرت بعض الشيء مما
كان يقال عنه في أيام طفولتي .
وحا، في الرسالة بعد ذلك :

« ... هنا وقدر الثروة بما يربى على حسنة ملايين من الجنيهات ... ومن دواعي
سرورنا أن تذكرموا بالمرور بمكتبتنا في الوقت الذي يلائكم وفي أي يوم من أيام هذا
الأسبوع إذا كان ذلك في الامكان ... وذلك لترتيب الاجراءات القانونية للتنمية
في مثل هذه الحالة .

« والشطر الأكبر من الميراث موعده نقداً في خزانة بنك إنجلترا ... وباقي الميراث
عبارة عن ممتلكات مضمونة من الحكومة الفرنسية ... ونحن نؤثر التفاصيل معكم في
سد هذه الثروة شخصياً بدلاً من المراسلات ... ونأمل أن تذكرموا بزيارة مكتبتنا
خلال هذا الأسبوع بلا توان .
ونفضلوا ... اخـ

حسنة ملايين ١١١

أنا المسؤول الفقير الوحيد البائس الذي لفظه آخر الصحف ... أنا أحب صاحب
حسنـة ملايين من الجنيهات الانجليزية ١١
حاولت أن أفهم ... وأن أصدق هذه الحقيقة التي لا تفهم ولا تصدق - لأنها
كانت حقيقة لا شك فيها - ولكنني لم أستطع إلى ذلك سبيلاً .
خيـل إلى أن كل هذا الذي قرأت وتصورت ... لم يكن إلا هذيان حـمى ومن
تأثير الجوـع والـحاجـة إلىـ الغذـاء .
أخذـت الـطرفـ حولـ فيـ الغـرـفةـ ... وتأمـلتـ الأمـاتـ الحـقـيرـ ... ولـمـ قـدـ الـدـيـ حـمدـتـ
نـارـهـ ، وـلـمـ بـصـاحـ الـدـيـ لـاـ يـكـادـ يـفـيـهـ حـولـ نـفـسـهـ ، وـلـفـراـشـ الـواـطـىـ الـقـنـدرـ ،
وـغـيرـ هـذـاـ وـذـاكـ مـنـ دـلـالـ الـفـاقـةـ الـقـيـ لـيـسـ بـعـدـهاـ فـاقـةـ . وـقارـنـ بـعـنـ الـخـيـالـ بـعـنـ هـذـاـ
الـحـوـالـيـشـ الـدـيـ أـعـيـشـ فـيـهـ ، وـبـيـنـ النـعـمـ الـقـيـ توـفـرـهـاـ لـلـمـلاـيـنـ الـخـيـرـ ، فـازـدادـ
اعـتقـادـيـ بـأـنـ فـيـ الـأـمـرـ دـعـابـةـ قـاسـيـةـ ، بلـ وـبـيـنـ سـخـريـةـ لـمـ أـمـعـنـ عـنـ مـثـلـهاـ طـولـ حـيـاتـيـ .
وـتـجـرـيـتـ مـنـ قـهـقـهـةـ مـرـتفـعـةـ ..

هـنـتـ قـائـلاـ : مـنـ الـدـيـ يـتصـورـ هـذـاـ . مـنـ الـدـيـ يـتصـورـ أـنـ بـعـالـفـيـ الـظـفـرـ فيـ هـذـهـ
الـقـلـوفـ الـعـجـيـبـ مـنـ دـوـنـ الـبـشـرـ أـجـمـعـينـ ١١ يـاـ اللهـ .. لـوـ صـحـ هـذـاـ الـدـيـ قـرـأـتـ فـيـ الرـسـالـةـ
لـمـلـاتـ (ـالـخـتـمـ)ـ يـدـورـ فـيـ كـنـيـ كـانـ نـدـورـ (ـالـنـحلـ)ـ فـيـ كـفـ الصـيـ ..
ضـحـكـتـ .. وـأـمـعـنـتـ فـيـ الضـحـكـ .. كـانـ كـنـ أـشـمـ وـأـمـعـنـ فـيـ الشـمـ مـنـذـ دـقـائقـ ..
وـدـلـكـ لـنـفـسـ الـغـرـشـ ، أـىـ لـأـرـفـهـ قـلـيـاـنـ عـنـ نـفـسـ ..
وـضـمـتـ بـعـضـهـ بـخـاـبـ صـحـكـتـ بـعـضـهـ .. خـصـتـ خـافـ .. وـأـرـهـفتـ أـذـنـ .. كـانـ الـطـرـ
يـهـ مـدـارـاـ فيـ الـخـارـجـ .. وـالـرـيحـ تـنـ وـتـنـاـرـهـ وـبـارـيـ الـموـسـيقـ يـمـيـثـ بـكـنـجـتـهـ ..
دـلـكـ كـلـ مـاـ سـمـعـ .. فـيـ تـلـكـ الـلـاحـظـ .. وـلـكـنـ أـوـكـدـ أـنـيـ سـمـعـتـ قـبـلـ دـلـكـ صـحـكـ ..
صـحـكـ مـرـتـدـعـ طـرـوـبـاـ كـانـهـ صـادـرـةـ مـنـ شـخـصـ وـرـأـيـ ..
رـفـعـ ذـبـالـ الـصـبـاحـ وـفـلـتـ أـلـهـمـنـ نـفـسـ :
ـ لـاـ بـدـ أـنـيـ كـنـتـ وـاـهـاـ ، وـأـنـ هـذـهـ الضـحـكـةـ لـمـ يـكـنـ لـهـ وـجـودـ إـلـاـ فـيـ مـيـانـيـ
الـضـطـرـبةـ .. وـلـيـسـ عـجـيـاـ أـنـ تـضـطـرـبـ مـخـلـقـ ، وـتـضـطـرـبـ أـعـصـافـ ..

ووجشت في نفسي للطامع وامتلأت رأسى باخيالات الجباره وكنت بين الفينة والفينية أسع أنقام الكنجهة في الغرفة المجاورة . أورين الربيع في منافذ غرفتي .. وكان ينبعث من مزيج الأنعام والأبين ما يشبه تأوهات الألم الشديد أو صيحات الرأة المستهترة وخأة تذكرت أنها لم أقرأ رسالة الثالثة التي رأيت على غلافها صورة قاج مذهب . تناولتها .. وقلبتها بين أصابعى بشيء كثير من الاحجام ثم فضلت غلافها السبك وأخرجت منه بطاقة سبكة كذلك وقرأت بها هذه الكلمات وكانت مكتوبة بعنابة ودقة :

« سيدى العزيز :

وكاب هذه الرسالة يحمل اليك خطابا من زميل مباليست جون كاربنتون الذى يقيم الآن بـ (ملبورن) باستراليا . والدى تفضل فيكتور بخطابه من أن أصل بـ حـل مثلـك موهوب طـول البـاع فى صـنـاعـة الـكـنـجـة . وعلـه فـسـمـرـيـكـ هـذـا المـسـاءـ فيما بين الثـامـنةـ والتـاسـعةـ .. وكل رـجـائـيـ أنـ أـجـدـكـ فـيـ دـارـكـ ، وـرـفـقـ هـذـا بـطاـقةـ تـحـمـلـ اسمـ وـدـمـتـ المـخلـصـ .

لوسيو ريمانز



وسقطت البطاقة التي ورد ذكرها في الرسالة فتناولتها ورأيت عليها رسم ثاج وتحته هذه الكلمات :

« البرنس لوسيو ريمانز »

وفؤت في أسفل البطاقة هذا العنوان : « بالفندق الكبير » مكتوبا بخط دقيق يدل على المنوية وسلامة المترقب .

قرأت رسالة مرة أخرى .

كانت مكتوبة بلغة سهلة مقتضبة وليس أسلوبها مما يلفت النظر ، ومع ذلك فقد خيل لي أنها حافلة بمعانٍ كثيرة خفية ، ولا أعلم لماذا خيل إلى ذلك

نم إن شيئاً لا أدرى كنهه جعلني أطيل النظر في الخط الدقيق الذي كتبته به الرسالة ، وشعرت بأن صاحب هذا الخط يجب أن يكون انساناً كاملاً أستطيع الاعتماد على صدقاته وإخلاصه .

ولاحت مني التفاتة إلى رسالة صديق (بوفاز) . وإلى الحوالات المالية التي كنت آخبلها منذ ذلك نعمة من أعظم النعم ..

فلت : متكون دهشتك عظيمة يا صاحي حين ترى تفودك ترد اليك بهذه السرعة مرفة عثثها على سيد الاعتراف بكرمات وسخائه .. أما صديقك الذي المـ لـ لـ اـ سـ اـ نـ ءـ ، وأـ كـ بـ الـ ظـ ظـ دـ مـ ثـ الـ خـ لـ قـ طـ بـ الـ قـ لـ بـ .. أما صديقك هـذـا فـلنـ يـضـطـرـ إـلـيـ مـسـاعـدـيـكـ يـمـالـهـ وـقـوـدـهـ ، لأنـيـ لـأـحـتـاجـ بـعـدـ الآـنـ إـلـيـ إـرـشـادـهـ وـسـمـاـهـ ، ولـأـنـيـ أـسـطـيعـ منـ الآـنـ أـنـ أـبـتـاعـ الـأـلـقـابـ وـالـمـرـاكـزـ وـالـصـدـاقـةـ ،

والـحـبـ ، فـهـذـهـ كـلـاـهـ كـلـاـهـ تـبـاعـ فـيـ هـذـاـ الـعـصـرـ (ـالـجـارـىـ)ـ الـبـدـيـعـ . وـهـيـ كـلـاـهـ مـنـ نـصـيبـ الـقـادـرـيـنـ عـلـىـ دـفـعـ ثـنـاهـ .. وـقـمـاـ إـنـ صـدـيقـكـ الـغـنـىـ لـقـتـدـرـ سـيـجـدـ فـسـهـ أـضـعـفـ مـنـ قـدـرـةـ ، وـأـقـلـ ثـفـوـدـ ، وـهـوـ مـهـمـاـ يـلـغـ مـنـ الـغـنـىـ وـالـتـرـوـةـ فـلـنـ يـكـوـنـ صـاحـبـ خـسـةـ مـلـاـيـنـ مـثـلـ

وـالـآنـ .. يـحـبـ أـنـ أـمـلـاـ بـعـدـ يـاـ أـشـهـىـ مـنـ طـعـامـ وـشـرـابـ .. فـيـ مـقـدـورـيـ أـنـ

أـبـتـاعـ مـاـ أـرـيدـ (ـعـلـىـ الـحـسـابـ)ـ حـقـ أـضـعـ يـدـيـ عـلـىـ ثـوـرـ الطـائـةـ . ثـمـ إـنـيـ لـأـرـىـ بـعـدـ الآـنـ ضـرـورـةـ لـلـبـقاءـ فـيـ هـذـاـ الـجـعـرـ الـقـنـوـ .. فـيـجـبـ أـنـ أـغـادـرـهـ فـيـ الـحـالـ ، وـأـنـ أـقـمـ فـيـ أـفـخـرـ فـنـدـقـ بـالـمـدـيـنـةـ .

وـتـأـبـتـ لـخـرـوجـ فـيـ الـحـالـ بـدـافـعـ الـفـورـةـ الـوـقـيـةـ ، وـعـنـدـئـذـ عـصـفـتـ الـرـبـعـ فـيـ مـدـخـنـةـ

الـلـوـقـدـ فـامـتـلـأـتـ غـرـفـيـ (ـالـهـبـابـ)ـ وـخـلـعـتـ ثـوـبـاـ مـوـدـعـ عـلـىـ قـصـقـيـ الـقـبـيـتـاـ عـلـىـ الـأـرـضـ

وـتـسـيـتـهاـ بـعـدـ عـوـدـقـ ..

تناولت القصة بسرعة وأزلت عنها طبقة (ـالـهـبـابـ)ـ . وـتـسـاـلتـ وـأـنـاـ أـفـعـلـ ذـلـكـ :

تـرـىـ مـاـذـاـ يـكـوـنـ مـصـيـرـ هـذـهـ الـقـصـةـ الآـنـ بـعـدـ أـنـ صـارـ فـيـ مـقـدـورـيـ أـنـ أـطـبـعـهاـ عـلـىـ

نـفـقـيـ بـلـ وـأـنـ أـعـلـنـ عـنـهـ بـكـلـ وـسـائـلـ الـاعـلـانـ وـأـبـتـاعـ الـأـلـقـابـ لـتـقـرـيـظـهاـ وـالـاشـادـةـ بـهـاـ !

ابـتـسـمـتـ حـيـنـ تـسـوـرـتـ كـيـفـ أـسـطـيعـ الآـنـ أـنـ أـنـقـمـ مـنـ أـوـلـكـ الـدـيـنـ اـحـتـرـوـنـيـ

واـحـقـرـواـ عـمـلـ ، وـكـيـفـ أـنـهـ يـسـطـعـونـ إـلـيـ إـحـيـاءـ رـوـسـهـمـ آـمـاـيـ ..

نعم .. سـوـفـ تـسـعـيـ أـمـاـيـ الـهـمـامـاتـ الـعـلـيـةـ وـالـرـوـسـ الشـامـةـ .. بـلـ يـحـبـ أـنـ أـرـعـهاـ

عـلـىـ الـأـخـيـاءـ لـأـنـ الـمـالـ يـتـلـعـبـ دـاعـاـمـاـ عـلـىـ كـلـ ثـيـءـ وـلـاـ يـخـفـ إـلـاـ إـذـاـ اـتـقـرـ صـاحـبـهـ الـمـقـلـ

فـاـذـاـ اـجـتـمـعـ لـاـنـسـانـ مـنـ الـمـالـ وـالـعـقـلـ مـاـ اـجـتـمـعـ لـيـ ، سـهـلـ عـلـيـهـ أـنـ يـرـزـلـ الـعـالـمـ .

واستمرت الريح تأثر في الخارج والسمكة تتنفس في الغرفة المجاورة ، وتحيل إلى من مزدوج هذا الأنثى وذاك الزئير أن روح موسيقار متألم يطوف بجوار الغرفة .. نورت أقصيابي فجأة . وشبه لي أن تغير قطرات المطر على زجاج النوافذ هي خطوات جاموس خفي يرقب حركاتي وسكنائي ويحسب على تنفساتي ، وحل في قلبي حزن مهيم طرد منه سروري بذلك التروء الطارئة .

ثم استولى على - فجأة كذلك - شعور بالحigel العميق .. الحigel من أن يأتي ذلك الرئيس الواسع التروء العظيم التفود ليزورني - أنا المليونير - في تلك المغاربة الحقيقة التي أعيش فيها .

نعم ... ثارت في نفسي - وإن لم أكن قد حصلت على ملاييني - تلك الرغبة الشائعة في إنسكار الفقر . وخطر لي أن أزعم أمام الرئيس أنني استفيراً معدماً ، وأني فقط أغنى صيفاً وقتياً ..

ولو كنت أملك في ذلك الوقت سيدة بنات . لأرسلت إلى زائرى المتضرر برقة اعتذر إليه فيها عن مقابلته وأدعوه إلى تأجيل زيارته . ولكن للأسف لم أكن أملك ذلك المبلغ التافه .

قلت بصوت مرتفع كأنني أحدث أثاث الغرفة الحقيقة وأصداء الروحة :

«ولكن مهما يكن من أمر فلن أقابله الليلة . سأغادر غرفتي ولا أترك له رسالة حتى إذا جاء دخل في روعه أنني لم أتلزم رسالته على الأطلاق وفي مقدوري بعد ذلك وبعد أن توفر لي روبي أسباب النعمة والظاهر التي يجب أن تحف بصاحب خمسة ملايين أن أبعث إليه أدعيوه لزيارته . أملأ الآن قلبي أيسراً من تحبب هذا الحسن النبيل . وإن أقول ذلك إذا بذلة المصباح تضطرب ... ثم إذا بالتور ينطفئ ، ويتذكرني في ظلام دامس .

ضربت الأرض بقدمي غيظاً وحنقاً ... وشرعت أبحث عن الكتاب (الكتيريت) أو عن قبقي وردائي ... وكانت لا أزال أبحث على غير جدوى حين سمعت في الخارج وقع حواجز جيداً تندو ثم توقف في الشارع أمام المنزل ... وقفزت في مكان في الظلام الدامس وأرهقت أذني ... سمعت جلبة في فناء الدار ثم وصل إلى أذني صوت صاحبة البيت يختلط صوت رجل .

وأعقب ذلك صعود أقدام ثابتة وزينة على درجات السلالم .
غمضت عيناه :

- يا للشيطان ... كأنتا سوء الحظ يأتي أن يفارقني ... ها هو الرجل الذي أردت أن آتني مقابله في الوقت الحاضر مهمأ كلفني ذلك .

الفصل إكلاش - الرئيس لوسيو رينان

فتح الباب ... ورأيت رغم الظلام هيكل طويلاً متصلباً على العتبة ..
ولازلت أذكر حق الآن التأثير العجيب الذي تركته في نفسي رؤية ذلك الهيكل العلائق ... فقد وقع منظره في الظلام في نفسي موقعاً كدت معه لا أفق ، كات صاحبة الدار حين قالت : رجل يريد مقابلتك يا صديقي .

ولكنني شعرت جيداً كلامها بعد ذلك حين قالت : لا يوجد ضوء ..
ثم حين وجهت كلامها إلى الزائر وقالت : أخشى ألا يكون مستر نيمبت في غرفته يا صديقي ... ولكنني أوكد لك مع ذلك أنني رأيته يدخل منذ نصف ساعة ... ، تفضل ، الانتظار لحظة حتى أبحث عن مصباح وأرى إذا كان قد ترك رسالة على طاولته .

وسمعت وقع أقدام صاحبة الدار وهي تهرب ...
ومع أنني أعلم أنه كان من واجبي وتنبأ أن أتكلم ... إلا أن شيئاً عجيباً من الخبر حجب إلى الصمت .

وعندئذ تقدم الرجل الطويل القامة خطوة أو خطوتين ، ثم قال بصوت رنان فيه شيء من التهكم والتسلية : جيوفوري تحيست ... هل أنت هنا ؟
لماذا أجب في تلك اللحظة ؟ لا أدرى ... ولكن شيئاً من العناد غير الطبيعي عقد لسانى ... ففقطت واقفاً في الظلام في جوف تلك المغاربة لا أتكلم ولا أتخبرك ...

ومرة أخرى ... اقترب ذلك الهيكل العلائق حتى خجل إلى أن أفاله تفتح وجهي ...
ودوى صوت آخرى ذلك الصوت الرنان بالكلمات :

- جيوفوري تحيست ... هل أنت هنا ١٩

ورأيت من الدار أن أستمأ أكثر من ذلك ... وصاحت عزيقى على الخروج من صاحبة البيت يختلط صوت رجل .
(٢-٤ - أحزان الشيطان)

ذلك السكت العجيب . . . وأن شخص من ذلك العامل غير الطبيعي الذي جعلني أقع في حبّي كالجبان . . . فقلت بحراً :

— نعم . . . أنا هنا . . . وجودي هنا يخجلني . . . لأنّه يعني من الترحب بك . . . أنت البرنس رباني طبعاً . . . وقد قرأت رسالتك في التو واللحظة فعلت أنك قادم ولكنّي كنت أرجو أن تفهم صاحبة الدار من الظلام الذي يحيط على عرفي إنّي لست موجوداً فتعود بك من حيث أتيت . . . إنّي صريح كما ترى .

فأجاب الزائر بصوت عميق فيه رنة التهكم والسخرية :

— إنّك صريح هنا . . . ومن الصراحة بحيث لا أستطيع أن أجاهد ما تعني . . . تزيد بالاختصار أنّ تقول بأنّك لم تكون ترعب في زيارة هذا الساء . . . وقد جاء هذا التصريح معراً حق التغير بما يغول بخاطري . . . بل إنّه كان الحقيقة الصريحة . . . ومع ذلك فالإنسان قد طبع على كراهية الحقيقة حتى في الأمور الشائنة وهذا بادرت إلى الاعتذار في الحال فقلت :

— أرجو ألا تختبرن فظاً . . . إنما الواقع أنّي فضلت رسالتك منذ دقائق . . . وقبل أن أعد العدة لاستقبالك انطفأ الم صباح . . . وكانت النتيجة وقوفك هناك الوقف المحرّى الذي يضطرني إلى استقبالك في الظلام الدامس فلا يمكن حتى من بسط يدي لتحريكه . . . قال الزائر بصوت هادئ ولهجة ساحرة :

— أتظن ذلك؟ . . . دعنا نجرب! . . . ها هي يدي فإذا كانت بذلك تحرك بدافع من غريرة الصداقة وجب أن تلتقي يدي في الظلام .

وهنا مددت يدي . . . وفي الحال قبضت عليها يد قوية . . . وشدت عليها بولا . . . وفي هذه اللحظة تألق بصيص من الضوء . . . وأقبلت صاحبة الدار حاملة ما تسميه هي (باشر مصايمها) ولا أدرى إذا كانت قد قالت شيئاً حين رأته وهي تضع المصباح على الطاولة فإنّي كنت وقئذ مأخذواً بذلك القامة الطويلة الرشيقه . . . قامة الرجل الذي شد على يدي . . .

إنّي شخصاً متوسط القامة . . . وقد كان الزائر أطول من قليلاً . . . ولكنّي أبداً

لم أرى في حياتي أن الرجال وامرات النساء قد اجتمعن في تقاطيع وجه انسان كما رأيتها في وجه هذا الرجل .

كالرأس الجبل ينم عن القوة والعنف في وقت واحد . . . وقد قام هذا الرأس بين كتفيين فوين ككتفي (هرقل) .

أما الوجه فكان يضم الشكل . . . ولكنه ينبع اللون بدرجة جعلت لريق العينين السوداويين وبهذا عجياً . . . وجعلت مجموع التقاطيع ينم عن مزاج من خفة الروح والشقاء .

أما الشفتان فكانا رقيقين يدل انتباهم على غزارة قوية . . . كما كان منظر الفم يدل صفة عامة على الدمار والاحتقار والقصاؤة . . . نظرة واحدة مكتنف من هذه الللاحظات جميعها . . . وعندما جذبت يدي من يده الزائر شعرت بأنّا أصدقاء منذ الأزل .

وأجلت الطرف حولي بقلق فرأيت على ضوء الصباح تلك المغارة الحقيقة التي أعيش فيها . . . قاعة عارية باردة . . . وموقد خامد . . . وطبقية من الهباب تعطى الأرض . . . ورأيت إلى جانب ذلك حفارة ظبي بالقياس إلى الثياب الفاخرة التي يرتديها ضيق والتي إن دلت على شيء أكثر من العناية والانتباه فإنّها تدل على الفق الواسع والثراء العريض . . . قال البرنس وهو يبتسم : أعرف أنّي جئت في ظرف سيء . . . ولكن حظي عودي مثل ذلك فأفضل الناس لا يدخلون البيوت في غير الوقت المناسب . . . لما أرجو أن تغفر لي . . . ولو من أجل هذا . . .

وقدم لي رسالة عرفت على غلافها خط صديق كاربون . . .

ثم أردف : واسمح لي بالجلوس حتى تقرأ رسالة التوصية .

وتناول مقعداً وجلس عليه . . . وكانت أنظر إلى جمال وجهه وبساطة حركاته بعندي الاعجاب .

قلت له وأناأشعر نحوة باعتقام حقيق .

— لست بحاجة إلى رسائل توصية . . . فقد تسللت لنوي رسالة من صديق كاربون أشاد فيها بذكرك وصورك في أحسن التصوير . . . ولكن الحقيقة . . .

الحقيقة... وأسائلك المعدنة إما رأيني مشدوها أو حائرا... هي التي كنت أتوقع أن
أرى أمامي رجلا متقدما في السن ...

وكففت عن الكلام وأذهبني البريق العجيب الذي تألق في عينيه حين حلقي بهما
في عيني... قال بهذه:

— لا يوجد أحد متقدم في السن في هذه الأيام يا سيدي العزيز... إن أجدادنا
أنفسهم شباب في سن الخمسين منهم في سن الخامسة عشرة... والناس في هذا الزمن
لا يتکالمون عن السن في المجتمعات الراقية لأنهم يعتبرون الكلام في هذا ضربا من
الأسناف والانحطاط، والأشياء السفهية للنحطة لا يحب ذكرها. والسن هي إحدى هذه
الأشياء فيجب إذن تخبيها في الأحاديث العامة...

كنت تتوقع أن ترى رجلا متقدما في السن؟ إنك غير عظيم، على كل حال...
فأنا متقدم في السن... الواقع إنك لا تصور كم أنا من...

ضحك وقلت: بل إنك - على مأوري - أصغر مني سناً... أو أن هنا على الأقل
إن مظهري لا تم عن الحقيقة... فأنا كأكثـر الغـائـيات رـبـات الـجـالـل... لـازـمـي عـلـى
وـجهـي عـدـ الأـعـوـامـ الـقـصـيـتهاـ فـيـ الـحـيـاةـ... وـلـكـنـ مـاـذـاـ لـاـقـرـأـ رسـالـةـ التـوـصـيـةـ؟ـ أـنـاـ
لـنـ يـطـمـئـنـ لـيـ بـالـحـقـ قـرـأـهـ.

فهمـتـ أنهـ يـريـدـ حقـاـ أـقـرـأـ الرـسـالـةـ... لـغـرضـ لـأـفـعـمهـ... وـرـأـيـتـ منـ الأـدـبـ
وـالـإـيـانـةـ أـنـ أـنـزـلـ عـلـىـ رـغـبـتـهـ... فـفـضـلـتـ رـسـالـةـ صـدـيقـ وـقـرـأـتـ فـهـلـابـيـ عـزـيزـيـ جـيـوفـرـيـ
«ـ حـامـلـ هـذـهـ الرـسـالـةـ الـبرـنسـ لوـسيـوـ رـيـنـايـرـ وـهـوـ رـجـلـ مـتـفـ يـتـشـيـ إـلـىـ أـسـرـةـ
أـورـيـةـ عـرـيقـةـ فـيـ النـبـلـ وـالـحـسـدـ وـهـوـ كـذـلـكـ مـنـ خـيـرـةـ أـصـدـقـائـيـ وـيـسـرـيـ أـنـ أـوـصـيـكـ بـهـ
خـيـراـ... وـلـقـدـ اـضـطـرـتـهـ ظـرـوفـ قـاسـيـةـ لـأـقـبـلـ لـهـ عـلـىـ دـفـعـهـ إـلـىـ الـهـجـرـةـ مـنـ مـسـقطـ رـاسـهـ.
وـجـرـدـتـهـ الـظـرـوفـ كـذـلـكـ مـنـ الشـطـرـ الـأـكـبـرـ مـنـ نـرـوـتـهـ وـأـرـغـمـتـهـ عـلـىـ التـجـوالـ فـيـ أـخـاهـ
الـأـرـضـ... فـهـوـ رـجـلـ تـدـ طـافـ كـثـيرـاـ وـأـكـبـتـهـ الـأـسـفـارـ خـيـرـةـ بـأـمـورـ النـاسـ وـشـئـونـ
الـحـيـاةـ... ثـمـ إـنـهـ شـاعـرـ فـذـ وـمـوـسـيـقـارـ مـوـهـوبـ اوـلـكـنـهـ يـهـتمـ بـالـفنـ وـالـتـسـلـيـةـ... وـأـكـبـرـ
الـفـنـ أـنـكـ مـسـتـجـدـ فـيـ خـيـرـ عـونـ لـكـ فـيـ بـحـونـكـ الـأـدـيـةـ... وـخـيـرـ مـسـاعـدـ لـكـ عـلـىـ الـخـروـجـ

من للأذق الذي ورطتك فيه عذات حظك... وبعـدـ أنـ أـضـيفـ إـلـىـ مـاـذـ كـرـنـ آـنـهـ حـيـةـ
كـذـلـكـ فـيـ الـبـحـوثـ الـعـلـمـيـةـ عـلـىـ اـخـتـلـافـهـ فـأـعـيـنـ لـكـ اـسـدـاقـةـ وـثـيقـةـ سـعـيـدةـ... وـدـمـتـ لـمـخـلـصـ

جـونـ كـارـبـختـونـ
قرـأتـ اـسـعـهـ الـحـقـيقـيـ فـيـ ذـيلـ الرـسـالـةـ وـخـابـقـيـ أـنـيـ لـمـ أـجـدـ فـيـ مـوـضـعـهـ كـلـةـ بـوـفـلـ الـمـزـمـرـةـ
الـحـبـوبـ... وـشـعـرـ بـأـنـ فـيـ أـسـلـوبـ الرـسـالـةـ شـيـئـاـ مـنـ الصـلـابـةـ وـالـجـفـوـةـ كـأـنـ مـاـ جـاءـ بـهـ
قـدـ أـمـلـ عـلـىـ كـانـهـاـ اـعـلـاءـ.

لـأـعـلـمـ كـيـفـ خـطـرـ لـيـ هـذـاـ الـخـاطـرـ فـنـظـرـتـ إـلـىـ زـائـرـ الـعـالـمـ نـظـرـةـ حـائـرـةـ...
فـالـقـنـتـ عـيـنـيـ بـعـيـنـيـ... وـأـلـفـتـ يـنـظـرـ إـلـىـ بـعـدـةـ... وـفـيـ نـظـرـتـهـ شـيـءـ كـثـيرـ مـنـ الـفـضـولـ.
حـتـ أـنـ بـقـرـأـ فـيـ عـيـنـيـ تـلـكـ الرـبـيـةـ الـقـيـاسـيـةـ إـلـىـ اـسـتـولـتـ عـلـىـ فـأـسـرـعـتـ إـلـىـ الـكـلـامـ وـقـلـتـ لـهـ:
— هـذـهـ الرـسـالـةـ يـاسـيـدـيـ تـزـيدـنـ خـيـلـاـ وـتـضـاعـفـ أـسـفـ عـلـىـ أـنـيـ قـاـبـلـكـ بـشـيـءـ مـنـ
الـخـشـوـنـةـ وـالـغـلـظـةـ وـأـعـتـقـدـ أـنـ لـاـ يـوـجـدـ لـيـ عـذـرـ يـمـكـنـ أـنـ يـبـرـرـ مـوـقـعـيـ... وـلـكـنـ لـاـ تـسـطـعـ
أـنـ تـقـدـرـ خـيـلـ لـاـسـطـرـاـزـيـ إـلـىـ اـسـتـبـالـكـ فـيـ هـذـهـ الـفـارـةـ الـحـفـرـةـ... فـهـيـ لـيـسـ بـالـمـكـانـ
الـذـيـ كـنـتـ أـرـجـوـ أـنـ أـرـجـبـ بـكـ فـيـهـ... وـ...
وـاقـطـعـتـ جـفـةـ عـنـ الـكـلـامـ... وـعـلـكـيـ شـعـورـ غـرـبـ بـالـغـيـظـ حـينـ تـذـكـرـتـ كـمـ أـنـاـ

غـيـ... وـكـيـفـ أـنـيـ مـضـطـرـ عـلـىـ الرـعـمـ مـنـ ذـلـكـ إـلـىـ الـظـهـورـ فـيـ مـظـاهـرـ الـفـقـرـ.
عـلـىـ أـنـ الـأـمـرـ أـسـرـعـ قـرـفـهـ عـنـ بـقـولـهـ:

— وـمـاـذاـ تـخـجلـ؟ـ إـنـكـ عـلـىـ الـكـسـ بـحـبـ أـنـ تـكـوـنـ خـورـاـ مـرـتـاحـاـ إـلـىـ أـنـكـ حـرـ
مـنـ قـيـودـ النـعـمـةـ الـوـقـيـةـ... لـأـنـ الـمـقـرـيـةـ فـيـ الـوـاقـعـ تـمـوـ فـيـ الـأـكـواـخـ وـاـكـتـهـاـ تـذـبـلـ وـيـمـوتـ
فـالـقـصـورـ... أـوـ لـيـسـ هـذـهـ هـيـ النـظـرـيـةـ الشـائـعـةـ؟ـ
فـأـجـبـتـ: إـنـهـاـ نـظـرـيـةـ قـدـيـمةـ... خـاطـئـةـ... فـالـعـقـرـىـ يـرـجـوـ دـائـعاـ أـنـ يـذـوقـ النـعـمـةـ

مـرـةـ... لـأـنـهـ يـمـوتـ فـيـ الـعـادـةـ جـوـعاـ.

— هـذـاـ حـقـيقـ... وـلـكـنـ الـعـقـرـىـ يـنـوـهـ جـوـعاـ يـزـيدـ فـيـ شـبـعـ الـجـهـلـ... وـقـدـ
تـكـوـنـ لـلـعـيـانـةـ الـإـلـمـيـةـ فـيـ ذـلـكـ حـكـمـةـ... أـلـيـسـ كـذـلـكـ أـيـهـاـ السـيـدـ الـعـزـيزـ؟ـ أـنـظـرـ إـلـىـ شـوـيـرـ
إـنـهـ مـاتـ جـاشـاـ مـعـنـاـجاـ... وـلـكـنـ كـمـ مـنـ آـلـافـ الـجـهـاتـ أـفـادـ النـاـشـرـوـنـ الـجـهـلـ،ـ مـنـ طـبعـ
وـتـوزـعـ الـقـطـعـ الـمـوـسـيـقـيـ الـقـيـاسـيـةـ... الـأـمـنـ إـنـ شـنـوـذـ الـطـبـيـعـةـ الـجـلـلـ الـدـىـ

يزيد في عدد العبرة أن يضحي هؤلا في سبيل توفير أسباب الحياة والسعادة للجبلاء ..
نظرت إليه مشدودها .. فضحك ..

ذلك لأنه لم يطلق إلا ورأى .. ولم يعبر إلا عن وجهة نظرى .. فلم أدرك جل كان
جاد أم هازلا ..

قلت له إنك سكرم ساحراً غير شاك .. فلأت لا تومن حقيقة بأية كلامه ما ذكرت
نماجس وقد تألق في جيشه بريق حاد عريق :

— ولم لا ؟ إنما أؤمن بما خلقتني التيار الشخصية فكاهي دو .. أؤمن بذلك ؟
نم عارف قاتس وأردى : ولكن دعنا من هذا الآن .. إلى جشنكم بأشرف اللك ..
وأوعد صداقتك بك إذا مهنت .. ولو توصل إلى ذلك بأسرع ما يمكن لغير رافق على
تناول العشاء، معن في الفندق الذي أقيم فيه ؟

وذكرت حدائقه بعد ارتحت إلى حديقه .. وأطيلات معن إليها .. وولوح بيده المدبر
السيب وبناته التككية في بعض الأجنان موقع القبول من غنى .. وشعرت بربطة في
إحياء طبله هذه الأسباب وحدها دون السبب الحقيقي الذي كان غالباً يكتفى لأن يحصل
على القبول وأعني بالطبع .. وزوال عن شهي في الحال ما كرت قد شعرت به من الشفاعة
الملاجأة إلأى في تلك الفرة الحطيبة وأكتشافه أني قدر معدم ..

قلت له : إنني أقبل دعورتك الكريمة بكل سرور وارتياح .. ولكن أرجو قبل
كل شيء أن تسمح لي بأن أضع الأمور في نصابها وأوضح لك موقفك بعض الإيضاح ..
إنك بولاشك قد سمعت الشيء، السكريبي عن من صديق جون كوك جتون، وقد سمعت
من رسالته إلى أنك إيماناً عدت زيارتن كوماً منكروذاخ الرغبة الخالصة في الأخذ يدي ..

ومن أجل هذا الكرم أشكرك من قلبي .. نعم إنك ولا شك كنت متوجه أن تجد في
زوجك بالأساس من رجل الأدب وأرباب مساعفة القلم يكافع بكل كينونته هجرت الفقر
والفاقة .. وتو أنك بكررت في زيارتك وجنتي قبل ساعتين على الأكثـر رأيت أمامك
ذلك الرجل .. ملمسك الحال قد تبدل الآن .. حيث أتيت إلى من الآباء، ملائيم بوقفي
وطارق .. نعم .. إيني في الواقع قد فوجئت هنا النساء مفاجأةً عنيرة ..
قطاطعني بأن قاتل بغیر أکترات : آمن أن تكون سفاجاء مليبة بقدر ما هي هنـة ..

استمع وقت له : تستطيع أن تحكم بذكـك ..
وندمت أنه رمالة الحواس التي أتمنى فيها ياً التروء المخددة التي آلت إلى .. فأتفق
عليها الأمـر نظرـة مبرحة تم دهـالـيـكـ وـهـالـيـ وـهـوـ عـنـ رـأـسـ باـحـترـامـ ..
ـ أـنـجـدـ أـنـ يـحـبـ أـنـ أـعـتـنـكـ .. فـتـبـلـ ثـئـبـثـيـ .. وـبـنـ كـنـتـ أـرـىـ أـنـ هـذـهـ التـرـوـءـ
ـ أـقـ أـدـلـتـ السـرـورـ عـلـيـ نـفـسـكـ لـيـتـ إـلـاـ سـيـنـاـ فـيـنـيـ تـدـقـقـ حـاجـنـكـ مـاـيـكـ
ـ سـنـوـاتـ أـوـ كـلـ آـرـ أـنـلـ .. وـلـكـنـهـ الـإـيـكـنـ أـنـ تـكـسـكـ اـحـسـانـهـ مـنـ حـمـوـنـ الدـيـاـ ..
ـ لـأـنـ الـقـيـ .. بـالـعـيـ الـطـقـيقـ الـقـيـ .. حـوـأـنـ تـكـوـنـ الـإـلـاـسـانـ حـرـةـ اـنـفـاقـ مـاـلـيـوـنـ
ـ مـنـ اـحـتـيـاـتـ .. عـلـيـ الـأـقـلـ كـلـ عـامـ .. فـلـاـ مـلـكـ الـرـوـءـ الـقـيـ تـخـنـنـ لـكـ ذـلـكـ جـازـ لـكـ أـنـ
ـ لـتـبـطـ وـأـنـ تـأـمـنـ الـحـاجـةـ أـنـ تـعـمـلـ وـلـكـدـحـ ..
ـ فـتـرـتـ إـلـيـ بـخـلـاؤـ وـدـهـشـةـ .. وـمـ أـدـرـ أـكـانـ غـوـلـ الـحـقـ أـمـ عـنـ حـرـدـ مـهـاـتـةـ ..
ـ وـمـخـارـمـ كـاـبـيـ .. خـسـةـ مـلـاـيـنـ مـنـ الـجـهـاـتـ شـ .. تـفـهـ ١١

ـ وـهـنـيـ الـأـمـرـ فيـ حـدـيـثـ كـانـهـ لـمـ يـبـرـ ثـيـثـيـ مـنـ دـهـشـقـ :

ـ إـنـ هـذـاـ فـيـ الـوـجـودـ لـاـ عـكـنـ أـنـ بـشـعـ تـهـ الـإـلـاـسـانـ يـاـسـيـدـيـ الـعـزـزـ ..
ـ وـرـغـبـ الـإـلـاـسـانـ لـيـسـ هـاـحـدـ .. وـهـنـ وـضـيـاتـ تـكـلـفـ كـهـرـأـ فيـ عـالـ الـأـجـانـ .. وـمـ
ـ إـلـيـهـ يـكـنـيـ أـنـ تـبـوـرـ بـكـ بـعـضـ الـخـاصـ يـجـرـدـكـ مـنـ مـلـاـيـنـ الـخـسـةـ وـقـدـ تـدـهـ
ـ هـلـمـ لـأـنـجـ فيـ الـأـسـابـ قـلـلـ عـلـاـ خـلـورـاتـ تـرـوـقـ فيـ عـيـنـ اـمـرـأـ تـسـبـهـ بـكـ .. وـقـدـ
ـ تـعـنـدـ مـلـاـيـنـ .. وـالـرـاهـنـاتـ فـيـ عـدـةـ أـيـامـ .. كـلـ .. كـلـ .. كـلـ .. يـاـسـيـدـيـ الـعـزـزـ .. إـنـكـ لـمـ
ـ عـدـيـ .. بـلـ أـنـتـ رـالـ قـبـرـ .. وـكـلـ مـاـقـيـ الـأـمـرـ أـنـكـ لـنـ تـشـعـرـ فـيـ الـأـيـامـ الـقـيـةـ عـلـيـ
ـ الـأـكـنـ الـلـاحـظـ الـقـيـ كـتـ تـوـهـ تـحـتـ خـنـطـلـاـ قـلـ الـآنـ .. رـدـلـكـ مـاـ بـخـرـىـ إـلـىـ
ـ حـدـ مـاـ .. لـأـنـيـ كـتـ أـرـجـوـ أـنـ أـعـاوـكـ .. وـأـنـ أـمـدـ إـلـيـكـ يـدـ الـسـاعـدـةـ .. وـأـنـ أـخـرـ
ـ عـيـاقـ عـقـرـاـنـاـتـتـ لأـولـ مرـةـ فـيـ حـيـاـنـ .. وـهـاـقـ خـابـ جـانـ .. كـلـاـدـاـ .. وـمـ
ـ عـجـبـ حـمـاـيـتـ لـأـرـجـهـ عـنـيـاـقـ وـاهـنـاـيـ إـلـىـ شـخـصـ وـأـخـدـ عـرـىـ وـيـقـ جـلـ الـأـخـدـ
ـ بـيـ حقـ بـحـولـ دـونـ هـذـ الـيـةـ حـالـ لـأـبـلـ لـ عـلـ دـفـهـ ..

ـ وـكـفـ عـنـ الـكـلـامـ .. وـرـبـعـ رـأـسـ .. وـأـرـهـفـ أـذـيـهـ بـسـعـ جـيـدـ ..
ـ نـمـ سـأـلـ : مـاـ هـذـاـ ١١٩ـ

كان قد سمع أنقام الكنجه ... وكان جاري الموسيقى يعزف وقىحة حنا دينا .
قال الأمير : أنا لا أحب هذا النوع من الألحان ... ولا أحب الصوفية في رجال
الفن ولكن ما لنا ولها . إنك الآن من أصحاب اللايين ... وعذراً تكون شخصية
بارزة في مجتمع يطأطليه ، رأسه لرنين الذهب ... فهل في هنا ما يحول دون قوله
دعوى تناول الطعام على مائدتي ؟ . وبعد الطعام نغنى أحد متدينيات الموسيقى إذا
شققت قاقولك ؟

وربت على كنفي بعطف ونظر في وجهي يتلمس العينين العجيبتين تُنجز
فهمما المسموع والنار ... نظر في وجهي نظرة جردتني من قوة الإرادة فشعرت بأني
لا أستطيع إلا قبول دعوته ... ولمكاني ترددت لحظة ونظرت إلى ثيابي الفضرة
المهلهلة ... وقلت :

— إني لست في حالة يجعلني أصلاح لمرافقتك يا سيدي الأمير ... فإن من برائي
يعتقد أني سائل لا صاحب ملابس .
فصحعندي بعينيه ثم ابتسם وقال :

— لم يمر إلّا سائق فما تقول . فلن ينظر إليك يعتقد إلّا سائل ... ولكن
اطمئن ... ! هناك من حيث الظاهر أشبه بكثيرين من أصحاب اللايين ... ذلك لأن
الفقراء وحدتهم هم الذين يعنون بهنداهم ... الفقراء والنساء العنيدات هم الذين
يحتكرن الأزياء الآيةقة ...

إنك غالباً ما تلاحظ أن رؤساء الوزارات لا يعنون بهنداهم . وإذا حدثت ورأيت
سيدة ترتدي ثوباً من طراز عنيق لا يلامس تقاطع جسمها فتفق أنها من فضلات النساء
وأنها سيدة بارة نقية . وقد تكون إلى جانب ذلك من التبليات .

ونهى واستطرد بسرور :

— وما أهمية الشباب إذا كانت الجيوب مكتظة بالمال ؟
إنه يمكن أن تنشر الصحف إلّا أنك أصبحت من أصحاب اللايين فترى الشباب
يتماًقتوна على تغليد ثيابك وهنداهم وقد لا يبعد أن يشترى أحد الخاطفين (مودة)
يطلق عليها اسمك ..

والآن هلم بـ ... لا بد أن تكون رسالة الحمای قد حرّكت شهيتك إلى الطعام
وإلا فلا كانت الزوجة ولا كانت الأبناء السارة .

وكل ما أطلّبك به الآن هو أن تنصف المائدة التي أعددتها لك ...
إني أسطّح طاهيًّا ميًّا داعمًا ، وهو على ما أعلم من خيرة الطهاة .
نعم إن هناك معروفاً آخر أسلوك إيه ... هو أن تسمح لي بأن أضع أموالي تحت
تصرّفك حتى يتم البت في أمر ميراثك ..

وقد قل ذلك في شيء كثیر من اللطف والأدب ... وبروح الصدقة الخالصة .
فلم أجد بداً من القبول شاكراً لا سبباً أن ما عرضه على يخلاصي من الضيق
ال المؤقت الذي أعاشه .

وعلى ذلك أسرعت بالكتابة إلى صاحبة الدار أقول لها إنها ستسلم تعودها في اليوم
التالي بطريق البريد . ثم وضعت أصول قصص ، وهي الشيء الوحيد الذي كنت أملكه
من حطام الدنيا وقىحة ، وضعت (أصول) قصص في جيب معطّق وأطفّلت المصباح
وخرجت بصحة الصديق الجديد الذي فزت به فجأة . وغادرت ذلك اللاؤى التذر بكل
ما يحيط به من مظاهر الفقر والفاقة ، غادرته إلى الأبد ، ولكن لم يخطر لي أبداً في
تلك اللحظة أن وقتاً سيأتي أنقطع فيه إلى الوراء ، وأنظر فيه إلى الفقر المريض الذي
فاسمه نظرة أسف وحرقة ... نعم لم يخطر لي أن وقتاً سيأتي أنصرع فيه إلى الله مخلصاً
وعيني تذرّفان الدموع الغزيرة أن أعود إلى ما كنت فيه من يرثى نبيل ، عوضاً عن
حياة النعمة التي شقيت بها كما لم أشق حين كنت في أشد حالات الفقر والضنك ...
لم أتصور أن وقتاً سيأتي أنقطع فيه إلى الأيام التي قضيتها في تلك الغرفة المخربة كما
أنقطع إلى أسعد أيام الحياة ...

ولكن الإنسان لا يستطيع أن يخترق حجب المستقبل ، ولا أن يعلم ماذا يحيشه له
القدر .. ولعمري لا أدرى إياتك نعمة أخرى من نعم الله على البشر ، أم هي إحدى نعم
الطبيعة على الإنسان ؟

ولكن ترى هل كنا نسد خطاناً في السبيل القويّم لو أننا أعطينا القدرة على
معرفة الغيب ؟ .. مسألة يخف بها النسوان والشك !!

ولكن مما يكن من أمر فان جهل بما كان ينتظري في المستقبل القريب كان بالنسبة إلى إحدى القمم .. ولو تكشفت المستقبل وقت وخيرت بين حياة التشرد والبغة في تلك المقارنة المقررة وبين حياة الزراء بما يعف بها من فواجع وألام وشقاء لآثرت ألف مرة أن أقضى إلى على الطوى في تلك المغاربة .. ولأنتر غرفتي المسكونة للتواصمة على حياة النعمة والرفاقة ، بل آثرت أن أقضى ما بقي لي من أيام الحياة نكرة حامل الذكر ، أصبغ فوق يومها وبما هنالك ، وأنسخ في الطرقات حين لا أحد علماما هنا أو هناك ..

ولاذن فقد اصررت وأنا مسرور ممتنع ، وغادرت تلك الغرفة التي شهدت الكثير من مناعي وقوطي ..

وليتها ظهرت ، وفي أعماق شعور بالارياح بقمر قمي عن وصفه ..
وكان آخر ما سمعت وأنا أضع قدسي في الشارع مع ساحبي الجديد ، أنه طوبية عبقة أرسلتها كنجة للموسيقى المهوول كأنها صيحة وداع .

الفصل الرابع - النعيم

كانت مرکة الأمير تنتظر في الخارج ، مرکة فاخرة قد شد إليها جواران حال كان مطهيان بالفضة يضران الأرض بخوافرها بقلن شأن جياد الحيل ..
ورأنا الخادم الذي برافق الحوذى ثواب إلى باب للمرکة وفتحه وأجئ قاتمه سقي كاد رأسه يمس ركبته ..

تقدمت الأمير كطليه وبالصاحف ، وسعدت إلى المرکة وجلست بها ، فشعرت بأنني أغوص بين رسائلها البنية ، وأحسست نوعاً عجباً من الراحة والسلطان حتى حيل لي أن حلقت الشقاء منذ زمن ..

كان الجموع والسعادة ينزاعن مشارعي .. وشعرت بخفة الجسم والرأس التي يشعر بها الإنسان بعد الصوم الطويل ، والتي تختلط معها حواسه ومشاعره فلا يكاد يغير شيئاً
كنت أعلم أنني لن أقدرحظى السعيد حق قدره ، وأجيده محقيقة ما مر بي قبل أن
أشبع معدني وأؤثر حاجات جسدي وأستبعد توازن الجثائ ..
أما في ذلك الوقت فقد كان يسبح في جلة منظرية .. وكانت آثار كاري منتبعة

منتبعة حازرة مظاهرة ، وقد خيل لي أنني في حلم عجيب مستنقذ من صحوة الشعب ..
وراحت الركبة تطوى الأرض طلباً ، وكانت عجلاتها مكسوة بحلقات من اللباط فلم أكن أسمع غير حواري الجوادين ..

وكنت أتعول بين الفينة والفينية فأفاليجي ، عيني صديق الامعين وهو تعمقان في وجهي في شيء ، كثير من الفضول ..

قال لي مداعباً وساخراً : الا تشعر الآن بأن الدنيا قد دانت لك وبأن العالم أصبح تحت قدميك أشبه بكرة تنتظر منك أن تركلها ! إنه في الحق عالم عجيب ليس أسهل من تحريكك .. وتلك إحدى مساحي القدر التي حاول الحكماء والفلسفه من قديم الأزل أن يعالجوها فذهبوا محاولاً لهم أدرج الرياح . فهم هذا عالم عجيب بين العوالم هو كما قلت كرية يسهل عليك تحريكها إذا كان لديك حذاء من ذهب ..

قلت له : إنك تتكلم بشيء من الزارة يا سيدي الأمير .. ولكنك ولا شك قد أكتسبت من التجارب خبرة واسعة ..

فأجاب بلهجة التأكيد : نعم .. قد أكتسبت من التجارب خبرة واسعة . ثم إن ملوكى واسعة متزامية الأطراف ..

فقلت مشدوهاً :

ـ إذن أنت أحد الحكماء الفعلىين ولقبك ليس من الألقاب الفخرية لحسب ..
فأجاب بسرعة : إذا أخذتنا بأحكام الاستقرارية في هنا البلد كان لقى فخرها حسب .. على أنني أقول إن مملكتي واسعة متزامية الأطراف على اعتبار أنني أستطيع أن أحكم حيث يطاولي الناس رؤوسهم لنفود التروء . من هذه الوجهة فقط أقول إن مملكتي واسعة .. لاحظ لها ..

قلت : أراك تتكلم بروح التشاقام يا سيدي الأمير . ولكن لا شك أنك تعرف بأنه يوجد أشياء لا يمكن ابنياعها بلال .. كاكيروف والفصيلة متلا ..

فتصعدني بعينيه ، ثم قال وعلى شفتيه ابتسامة :

ـ أعتقد أن الشرف والفضيلة موجودان ، ومادامما موجودين في الامكان ابتعاهما طبعاً ، وقد عملتني التجارب أنني أستطيع أن أبتاع كل شيء .. وهذه الأشياء التي يسمى بها

ذلك المجتمع ينظرون إلى غيرهم من وجهاه نظر هذا الخادم ويقيّون لـ كلّ انسان وزنه على قاعدة (الشعب) .. فإذا كنت فقيراً وث الثياب تجنبوك وتتجاهلوه وغروا منك ، وإذا كنت غنياً جاز لك أن تكون وث الثياب كـ تريـد .. فذلك لا يعنـهم من مدحك والتـقرب إلـيك ودعـوتـك إلى حـلـاتهم ومرـاقـهم . حقـ لوـ كـتـ أـجهـلـ الجـهـلـاـ .. وأـشـقـ الأـشـقـاءـ .

زاحتـ في رـأـسيـ هـنـهـ الـخـواطـرـ وـأـمـتـهـاـ وـأـسـيرـ وـسـيـ مـضـيقـ الـكـرـمـ إـلـىـ الـجـنـاحـ الـذـيـ يـشـغـلـهـ .
كانـ بـعـدـ مـنـ الـفـنـدقـ جـنـاحـ بـأـسـرـهـ . بـتـكـوـنـ مـنـ غـرـفـةـ لـلـاستـقـابـ وـقـاعـةـ لـلـطـعـامـ ..
وـغـرـفـةـ لـلـمـكـبـ .. وـأـخـرـىـ لـلـنـوـمـ . عـدـاـ الـحـلـمـ وـغـيرـهـ مـنـ الـمـسـلـامـاتـ ، وـعـدـاـ قـاعـاتـ
رـصـيفـ وـحـلـشـتـهـ .

وـكـانـ الـلـائـدةـ قـدـ مـدـتـ وـحـلـتـ بـأـطـبـاقـ مـنـ فـسـةـ وـأـكـوابـ مـنـ أـرـقـ الرـاجـعـ
وـأـوـانـ الرـهـورـ وـالـفـاكـهـةـ .

وـمـاـهـيـ إـلـاـ دـقـقـقـ حـقـ جـلـسـاـ حـولـ الـلـائـدةـ ، وـقـامـ الـوـصـيـفـ خـدـمـتـاـ ، وـعـنـدـ ذـفـقـ
تـبـتـ تـقـاطـعـ وـجـهـ فـيـ التـورـ الـكـهـرـيـاـنـيـ فـالـفـيـهـ أـمـرـ الـبـشـرـةـ لـاـ يـدـعـوـ مـظـهـرـهـ إـلـىـ
يـعـيـرـهـ الـتـفـاـنـاـ . وـلـكـنـ كـانـ يـوـدـيـ وـاجـهـ بـدـقـةـ تـدـعـوـ إـلـىـ الـأـعـجـابـ .
كـانـ أـمـيـهـ (ـأـمـيلـ) وـقـدـ وـجـدـتـيـ أـنـظـرـ إـلـيـهـ وـأـرـقـ حـرـكـاتـهـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ .

وـبـدـأـتـ بـالـتـدـرـيـجـ أـشـعـرـ بـالـرـاحـةـ وـأـتـحـدـتـ بـحـرـيـةـ وـبـغـيرـ كـفـةـ . وـكـاتـ كـلـ دـقـيـقـةـ غـرـ
هـاـ تـرـيدـنـيـ إـعـجاـباـ بـصـدـيقـ الـجـدـيدـ .

وـعـنـدـ مـاـ رـفـعـتـ الـلـائـدةـ وـقـدـ لـمـ (ـأـمـيلـ) أـخـرـ أـنـوـاعـ اـتـبعـ ثـمـ السـبـبـ باـحـترـامـ
سـائـيـ رـعـاـيـاـ :

ـ هلـ فـيـ فـيـتـكـ أـنـ تـوـاـصـلـ جـهـودـكـ الـأـدـيـةـ بـدـ أـنـ أـسـتـ هـنـهـ الـرـوـءـ الـفـالـيـةـ ؟ـ
وـهـلـ تـشـعـرـ فـيـ فـسـكـ رـغـبةـ إـلـىـ التـدـيـجـ وـالـتـصـيـفـ بـدـ الـآنـ ١١ـ
ـ لـاـ شـكـ فـيـ ذـلـكـ .. سـأـكـتـ وـلـوـ عـلـىـ سـبـيلـ التـسـلـيـةـ .. وـسـيـكـونـ فـيـ مـقـدـورـيـ

الـنـاسـ الـشـرـفـ وـالـفـضـلـةـ هـيـ أـرـخـسـ مـاـفـ الـوـجـودـ عـلـىـ الـاطـلاقـ . فـقـطـ يـجـبـ أـنـ تـدـفعـ
الـمـنـ فـتـالـ مـنـهـاـ فـيـ الـحـالـ مـاـ تـبـغـيـ .

ذـلـكـ يـدـوـ عـيـاـ .. أـلـيـسـ كـذـلـكـ ؟ـ وـلـكـنـهـ الـحـقـيـقـةـ ، حـالـةـ وـاحـدـةـ فـقـطـ اـسـتـعـصـيـ عـلـىـ
فـيـهـ أـنـ أـبـاعـ الـفـضـلـةـ .. وـلـكـنـهـ كـانـ حـالـةـ شـاذـةـ . وـأـكـبـ الـظـفـ أـنـهـ لـاـ تـكـرـرـ
إـلـاـ نـادـرـاـ .

وـالـآنـ أـعـوـدـ إـلـىـ تـقـيـ . فـأـرـجـوـ أـلـاـ تـعـتـنـدـ بـأـنـ لـيـ مـنـ الـأـنـقـابـ الـرـاقـةـ . بلـ هـوـ
لـقـبـ حـقـيـقـ وـلـدـ وـرـثـتـهـ عـنـ أـسـرـةـ تـفـاـخـرـ بـنـبـلـهـ أـبـلـ الـأـسـرـ فـيـ بـلـدـكـ . وـلـكـنـ عـلـىـكـنـ
تـغـرـقـ مـنـ زـمـنـ بـعـيـدـ . وـتـفـرـقـتـ رـعـيـقـ بـيـنـ الشـعـوبـ . وـهـذـاـ الـذـيـ أـرـىـ مـنـ
عـوـافـ الـغـوـصـ وـالـاـضـطـرـابـاتـ الـسـيـاـيـةـ وـعـدـمـ الـاـسـتـغـارـ بـرـغـبـيـ عـلـىـ مـزاـواـةـ شـوـؤـنـ
عـنـهـيـ التـحـفـظـ .

أـمـاـ الـأـنـ فـعـدـيـ مـنـ لـحـنـ الـحـلـثـ شـىـ، كـثـيرـ . وـبـهـذـاـ هـالـ أـعـدـ طـرـيقـيـ أـيـنـ ذـهـبـ .
عـلـىـ أـنـكـ سـوـفـ تـعـرـفـ الـزـيـدـ عـنـ مـقـ طـالـتـ عـشـرـتـاـ وـتـوـطـدـتـ صـدـاقـتـاـ .

وـوـقـفتـ بـنـاـ الـرـكـبةـ أـمـاـمـ الـفـنـدقـ . وـمـاـإـنـ وـقـفتـ حـنـ قـدـمـ لـاـسـتـقـابـاـ وـبـ الـفـنـدقـ
وـالـثـانـ أوـ بـلـلـةـ مـنـ الـخـدـمـ . وـلـكـنـ الـأـمـيـرـ مـرـ بـهـ جـيـعـاـ إـلـىـ الـصـالـةـ الـكـبـرـيـ دونـ أـنـ
يـعـيـرـهـ الـتـفـاـنـاـ . وـرـاحـ يـتـحـدـثـ مـعـ رـجـلـ سـلـيمـ الـظـهـرـ يـرـتـدـيـ ثـوـماـ أـسـوـدـ خـفـ لـاـسـتـقـابـاـ
بـاـحـترـامـ عـظـمـ . فـلـمـ أـنـ هـذـاـ الـرـجـلـ هـوـ وـصـيـهـ الـخـاصـ .

وـهـنـاـ ذـكـرـتـ لـلـأـمـيـرـ رـغـبـقـ فـيـ الـاحـفـاظـ بـعـرـفـقـ فـيـ الـفـنـدقـ فـقـالـ بـيـسـاطـةـ :
هـذـاـ أـمـرـ بـسـيـطـ تـرـكـهـ لـوـصـيـقـ .. وـالـفـنـدقـ غـيـرـ مـكـنـظـ عـلـىـ مـاـ أـعـلـمـ ... وـلـأـقـلـ مـنـ
أـنـ تـكـرـنـ بـعـضـ الـنـرـفـ الـقـاـخـرـ فـيـ خـالـيـةـ . لـأـنـكـ بـكـلـ تـأـكـيدـ تـطـلـبـ غـرـفـةـ فـاـخـرـةـ .
وـكـانـ أـحـدـ الـخـدـمـ قـبـلـ ذـلـكـ يـصـعـدـيـ بـعـيـنـهـ وـيـنـظـرـ إـلـىـ تـيـابـ الـعـيـقـةـ نـظـرـةـ خـاصـةـ تـمـ
عـنـ الـاحـتـفـارـ الـذـيـ يـتـعـدـ الـأـدـيـةـ اـظـهـارـهـ مـنـ يـلـوحـ لـهـ أـنـ فـقـيرـ مـعـدـ .. قـلـاـعـ كـاتـ
الـأـمـيـرـ تـغـيـرـتـ تـقـاطـعـهـ الـمـاـكـرـةـ الـشـلـيـلـةـ وـأـخـيـ قـاتـهـ بـكـلـ اـحـتـرـامـ عـنـدـ ماـ مـرـزـتـ بـهـ .
وـلـكـنـ شـعـرـتـ نـحـوهـ بـالـشـرـازـ عـظـيمـ يـخـالـطـهـ التـقـيـ وـالـشـعـورـ بـالـغـورـ
ذـلـكـ لـأـنـ وـجـهـ الـخـادـمـ كـانـ فـيـ الـوـاقـعـ مـرـآـةـ صـادـقـةـ لـأـحـوالـ الـجـمـعـ (ـالـرـاقـ)ـ . مـاـفـرـادـ

براسطة المال أن أرغما الجمود على قراءة مؤلفاتي . ثاء، أو لم يشاً لأنه لا توجد جريدة
ويفتن أعلاها أو تقريراً مأجوراً ..

- هذا حقيقة ، ولكن هل تظن أن الوحى يحيط من كيس مليء ورأس فارغ؟
شايقني هذه الكلمات فقلت في الحال :

-- وهل تعتقد أن رأسى فارغ؟

- لا ياعزيزى تحيست .. رئيس فارغا الآن .. وأرجو قبل كل شيء
الآن تشرع في الحكم على ملاحظاتي . فأنا صفت أنك شاب موهوب وأنك ذكي النوازع
ولاك آراء، بدعة لا يقرك عليها الفقاد في هذا العصر للحادي ، ولكن هل يستمر عقلك
الخصيب في إنتاج مثل هذه الآراء بعد أن امتلاكت جيوبك؟
هذه هي السائمة ..

ان الآراء، الطيبة والوحى المفيد لا يهبطان على أصحاب الملايين . تلك هي الحقيقة
العجيبة المقررة ... أما في حالي فقد يسعفك ذهنك داعماً بثار أدبية طيبة ... بل إنني
أرجو لك ذلك من كل قلبي ... ولكن جرت العادة أنه مقى امتلاكاً الجيد بالمال تمرد
العقل .. وأصواته المخولة .. وحل الشر في نفس الإنسان محل الخبر .. ذلك مثل فديم
فهل سمعت به قبل الان؟

- أبداً ..

- إنه مثل أحق على كل حال .. ولا ينطبق على الواقع في هذا الزمن الذي تشتبث
فيه الآراء، حول الخير والشر . على أنه يتضمن مغزى لا يأس به ، وهو أن العبرى
الموهوب إذا رزق ملاً كثيراً تشتبث أمامه الطريق ، فاما ان يصمد مع المعتبرة وإما
أن يهبط مع للال ، والانسان لن يستطيع أن يخلق في السماء وينرس قدميه في الأرض
في وقت واحد ..

سحكت وقلت : لعمري ، إنك تعظ متى الثروة في حين أنك من كبار الثرة ..
فهل أنت آسف على أنك غني؟

- كلامك آسفاً ، لأن الأسف لا يهدى ولا يشعر .. وأنا أحسن بونتي أن يذهب
حياتي في التأمل والأسف ، ولكنني أقول لك الحقيقة .. وهي أن المعتبرة والثروة قل

أن يجتمعنا .. وأننا أخرب لك في ذلك مثلاً من نسى ، فأنت لا تتصور كم كانت مواههى
عظيمة في وقت ما قبل أن أصبح سيد نسى ..

قلت وأنا أنظر إلى جهة المرتفعة ، ورأسي الجليل وعيشه الثابتين :

- أؤك لك أنك لا زال محظوظاً بواهب لا يتمتع بها الناس العاديون ..

وهنا أضاء وجهه بتلك الإبتسامة الماكرة التي رأيتها مرة قبل ذلك ..

قال : أنت تقصد الاطنان والمدح فأنا أشكرك ، وأكره ظنى أن مظهرى يخدعك
كما خدع غيرك من قبل .. ولكن فلنزرع الحديث في هذا ، ولتحدث في كيف تضى
باقية السهرة .. إن في مسرح (يفولي) راقصة جديدة ، تحاول اقتناص دوق شاب ،
فهل تذهب لنراها ، ونرى كيف تتجه المرأة الصغيرة عادة في الوصول إلى المجتمع
الarserنطاطى عن طريق أحد الأغرار؟ أم أنك متعب وتوثر راحة طوية هذه الليلة؟
والحق أنى كنت متعباً أشد التعب ، جهاناً وعقلياً ، بسبب المفاجآت الكثيرة التي
توالت على في ذلك اليوم ، وبدأت أشعر بفنل رأسي بعد الطعام العسق الذى تناولته
يشبهه ، ونهم ..

قلت له : الحقيقة أنى متعب جداً ، وأفضل النوم على أي شيء آخر ، ولكن ماذا
تم في أمر غرفتي؟ - لا بد أن يكون (أمير) قد فكر في هذا ..

ودق الجرس فدخل الوسيط في الحال . سأله الأمير :

- هل حجزت غرفة لست تجbst وأعدتها؟

- نعم يا صاحب السمو ، وغرفته تقع في هنا فهو أمام جناح سموكم ، وهي ليست
مؤثثة كما كان يجب ، ولكنني أعدتها بقدر الامكان لقضاء هذه الليلة ..
وعندئذ نهضت لأنى لمضيق ليلة سعيدة ، فقبض على اليد التي بسطتها لاحته ونظر
إلى نظرة عجيبة وقال :

- إننى أحبك يا جيوفرى تحيست .. ولأنى أحبك .. وأجد من شعورك ما يرتفع
بك في نظري عن كثير من الناس ، ساعرض عليك اقتراحاً قد تظنه عجياً ..

وهذا الاقتراح هو : إذا لم تكن تشعر بخوى من الصدافة والاطمئنان بتشمل ما أشعر
بحوك ، فصارحنى بذلك الآن ، لفترق في الحال ، قبل أن يعرف واحد منا المزيد من

أمر صالحه ، وأوْكَدَ لِكَ أَنِّي لَا أُحَارِلُ بَعْدَ الْآنَ أَنْ أُفْلِغُ فِي طَرِيقِكَ ، مَا لِمَ تَبْحَثُ عَنِ
أَمَا إِذَا كُنْتَ مُطْمَثًا إِلَى صَدَاقَةٍ ، مُرْتَاحًا إِلَى أَطْوَارِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ غَرَابَةٍ ،
فَعُذْنِي بِأَنْ تَكُونَ صَدِيقًا وَزَمِيلًا لِوَلِوَ امْدَدَ شَهْرَيْ أُخْرَى ..
إِنَّ فِي مُنْدُورِي أَنْ أَغْشِي بِكَ أُرْقَ الْجَمَعَاتِ ، وَأَنْ أَفْدِعُكَ إِلَى أَجْلِ نَسَاءِ أُورُوا
وَأَشْهِرُ وَأَنْظُرُ رِجَالَتِهَا ، فَأَنَا أَعْرِفُ هُؤُلَاءِ ، وَأُوكِلُكَ وَأَعْتَقُدُ أَنِّي سَأَفْيِدُكَ ..
أَمَا إِنَّا كَانَ يَعْتَمِلُ فِي قَرَارَةِ نَسْكِنِي مِنَ الشَّكِّ فِي إِحْلَاصِي ...
وَعَمِلَ حَلْظَةً ، ثُمَّ عَادَ فَاسْتَطَرَدَ بِلِمْجَةٍ جَدِيدَةٍ مَدْعَشَةً :
— إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْتَحَافَلَهُ بِاللهِ أَنْ تَكْشِفَ لِي فِي الْحَالِ عَمَّا تَشَعَّرُ بِهِ نَعْوِي
فَأَنْزِلَكَ إِلَى الْأَبْدِ ..

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَجِبُ أَنْ أُحْذِرَكَ فَأَقُولُ لَكَ بِالْحَلَامِ إِنْ مَظَاهِرِي يَخْلُفُ تَعْلِمَيْ
عَنِ الْحَقِيقَى .
كُنْتَ حَقِيقَةً قَدْ شَعَرْتُ فِي السَّاعَةِ الْآخِرَةِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْتِيَابِ وَالنَّفَرِ مِنْ هَذَا
الرَّجُلِ الْغَرِيبِ . وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَحْسَنَ بِذَلِكَ ، مَلِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَلْقَى بِالْكَلَاتِ الْآخِرَةِ حَتَّى
رَأَى أَرْتِيَابِي وَنَفَوْرِي . فَشَدَّدَتْ عَلَى يَدِهِ بِالْحَلَامِ . وَقَلَّتْ لَهُ مَدَاعِيَا :
— يَاصَدِيقِي الْعَزَّزِ . يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ نَحْذِيرُكَ جَاءَ بَعْدَ فَوَاتِ الرِّزْقِ فَإِنَّمَا يَكُونُ
مِنْ أَمْرِكَ ، وَمَهَا كَانَ مَنْذُكَ بِنَسْكِ فَانِي لَا أَكُنْ لَكَ غَيْرَ كُلِّ تَقْدِيرٍ وَعَطْفٍ ، وَأَعْتَبُ
نَفْسِي مَعِيدًا بِعِرْفِكَ . وَلَا شَكَ أَنْ صَدِيقِي الْفَسِيمِ كَارِبُخْتُونَ قَدْ خَدَمَنِي حَقِيقَةً إِذَا
عَرَفْتَ بِكَ فَإِنَا أَوْكَدَكَ أَنِّي خَلَوْرِ بِزَمَالَكَ .
— إِذْنَنِي أَصْدِقَاءَ !

كَما أَرْجُو أَلَا أَكُونُ أَوْلَى مِنْ يَنْفَضِي يَدِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ . وَيَخْرُقُ
هَذَا الْيَثَاقِ .. وَالآنَ طَلَبَ مَسَاوِلَكَ .
وَكَانَتْ يَدِي لَا تَرَالَ فِي يَدِهِ . حِينَ وَمِنْ الْبَرِقِ يَشَدَّهُ . وَتَبَعَهُ قَصْفُ الرَّعدِ . فَانْفَطَعَ
الْتِيَارُ الْكَهْرَبَائِيُّ . وَانْطَفَأَ النُّورُ .. وَمَمْبِقُ فِي الْعَرْفَةِ ضَوْءٌ غَيْرُ وَهَجَ الْبَرَانُ التَّالِفُ
فِي الْمُوقَدِ ..
شَعَرْتُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّايِقَةِ وَالْحَمِيرَةِ . أَمَا رِيَانِيزَ فَلَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ أَهْمَنِي وَلَكِنِي رَأَيْتُ
عَيْنِي تَالَفَانَ كَمَا تَالَقَ عَيْنَا الْمُطْرَةَ فِي الظَّلَامِ .

قال : يا لها من عاصفة شديدة . إن مثل هذا الرعد في قصل الشتاء قادر الحدوث .
ندي خادمه : أميل .
فدخل الخادم في الحال . وخجل إلى الليل أن على وجهه قيحا زاد وجها بشاعة .
قال الأمير : قد انطفأ النور الكهربائي يا أميل فهل تستطيع إصلاحه ؟
نعم يا صاحب السنو .

وما هي إلا دقائق معدودات حتى تمكن أميل بمهارة من أن يصلح ماء مطل وأضاء
نور الكهربائي مرة أخرى وشد رمانز على يديه وقال :
— طاب مساواتك يا صديقي .. أتعنى لك نوما هذينا .

الفصل الخامس — الميراث

علمت عندما استيقظت في صباح اليوم التالي أن (مو) الأمير ريانيز قد امتنع
جواده وخرج للزهوة . وأنه تركني لأنتناول طعام الأفطار بمفردي . وعليه فقد قصدت
إلى قاعة الطعام العامة بالفندق . فتناولت أفطارى وكانت طول الوقت موضع احترام
ناس من خدم الفندق وموظفيه . وذلك على الرغم من رثاثة تيابي التي لم استبدلها لأنني
أشكر أملاك مساواها .

وأقبل الخدم بكل احترام يستعملون عن مشيئتي وعن طعام الغداء الذي أرتضي
منزل الموعود الذي أتناوله فيه . وعما إذا كنت أزيد جناحا خاصا في الفندق بطريقة ما . وأن ذلك كلـه
أرجو ذلك . كما أرجو ألا يكون أول من ينفض يده من هذه الصدقة . وبخرق
هذا اليثاق .. والآن طلب مساؤلك .

عمر بغير ذلك التبيحة البائرة لنديو عـمر ثروـنـي .
وكان جوابـي عـلى الأسئلةـ التي أـقـبـتـ عـلـىـهـ لـمـ أحـزـمـ أـمـرـيـ بعدـ عـلـىـ شـيـءـ . وـأـنـيـ لمـ
ضعـرـنـاجـاـ . وـلـكـنـيـ سـأـبـدـيـ قـرـارـيـ بـعـدـ بـعـضـ ساعاتـ . وـأـقـضـيـ فـيـ الـوقـتـ الـحـاضـرـ
الـأـكـفـاـ . بالـأـرـفـةـ الـتـيـ قـضـيـتـ فـيـ لـيـفـيـ .

ولما فرغت من تناول طعام الأفطار . هممت بالخروج لزيارة الحمام . ولستني لمـ
عـيـنـهـ تـالـفـانـ كـمـاـ تـالـقـ عـيـنـاـ الـمـطـرـةـ فـيـ الـظـلـامـ .

أكيد أخططي باب الفندق حتى رأيت صديق رعائري مقللا على سهولة جواه كرم كستانى
اللون . دلتنى أنفاسه اللاهنة وانفاس خيالى عليه على أنه اجتاز مسافة كبيرة بسرعة عظيمة .
كان ريمانز رشيقا في ثياب الركوب أشعاف رشاته في ثياب السهرة . وقد صعدت
إلى وجنتيه العتيتين حمراء طفيفة زادت طلعته جمالاً وضاعت بريق عينيه اللامعتين الناقعين
وكان أميل قد ظهر بباب الفندق في الحال . كان شيئاً خفياً أنباء قدمه مولاه .
وابتسם رعائري حين وقع بصره على . ومن قبته عقبض السوط على سهل التحية .

وقال وهو يترجل عن ظهر الجواه وبلق العنان إلى أحد الحدائق :
— إنك تأخرت في فراشك ياخيست . إلى أين تزيد النهاب الآن؟
فأجبت : إنني ذاهب لمقابلة المحامي الذي يبعث إلى برمانة أمس . إنها شرکة محاماة
صاحبها هما : بنهام وإيليس على ما أتذكر . وأعتقد أن من الأفضل أن أقابلهما في أقرب
فرصة . لا ترى ذلك؟ — نعم . ولكن .

ثم اشحى بي ناجحة وقال : يحب أن يكون معك شيء من النقود . إذ ليس من اللازم
أن تطلب منها شيئاً (على الحساب) في أول مقابلة . ثم إنه لا ضرورة لأن تذهب
للمحامين إنك كنت على وشك أن غوت جوعاً حين وصلتك رسالتهم .
خذ هذه الحافظة .. وتذكر أنك وعدتني بأن تقبل أن تكون بالنسبة إليك صاحباً في
أقدم لك ما تزيد من نقود حتى يتم لك الاستيلاء على ثروتك .. ثم لا تنس بهذه المناسبة
أن تزور في طريقك أحد كبار صانعي الثياب لتجهزك بتوب أنيق ..
— ولكن .. اسمع بالوسوء ..

يد أدهم يترك لي فرصة للاعتراض ولووح بيده مودعاً ، فوضعت الحافظة في جيبه .
وركت عربة أسرعت بي إلى شارع (باسنجهول) حيث يوجد مكتب شرکة المحاماة .
وعند ما وصلت إلى المكتب للذكور ، وأرسلت بطاقة مع خادمه ، خفلاً استقبلاني
رجلان قصبيان يرتديان اثياب السوداء ، فرجحا بي ، ووضعت بين يدي الخادم ورقة
ذات عشرة جنيهات ليدفع أجرة الحوذى ، وجلست بعد ذلك إلى الرجلين صاحبي المكتب
وشرعناني في الحال تتحدث في موضوع زيارةي ..

علمت منها أن موافقى الذى لم أره أبداً على ما أذكر ، والذى رآني مراراً طفلاً

يتباهى بين يديه هر يرقى قد ترك لي كل ثروته الطائلة بلا ولاقيه شرط ، كما ترك لي مجموعة
نادرة من المخطوطات والتحف الفنية ، وأنه كتب وصيته باختصار وبأسلوب سلس لا يدع
حالاً للمناقشة من الوجهة القانونية . وفهمت من الحاميين أنه لا ينفعني أسبوع أو عشرة
أيام حتى يتم جميع الإجراءات ، وتنقل الثروة إلى حوزنى ..

قال لي مستر بنهام وهو أكبر الشركين مثناً : إنك رجل سعيد الحظ يا ماستر عبست
نم أردد وهو يطوى الأوراق التي خصتها معاً : نعم .. إملك سعيد الحظ .. على
آن ثروة هائلة كهذا تؤول اليك في هذه السن للبكرة متكون بالنسبة إليك إما فعمة
عظيمة وإما فعمة هائلة ، لأن حجازة مبلغ حسيم كهذا تخلق مشكلات جسيمة ..
فنظرت إليه طويلاً .. وساورني أن أراه .. وهو الحامي البسيط الذى لا عمل له غير
خدمة القانون .. يتدخل فيما لا يعنيه ويقف على الحظ السعيد الذى وقع من نصيف ..
قلت له : كثيرون من الناس يتعلمون الاختطاع بثل هذه المشكلات وينتوفون إلى
آن يخدعوا أنفسهم مكابي بين عشبة وشحها .. وأنت أحد هؤلاء الناس ولاشك ..
كنت أعرف ما في كلّي من العجز .. وأنها لا تدل على حسن التدovic .. ولكن
تعدمت أن أقولها .. لأنّه لم يكن من واجبه أن يتحدث عن مشكلة ..
على أن الرجل لم يتجرأ ولم يرد عليه أنني خدشت شعوره . وكل ما فعله أنه نظر إلى
نظرة الغراب للآخر وقال :

— كلا يا ماستر عبست .. لا أعتقد أنني أميل إلى أن أجده نفسي في مكانك فأنا
راض بعيشي . وهذا قال شريك مستر إيليس وهو يبتسم :

— إن مستر بنهام فيلسوف .. الواقع يا ماستر عبست أن مهنتنا تكمنا من أن
نرى كل يوم كثيراً من العجز .. فحن نشهد منارتفاع عملاً وانحداراً مما يعلمنا
فصيلة القناعة ..

فقلت : أنا لم أوفق في جيبي إلى تعلم هذه القضية ... ومهما يكن من أمره فإني
راض أشد الرضى عن حالى في الوقت الحاضر .

فأخذ الرجال قائمتهما أمامى باحترام . وشد مستر بنهام على يديه وقال في أدب :
— أما وند فرغنا من تفاصيل العمل فاصبح لي أن أهنىءك .. ولا شك أن لك

مطلق الحرية في سحب أعمالك من أيدينا وناملتها بأخرين . فإذا أردت ذلك فليس
أنا أنا وشريكك إلا أن تخرب بارادتك . . . على أن مورثك الكربي كان بعض فني
فنهـ . . . ومن . . .

فقالت بقولي : أؤكـد لكـأنـهـقـبـلـعـظـيمـكـذـكـ. . . وأرجـوـأنـنوـاصـلاـ
الاشرافـعلـىـشـؤـونـكـأـشـرـفـعـلـأـعـمـالـمورـفـ. . . وإـنـأـشـكـلـكـعـهـودـكـاسـقاـ. . .
فـأـحـيـالـرـجـلـانـقـامـيـمـاـمـرـةـأـخـرـىـ. . . وـشـدـمـسـترـإـيلـيـسـعـلـىـيدـيـوقـالـ:ـسـيـذـلـ
فـخـدـمـتـكـكـلـمـاـمـسـطـعـيـمـنـجـهـدـيـامـسـتـرـتـعـبـتـ. . . أـلـيـسـكـذـكـيـاـبـتـهـامـ؟ـ

فـأـطـرـقـبـتـهـامـبـرـأـسـهـ. . . وـاستـطـرـدـمـسـتـرـإـيلـيـسـ:ـ
ـوـالـآنـ. . . مـاـقـولـكـيـاـبـتـهـامـ. . . هـلـخـدـمـهـبـالـأـمـرـأـوـلـخـدـمـهـ؟ـ

ـفـأـسـابـبـبـتـهـامـ:ـرـبـعـاـكـانـمـنـأـوـقـقـمـأـنـخـدـمـهـ. . .
ـفـنـظـرـتـإـلـىـأـحـدـهـ. . . نـمـنـظـرـتـإـلـىـآـخـرـ. . . وـلـمـأـفـهـمـمـاـيـفـصـدـانـ.

ـوـفـرـكـمـسـتـرـإـيلـيـسـكـفـيـهـنـمـقـالـ:

ـالـحـقـيـقـةـيـامـسـتـرـتـعـبـتـأـنـمـورـثـكـالـكـرـبـيـكـاتـلـدـيـهـفـكـرـةـعـجـيـبـ. . . إـلـيـهـ

ـكـانـحـرـيـصـاـوـحـادـقـاـ. . . وـلـكـنـمـنـلـلـوـكـدـأـنـفـكـرـةـعـجـيـبـكـاتـتـلـازـمـهـ. . . وـأـعـقـدـأـكـهـ

ـلـوـغـلـدـيـمـعـهـذـهـفـكـرـةـلـكـانـمـنـخـتـمـلـ. . . نـعـمـ،ـلـكـانـمـنـخـتـمـلـأـنـتـسـوـهـهـ

ـإـلـىـمـسـتـشـقـالـجـاـزـبـ. . . وـكـانـعـكـنـإـلـىـجـاتـبـذـكـأـنـيـتـسـرـفـبـرـوـتـهـغـبـهـذـهـ

ـالـتـصـرـفـرـشـبـدـ. . . وـلـكـنـمـنـحـسـنـحـظـأـيـضاـأـنـهـلـيـتـهـادـفـهـاـوـظـلـمـ

ـحـقـالـلـحظـةـالـأـخـيـرـةـمـنـحـيـانـمـعـتـفـظـاـبـالـعـقـلـوـحـسـنـالـتـبـيرـ. . .

ـوـلـكـنـأـلـاـنـعـقـدـمـيـيـاـبـتـهـامـأـنـهـلـيـطـرـحـنـهـيـاـتـلـكـالـكـرـةـعـجـيـبـ؟ـ

ـفـأـجـابـبـتـهـامـ:ـأـظـنـيـاـيـلـيـسـوـأـعـقـدـأـنـهـكـانـمـقـتـعـاـهـ. . .

ـوـقـدـعـلـكـتـيـالـلـلـاـةـوـالـسـأـمـمـنـهـذـهـالـخـاـوـرـةـغـرـيـبـةـخـلـقـتـبـتـبـحـرـ:

ـوـلـكـنـمـاـكـاتـتـلـكـالـكـرـةـعـجـيـبـ؟ـهـلـكـانـلـدـيـهـاـخـتـرـاعـبـرـأـدـاسـتـهـارـهـ.

ـأـوـكـانـيـرـيـدـتـبـدـيـدـرـوـتـهـفـيـمـشـرـوـعـلـطـيـرـانـأـوـغـيـرـذـكـ؟ـ

ـفـضـحـكـمـسـتـرـإـيلـيـسـوقـالـ:

ـكـلاـ. . . كـلاـيـاـسـيـدـيـالـعـزـيزـ. . . إـنـهـلـمـيـكـنـمـنـهـوـأـهـمـيـلـ

ـإـلـىـالـجـازـقـاتـالـجـارـيـةـ. . . لـأـنـهـكـانـمـنـخـصـومـفـكـرـةـالـرـقـالـعـرـانـ. . . وـلـمـيـكـنـفـ

ـالـأـمـكـانـحـمـلـهـعـلـشـجـيـعـالـاـخـرـاتـوـالـبـكـرـاتـالـجـدـيـةـ. . . وـلـعـكـتـلـاحـظـأـنـجـارـ

ـحـقـاـقـفـيـسـيـرـذـكـالـفـكـرـةـالـفـرـيـدـةـالـعـجـيـبـةـالـىـعـلـكـهـ. . . وـلـكـنـمـاـلـاشـكـفـيـهـأـذـاـ

ـلـمـغـرـفـأـبـدـأـكـفـاستـطـعـأـنـيـجـمـعـثـرـوـتـهـالـطـائـلـةـ. . . أـلـيـسـكـذـكـيـاـبـتـهـامـ؟ـ

ـفـهـيـزـبـتـهـامـرـأـسـهـوـلـمـيـحـبـوـاسـتـطـرـدـمـسـتـرـإـيلـيـسـ:

ـإـنـهـأـتـحـنـنـاـعـلـىـثـرـوـتـهـ. . . فـكـنـاـعـنـدـحـسـنـظـهـبـاـ. . . وـأـدـيـاـالـأـمـاءـبـاـخـلـاـسـ. . .

ـعـلـىـأـنـعـيـلـاـنـالـكـرـبـمـلـيـذـكـرـلـاـفـكـرـتـهـالـعـجـيـبـإـلـاـعـدـأـنـقـضـيـنـاـفـخـدـمـتـهـعـدـةـ

ـأـعـوـامـ. . . أـمـاـفـكـرـهـمـدـهـشـهـحـقـاـ. . . اـنـهـلـمـتـكـعـرـدـفـكـرـةـ. . . بـلـكـانـبـالـنـسـبـةـ

ـإـلـيـهـعـقـيـدـةـرـاسـخـةـ. . . كـانـيـعـتـقـدـأـنـهـبـاعـنـسـهـإـلـىـالـشـبـاطـ. . . وـأـنـهـفـازـمـنـالـصـفـقـةـبـهـذـهـ

ـالـأـمـوـالـالـطـائـلـةـ. . .

ـوـهـنـاـلـمـأـتـالـكـأـنـضـحـكـ. . . وـاـسـتـغـرـقـفـالـضـحـكـطـوـيـلـاـنـغـلـ. . . فـلـتـ:ـيـاـلـهاـمـنـعـقـيـدـةـ

ـضـحـكـ. . . مـسـكـيـنـذـكـالـرـجـلـ. . . لـاـشـكـأـنـهـكـانـنـقـطـةـضـعـفـفـقـوـاهـعـقـلـةـ. . .

ـأـوـأـنـهـكـانـيـقـوـلـذـكـعـلـسـيـدـلـالـسـعـابـ. . . وـنـهـضـتـوـاقـفـاـ. . .

ـفـقـالـمـسـتـرـبـتـهـامـ:ـمـمـهـيـكـنـمـنـأـمـرـفـانـيـأـنـيـلـكـالـسـعـادـةـيـمـسـتـرـتـمـسـتـ. . .

ـعـوـفـتـرـاـنـاـدـاعـأـمـاـفـخـدـمـتـكـبـأـمـاـةـوـإـلـاـسـ. . . كـانـمـنـخـدـمـنـاـمـورـثـكـالـرـحـوـمـ. . . وـنـخـنـلـنـ

ـعـقـرـفـبـذـلـتـصـحـلـكـ. . . وـلـرـشـادـكـإـلـىـخـبـرـالـسـبـلـوـأـضـيـنـهـالـاستـهـارـثـرـوـتـكـ. . . وـلـكـنـ

ـلـهـذـهـالـنـاسـةـهـلـتـسـمـعـلـأـنـأـسـأـلـكـعـمـاـإـذـاـكـتـنـرـيـدـشـيـتاـمـنـالـمـالـعـلـىـالـحـسـابـ؟ـ

ـفـأـجـتـرـأـنـأـشـعـرـبـالـشـكـرـوـالـوـفـاءـلـصـدـيقـرـعـابـرـالـدـىـوـفـرـمـلـيـمـؤـونـةـالـاـتـجـاهـإـلـىـ

ـالـعـوـنـةـالـخـيـامـيـنـ:ـكـلاـ. . . شـكـرـأـلـكـ. . . فـانـمـعـيـمـنـالـمـالـأـكـثـرـمـاـيـكـفـيـ. . .

ـوـرـأـتـعـلـىـوـجـهـيـمـاـعـلـأـمـدـهـتـةـ. . . وـلـكـنـهـمـأـمـسـكـاـ. . . وـلـمـيـلـقـبـاـعـلـسـوـالـأـخـرـ

ـتـرـكـلـهـأـعـنـوـانـالـجـدـيـدـبـالـفـنـدقـالـكـبـيرـ. . . وـوـدـعـهـمـاـوـأـصـرـفـبـعـدـأـنـنـفـحـ

ـحـادـمـالـكـتـبـبـقـطـعـةـمـنـالـقـوـدـ. . .

ـوـسـرـتـبـعـدـذـكـحـولـدارـالـحـسـكـةـوـجـعـلـتـأـحـاـوـلـوـأـنـأـمـنـيـمـشـيـةـمـسـتـدـةـأـنـ

ـأـقـعـنـفـيـبـأـنـيـأـصـبـحـتـحـقـيـقـةـمـلـيـونـرـأـحـسـمـرـاتـ. . . وـشـاءـتـالـصـدـفـوـأـنـأـدـورـفـ

ـأـحـدـأـرـكـالـشـارـعـأـنـأـجـدـفـيـوـجـهـأـمـامـدـاتـالـنـاـشـرـالـذـيـرـفـنـقـقـبـالـأـمـسـ

ونركت ساعده .. فتراجع إلى الوراء حائراً غبولاً .
وغمم يقول : يافه .. كأني في حلم .. أؤكد لك أنك لم تذهب في حيـانـكـاـ دهشت الآآن .

فقلت له وقد أغتراني الشيطان بالشحـثـ من جـدـيدـ :
— وأنا كذلك .. ولكن توـقـ بأنـهـ تـقـ فيـ الحـيـاةـ فـبعـضـ الـأـوقـاتـ حـوـادـتـ أحـجـبـ
ماـيـخـيلـ أـوـسـعـ الـقصـصـينـ خـبـالـاـ .. وـهـذـهـ القـصـةـ الـتـيـ وـضـعـتـهاـ وـرـضـعـهاـ الـكـثـيـرـونـ سـوـفـ
تـكـوـنـ قـصـةـ الـلـوـسـمـ وـسـوـفـ تـصـيـبـ مـنـ النـجـاحـ مـاـلـمـ تـصـبـ قـصـةـ آخـرـ هـذـاـ العـامـ .

كمـ منـ المـالـ تـرـيدـ لـتـشـرـفـ عـلـىـ اـخـرـاجـهـاـ وـتـوزـعـهـاـ ?
— كـمـ أـرـيدـ أـنـاـ !ـ لـتـشـرـفـ عـلـىـ إـخـرـاجـهـاـ ?

— نـعـمـ أـنـتـ .. وـلـمـ لـاـ إـذـاـ كـنـتـ أـهـيـ مـكـ الفـرـصـةـ لـتـرـبـحـ رـبـحـ حـلـلاـ فـهـلـ هـذـهـ
ماـيـنـعـكـ مـنـ قـبـلـهـاـ !ـ إـنـكـ وـلـاشـكـ لـتـعـبـ الدـنـاـ اـسـتـأـجـرـهـ بـأـمـوـالـكـ تـقـرـاءـهـ
قصـصـ الغـيرـ .. أـنـتـ حرـ بـأـرـجـلـ .. وـهـذـاـ بـلـدـ الـحـرـةـ ،ـ فـلـادـاـ قـصـعـ فـقـسـتـ تـحـتـ نـيرـ أـوـلـكـ
الـقـادـلـزـيـنـ الـذـيـنـ لاـيـعـرـفـونـ مـنـ التـقـدـإـلـاـ أـنـ يـعـمـلـواـ عـلـىـ الـلـوـلـفـاتـ الـشـمـرـةـ الـتـيـ نـهـدـدـ مـوـلـفـاتـهـ
«ـ بـالـبـوـارـ »ـ سـادـفـ لـكـ نـقـاتـ شـرـ قـصـقـ .. سـادـفـ لـكـ كـلـ مـاـ تـطـلـبـ وـأـكـدـ لـكـ أـنـ هـذـهـ
الـقـصـةـ سـوـفـ تـشـيـدـ مـجـدـيـ كـوـلـفـ وـمـجـدـكـ كـنـاشـرـ ..

ـ صـابـدـ الـكـثـيـرـ فـالـاعـلـانـ عـنـهـاـ .ـ وـسـارـشـوـ الصـفـ ..ـ آنـ الدـمـ وـالـفـهـاـرـ تـبـاعـ
ـ وـدـشـرـىـ بـالـقـرـدـ فـهـذـاـ الزـمـنـ ..ـ

ـ فـقـاطـعـتـ بـقـوـهـ :ـ كـفـ ..ـ كـفـ ..ـ إـنـكـ أـخـدـتـيـ عـلـىـ غـرـةـ فـاتـرـكـ لـىـ فـرـصـةـ لـلـفـكـرـ ..
ـ فـلـرـكـ لـىـ بـعـضـ الـوقـتـ ..

ـ قـلـتـ لـهـ :ـ سـأـسـعـ لـكـ يـوـمـ وـاحـدـ لـلـتـرـوـيـ وـإـعـمـالـ الـفـكـرـ ..ـ وـلـنـ أـسـعـ لـكـ بـالـمـزـيدـ ..
ـ وـإـذـاـ رـفـضـتـ فـسـأـحـدـ غـيرـكـ يـرـحبـ بـالـرـبـحـ الـمـؤـكـدـ الـتـنـظـرـ ..ـ فـكـنـ حـكـيـمـاـ بـأـرـجـلـ ..
ـ وـطـابـ يـوـمـكـ ..

ـ وـتـرـكـهـ وـمـضـيـتـ فـأـسـرـعـ فـأـنـرـىـ وـهـوـ يـقـولـ :
ـ رـوـيـدـكـ ..ـ رـوـيـدـكـ ..ـ إـنـكـ غـرـبـ الـأـطـوارـ الـيـوـمـ وـغـيـلـ لـىـ أـنـ رـأـسـكـ مـضـطـرـبـ ..
ـ بـلـ إـنـ رـأـسـيـ مـرـنـ كـاـلـ يـرـنـ فـأـيـ يـوـمـ مـضـىـ ..

وقفـ الرـجـلـ وـنـادـىـ :ـ هـاـ لـوـ ..ـ إـلـىـ أـيـنـ أـنـتـ ذـاهـبـ ؟ـ أـمـاـزـاتـ تـبـحـثـ عـنـ وـسـيـةـ
ـ لـتـخلـصـ مـنـ قـصـتـكـ الـمـجـوـسـةـ ؟ـ صـدـقـيـ بـاـ وـلـدـيـ الـعـزـيزـ أـنـ لـاـ رـجـاءـ فـهـذـهـ الـقـصـةـ
ـ فـأـسـلـوـبـهـاـ الـحـالـىـ ..

ـ فـأـبـيـتـ فـيـ هـدـرـ ..ـ بـلـ الـرـجـاءـ فـيـاـ عـظـيمـ ..ـ وـسـأـتـولـىـ بـنـفـسـيـ نـشـرـهـاـ ..
ـ خـفـقـ فـيـ وـجـهـيـ لـمـدـهـوـشـاـ ..ـ وـقـالـ :ـ تـتـولـىـ بـنـفـسـكـ شـرـهـاـ ؟ـ وـلـكـنـهاـ تـكـفـلـكـ كـثـيرـاـ
ـ وـرـبـعـاـ بـلـغـ ..ـ نـفـقـاتـهـاـ سـيـنـ ..ـ أـوـ سـبـعـينـ ..ـ أـوـ عـانـيـنـ جـنـبـهـاـ ..
ـ لـايـهـمـىـ أـنـ تـكـافـيـ أـفـاـ مـنـ الـجـنـيـهـاتـ ..
ـ فـاحـرـ وـجـهـ الـرـجـلـ وـظـهـرـتـ عـلـىـ وـجـهـهـ عـلـامـاتـ الـدـهـشـةـ ..
ـ قـالـ :ـ لـقـدـ كـنـتـ أـظـانـ ..ـ عـفـواـ ..

ـ وـارـجـعـ عـلـيـهـ القـوـلـ وـأـرـدـفـ :ـ كـنـتـ أـظـانـ أـنـكـ فـيـ عـسـرـ مـالـ ..
ـ فـأـبـيـتـ مـقـتـبـاـ :ـ كـنـتـ حـقـيقـةـ فـيـ عـمـرـ مـالـ ..ـ أـمـاـلـآنـ فـلـاـ
ـ فـازـداـتـ دـعـنتـهـ وـبـدـاـ عـلـىـ وـجـهـهـ مـنـ عـلـامـاتـ الـحـبـرـةـ مـاـ جـعلـنـيـ أـسـتـرـقـ فـيـ الـفـحـلـ
ـ وـلـمـ ضـحـكـيـ أـزـعـجـهـ وـرـوـعـهـ ..ـ لـأـنـهـ أـخـذـ يـتـلـفـتـ حـولـهـ بـسـرـعـةـ كـأـنـهـ يـبـحـثـ عـنـ مـكـانـ بـفـرـعـ ..
ـ إـلـيـهـ ..ـ وـلـعـلـهـ تـوـهـ أـنـيـ أـصـبـتـ بـخـلـ ..ـ غـيرـ أـنـيـ أـسـرـعـتـ قـبـضـتـ عـلـىـ سـاعـدـهـ وـقـلـتـ وـأـنـاـ ..
ـ أـحـاـوـلـ الـتـفـلـبـ عـلـىـ نـوـبـةـ السـرـورـ الـقـيـ جـعـلـتـيـ أـقـمـهـ كـالـجـنـيـونـ ..
ـ اـمـنـ إـلـىـ يـاـرـجـلـ ..ـ إـنـيـ لـسـتـ مـجـنـوـنـ ..ـ وـلـكـنـ مـلـيـوـنـ ..

ـ وـبـدـأـتـ أـقـمـهـ مـنـ جـدـيدـ ..ـ وـلـاشـكـ أـنـ النـاـئـرـ الـخـرـمـ لـمـ يـرـ مـوـضـعـ الـدـعـاءـ مـنـ كـلـاصـرـ ..
ـ فـازـداـدـ ذـعـرـهـ ..ـ قـلـتـ لـهـ وـأـنـاـ أـحـاـوـلـ بـنـبـطـ نـفـسـ ..
ـ أـقـمـ لـكـ بـشـرـفـ إـنـيـ جـادـ غـيرـ هـارـلـ ..ـ لـقـدـ كـنـتـ بـالـأـمـسـ فـأـشـدـ إـلـطـاجـ إـلـىـ
ـ الـطـعـامـ وـلـمـ أـكـنـ أـمـلـكـ مـاـ أـقـنـاتـ ..ـ وـكـنـتـ أـنـكـ مـنـ الـكـرـمـ بـعـيـتـ دـعـوتـيـ لـتـاـوـلـ الـطـعـامـ ..
ـ أـمـاـ الـيـوـمـ فـانـيـ مـلـيـوـنـ ..ـ أـمـلـكـ خـسـنةـ مـلـيـيـنـ مـنـ الـجـنـيـهـاتـ ..ـ لـاتـتـنـظـرـ إـلـىـ هـكـذاـ ..
ـ كـاـلـوـ كـنـتـ نـوـءـكـ أـنـ قـصـابـ بـالـفـالـجـ ..

ـ إـنـيـ سـأـتـولـىـ بـنـفـسـيـ نـشـرـهـاـ ..ـ وـضـعـنـهاـ ..ـ وـسـتـجـعـ الـتـصـلـيـلـ إـلـىـ أـبـعدـ حدـودـ
ـ الـنـجـاحـ ..ـ أـنـاـ جـادـ كـلـ الـجـدـ يـاـرـجـلـ فـلـاـ تـهـشـ ..ـ إـنـ فـيـ جـبـيـ الـآنـ مـاـ يـسـاعـدـنـ عـلـىـ نـشـرـ
ـ الـقـصـةـ فـأـيـ وـقـتـ ..

— إذن دعنى أهشك من صعيم قلبي .
وشن على يدي بحرارة . ثم أردف : أما قصتك فأعتقد أن لاغدار عليها من حيث
الأسلوب . ولكنها فقط تختلف ذوق الجمهور ، على كل حال سأفكر في الأمر ملباً ..
وأرجو أن تذكر لي محل اقامتك .

فأجحت وأناأشعر برغبة شيطانية في مضاعفة دهشته إني أقيم الآن في الفندق الكبير
فتعال وقابلني هناك ، وتناول طعام الغداء أو العشاء معى إذا شئت ، فقط يحب أن
تبثئي بموعد زيارتك . وتذكر أنى ترك لك للفسكيه أربعاً وعشرين ساعة لا أكثر
أو أقل .. فاما القبول واما الرفض .

قلت ذلك وتركته يحملق في أترى كان أحوج به لا اسم لها هبطت عليه من السماء .
الفصل السادس — اللادى سيبيل

مررت في الأمسابع الثلاثة أو الأربعية التالية وأنا في شبه عاصمة من مشارع
واحاسات لم يكن لي يمثلها عهد من قبل فلما انقضت وجدتني لا أكاد أعرف نفسي فيها
سررت اليه . إذا أصبحت رجلاً مبتداً ملتفاً ملتفاً لا يقر له قرار ..

وكانت ذكرى الماضي تعاودني في بعض أوقات الوحدة وشروع الفكر .. فترتسم
 أمام عيني تلك الحالة البائسة التي كنت عليها وأتصور غنى كاكـت متعينا جوعاً نارـت
 الشـاب .. مـكـبا على طـاولةـ السـكتـابـةـ في غـرـفـةـ الـحـقـيرـةـ الفـقـرـةـ إلىـ كلـ أـسـبـبـ الـرـاحـلـةـ
 والـطـمـانـيـةـ .. حيثـ كنتـ أـسـعـيـ بـقـوـةـ خـيـالـيـ علىـ أـخـلـقـ مـنـ بـؤـسـ نـعـمـ .. وـمـنـ
 وـحدـقـ حـاجـلاـ ..

علىـ أـنـ قـوـةـ الـفـكـرـ وـالـتـخـيلـ الـقـيـ كـتـ أـجـعـلـ بـهـاـ مـنـ شـفـانـيـ سـعادـةـ،ـ قدـ رـكـتـ
 وـجـدتـ مـذـ أـصـبـحـتـ فـيـ عـدـادـ أـصـحـابـ الـلـاـيـنـ ..ـ فـانـيـ لـمـ أـحـاـولـ بـعـدـ
 أـنـ أـعـمـلـ عـمـلاـ مـثـمـراـ ..ـ أـوـ أـنـ أـفـكـرـ فـكـيـوـاـ جـدـيـاـ وـلـكـيـ مـعـ ذـكـ كـتـ وـانـقـاـنـ
 بـعـدـ الـجـمـودـ عـارـضـ وـقـقـ ..ـ بـلـ أـنـهـ رـاحـةـ فـكـرـيـةـ كـانـ لـاـ يـدـ مـنـهاـ بـعـدـ الـقـيـ قـاسـيـ وـعـانـيـتـ
 فـيـ أـيـامـ الـبـرـسـ وـالـقـنـوـطـ ..ـ

وـكـانـ قـصـيـ توـشكـ أـنـ يـمـ طـبعـهـ ..ـ وـكـانـ مـنـ أـنـ عـوـاـمـ سـرـورـيـ أـنـ أـمـعـ نـفـسـيـ
 بـرـاجـعـتـهاـ لـلـرـةـ الـأـخـيـرـةـ قـبـلـ طـبعـهـ ..ـ

وـقـدـ اـهـمـ الـبـرـنـسـ لـوـمـيـوـ بـنـشـرـ الدـعـوـةـ لـىـ فـيـ الصـحـفـ وـغـيرـهـ حـنـ أـطـلـقـ عـلـيـ فـيـ طـولـ

البلاد وعرضها لقب (الليونير الشهور) وكذلك اهتم لومسيو بأن يجعلنى من أبرز
الشخصيات في المجتمع الراقى . وبأن يجمع بيني وبين أشهر الرجال وأجمل النساء .
جاءنى في أحد الأيام في الجناح الذى استأجرته في ذات الفندق الذى يقيم به وقال :
— إننى وعدت بأن أسطحك مى إلى مقصورة اللورد إيلتون في مسرح
(هاباركيت) هذه الليلة . واللورد رجل عريق النبل ولسكنه فقير . وأحب شئ إليه
في هذا العالم طعام فاخر . وبنية معتق . وابنته هي اللادى سيبيل .. واللادى سيبيل
— إذا لم تكون تعلم . هي إحدى ملكات الحال في إنجلترا . وقد قدمت إلى اللندن في هذا
الموسم فكانت حدث أهل البلاط رجالاً ونساء فهل تذهب مى إلى المسرح المذكور ؟
رأيت أن أقوى من الحزن البهم والاقباس بقبول هذه الدعوة . وكان يسرى فضلاً
عن ذلك أن أمعن للزېيد من أحاديث لومسيو على ما فيها من سخرية تولى في بعض
الأوقات . قلت له : إننى رهن إشارتك . ففي أي وقت تنتق ؟ فأجاب : ارتدى ثياب
السهرة الآن . ثم الحق بي لتناول طعام العشاء سوية ومن ثم نذهب معاً إلى الملهى .
إن القطعة المسرحية التي تختل على مسرح (هاباركيت) هذه الليلة هي من النوع
الذى راج في اللدة الأخيرة . هي تجسيد لإمرأة « ساقطة » . ومجزأها أن الناس لا يحبون
أن يلوموا المرأة التي تتبع جسدها لإهانة أمرتها العريقة من مذلة الفقر . وفي ذلك كما
نعلم ما فيه من اهتمام الفضيلة والتحريض على الشرف . وسوف تسمع بأذنيك أن الناس
يصفقون طويلاً لهذه البطلة العصرية ..

في اعتقادى أن الرواية لا تستحق أن يشمدها الإنسان . . . ولكن في إحدى
مقصورات المسرح ما هو أجمل من الرواية . وأعني اللادى سيبيل .
وابتسם مرة أخرى وكانت التبران فى الموقف قد خدت أو كدت . فأضفت التور
الكهربائى . وعندئذ بدا لي وجه لومسيو أجمل وأبيل مما رأيته فى أي وقت مضى ..
لم تستطع كتihan اعجاشى .. . وقلت له : ألم تلاحظ أن جميع الناس يتظرون إليك أينما
سررت يا لومسيو ؟

فضحك وقال : ولماذا يتظرون إلى ؟ إن كل انسان فى شغل بنفسه عن النظر
إلى كل عابر سبيل .. وقد لاحظت فعلاً أن بعض النساء يتظرن إلى . . . ولكن كما

تستر المرة . . أى يزوج من الماء، ولذلك ، الذين ها كل سلاح المسن الضعف .
لقت وأنا لا أزال أنظر اليه بعيون كأنظر الى سورة فاتحة خالدة أو الى تحالف
من أجمل ما سمع اللانون : وأنا لا ألوم أولئك النساء . . ولكن ساقولك في الادى
سيبل التي منجع بها الالية ؟ وكيف تنظر اليك ؟
فأجاب : إن الادى سيبل لم ترق فقط ، أما أنا فرأيتها طليقاً .. وإنما كان
ولدها الوره قد دعانا الى وقاصوره هذه الالية فـ « ألمعنتا اليها » ..
فقلت ملائكة : إنك هناك امشروع زواج !!

فأجاب بذلك الهمة الباردة التي تحمل منه في بعض الأوقات أشجان ، مثل سلط
مقبت : ثم ، وأعتقد أن الادى سيبل معروضة قديم ، ولكن الجن ليس دفع لها
على الآن ما يمكن كثافها . وأنا شخصياً لا أود النساء لأنني أكره النساء . .
ـ أنتول الصدق ؟

ـ إنى أذكر الحسين يا صاحبي ، فالنساء هن مصدر مناعي ، وهن الان أمن
المدن في سيل ، وهناك مسب آخر يضاف مقتن لمن يصدمة خاتمة ، فلقد وجدت
الطيبة قوية عظيمة تكتهن من عمل الجم ، ولكنها يضيق هذه القراءة هنا ، متورأ ،
وسرفني عذابهن الى كل ما هو مقبت سجع ، ولا غابة طن في الحياة إلا أن يستمتن
باعطائهم وإن بدأن في هذا السيل أتمن ما يعلكن ، وإن النساء أجمد حاملة من بر جبال
وأشدهن قساوة ، وهن فضلا عن ذلك أمهات الجنس البشري ، وجميع رذائل هذا
الجنس البشري هن شوعها ومصدروها . .

هذا كله أذكر النساء كلاماً أكرهه حيناً آخر في الوجود ..

سألته بدهشة : أتريد الجنس البشري على أن يكون كاملاً لا نعم في فيه استعمال
يأسامي أن يصل الجنس البشري الى السكال ، وإلا ادفع الناس الى مرتبة للإسكن ،
فهم واتقا ، وفكرا لحظة بسيطة ثم فجروا : إإن كل شيء في الوجود كامل
إلا هذا المخلوق الذي هو الانسان .. فهل أحلات العنك وأعانت الناظر وخدلت عن
البيب الذي يحمل من الآنسان هذا المخلوق غير الكتمل من دون محظوظات المجد ، يمام
أبيت : كلا ، لم أفكر في ذلك ، لأنني أظر الى الأشياء كما هي ، ولا أؤنس عن معانها

قال : وأنا كذلك .. أنظر الى الناس وأؤرى بهم ما يرون في ، إلى اللقاء يا عزيزى
ولا تنس أن موعدنا ناول العشاء بعد ساعة .. وفتح ابواب والصرف .
وبنيت وحدي أفكرا في هذا الرجل العجيب ذي الأطوار الشاذة والظواهر المتلاطفة ،
 فهو فلسوف ساخر ، وفي رأيه .. عن اخذه ويتها ، وحسن الى التشر وصفن عليهم .



لا يوجد رجل على ما أعتقد سوى الحنظة العصيدة التي روى فيها لأول مرة في حياته
أمرأة جميلة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ..

قد يرى الرجل في لحظة سرعة آلة من آيات الحال في امرأة غير « في الطريق العام ،
وتد بفتح نظره وجه جميل التقاطع ، أو قوام مشوق .. وند بفتح عيناه في أسرع
من خطب الرق بين ساحرين تلقان تألق الجحوم ، قد يرى الانسان وقد بفتح
تلته ، وعبر به ثواب من ذلك كنه ، ينترك في نفسه العطشى الى الحال بأثير اسرها
لا بلت أن يرزو ، ولكنه لا يكاد يرى كل مساري الحال كما عليه دمه وحافت السماء
نفسه ، جسمة في عنوانة واحدة يجمع الى جمال الوجه ورشقة القنة وسحر العينين
والأخونة الناشئة ملوكه اسرارى ، وكل الحال ، حتى يشعر - ولا زوم عليه - أن قد
أصبح أبداً ذاهب اللب لا يعلمك من فرقة الارادة شيئاً ..

ـ إيهـ ما شعرت به عندما التقينا ، الادى سيبل ايلتون وارتمنت أحدهما الطوبية
السوداء ، عن عينيها البنفسجتين وأفقت على نظرة يخرج فيها الاهتمامقة الاكتراث
لكرة من مرمي ذلك الحشرات اليمامة التي تدل في النساء على التربية المالية ولكنها غالباً
ما يحمل الرجل بخزعاج الحساسية ويعذر شعوره ..

وكتب تقدمة ذلك دريمانيز مقصورة الوره ايلتون عرض (هايدركيت) فيما بين
الفصلين الأول والثان من الرواية .. فنهض الوره مرحاً وهو يشيخ أصلع الرأس أسر
الوجه .. ٤ دروش يضاء متطربة فشد على يد البرنس ريمانيز وهو يعاشره بغرارة (وند
حدثتها بها بعد أن سب هذا الترحب بالبرنس زاغة أن هذا الأخير أقره أنه أمة من
الجنيهات المزروطة سهلاً)
ـ أما الادى سيبل فتها لم تحرك ساكناً وخلل الوجهة الأولى أنها لا تعلم بوجودها

إلى أن تكمل معها ولدها بعده فاتلا : سيبيل .. أقدم الباب إلى رئيس ريمانز وصديقه
مسترجيوفري تقبلا ..

وعندئذ دأب اللادى سيبيل رأسها السليم ، وشرفنا بذلك النظرة التي حاولت وصفها
وقد وقع جهازا من نفسى موقعا عقل لسانى ، فوقفت مشدوها مضطرباً ملبي
الباب لا أقدر على الكلام
وأيدى الورد الكمال عدة ملاحظات على الرواية ، لم أسمها عاماً ولكنني أجرت
عليها بكلمات مهمة ..

ونجحت ريمانز إلى اللادى فرُهفت أذنِي وسمعته يقول : وأخيراً أتيح لي بالادى
سيبل شرف التعرف بك .. إنني رأيتكم مراراً على مبعدة .. كما يرى الانسان خجلاً
فأوشح ركن شفتها البدعتين بابتسامة طفيفة باردة ، وأجاية
ـ لا أظن أنني رأيتك قبل الآن ، ومع ذلك فان في وجهك شيئاً ما لوهَا يجعلنى
أعتقد أنني أعرفك .. لقد سمعت والدى بتكلم عنك كثيراً .. ولست مخاجة طبعاً إلى
أن أقول لك إن أصدقاء والدى هم دائماً أصدقائي ..

فأخذت الأمير قامته باحترام وقال : إن من يتحدث إلى اللادى سيبيل يتلوى يحيطى
بسعادة محسده عليها سائر الرجال .. أما من يغزو بصفتها فـ كأنه اكتشف الجنة المفقودة
فضعدت إلى وجنتها حمرة طفيفة .. غامت بقاة .. وحل محلها انتقام فاقع وارتخت
أعضاء اللادى ، ومدت بدها لجمع حول بدنها الجليل أطراف مطفها .. وأنساع
ريمانز في الحال .. فساعدها على وضع الملعظ المعنطر فوق كتفها البدعتين
ثم تحول إلى وقال لي وهو يضع مقعداً خلف مقعد سيبيل :

ـ هل لك أن تخالس هنا يا برجيوفري .. وينما أتحدث إلى الورد يتلوى في شأن خاص؟
جمعت أطراف شجاعى ، وأسرعت إلى اتهار هذه الفرحة السعيدة التي أعادها إلى
صديق .. ووتب قلبي بين ضلوعى وبنية جنون حين تحول إلى سيبيل وعلى شفتها ابتسامة
تشجيع .. سألتى بطف : هل أنت من أعز أصدقاء البرنس ريمانز؟
فأجبت : نعم .. ونحن لا نفترق إلا قليلاً .. واعتقادي فيه أنه سديق تطيب عشرته
فقالت وهي ترنو نحو الأمير حيث جلس يتحدث إلى أبيها باللهجة جدرية :

ـ وذلك هو اعتقادى أيضاً ..
لم يكن ثمة شك في أن لصديق لوسيو شخصية عجيبة جداً ، ومع أن هذه حقيقة
لا يمكن إسكنارها .. إلا أنها شعرت نحوه بالحسد حينما سمعتها تختصه بذلك للدبح
والاطراء .. وخيّل إلى أنها فما قالت قد دلت على أنها ينقصها الدهام ، والرونة شأن
الرجل الذى يधّر إحدى النساء بصوت مرتفع .. على مسمع من امرأة أخرى تجالسه
وقد ذكرت كلمات لوسيو ريمانز حين قال : «أعتقد أن اللادى سيبيل معروفة
لليسع ..» وقد ذكرت في الوقت نفسه الملابس الخمسة التي أملكها ونظرت إلى الورد
المجوز فأقتنى يصفي بانتهائه إلى حدود ريمانز الذى كان ولا شك يدور حوله ..
ثم أردد بصري إلى اللادى سيبيل ونظرت إلى تقاطيعها الجميلة .. وخيّلها الناصع
وكتفيها العاجين وثديها البارزين .. وامتنع بصري فوق ثروة الشعر الكستنائي الجليل
الذى يكال رأسها .. ثم قلت لنفسى :
ـ كل هذا الجمال للريع .. ولا بد أن أبتاعه مهما كان الثمن ..
وفي هذه اللحظة تحولت إلى اللادى سيبيل ونظرت إلى بعينها البشمسجعىين نظرة
ناصعة ماحرة .. وقالت : إنك مستر غبست الشهور .. أليس كذلك؟
فقلت وأناأشعر في أعماق بالارتياح والاعتزام :
ـ المشهور؟! أنا لمأشهر بعد .. وقصى لازال تحت الطبع ..
فارتفع حاجياعا .. وتغضبت جبهتها المرتفعة وقالت : قستك!! لم أسمع أنك وضعت قصة
وهذا ذهب اغتابتى .. وقلشت كبرائي ..
قلت لها :
ـ لقد شرت بعض اعلانات كثيرة في مختلف الصحف .. ولا بد ..
ففأمامعتنى مناخكة : أنا لا أثرأ الاعلانات أبدا .. فقراءتها مضيعة لوقت .. والأشياء
الجديدة يندر أن تخرج إلى إعلان .. وإذا كنت قد سألك هل أنت مستر غبست الشهور
فأنا لأعرف هل أنت مستو تدبست المليونير السكير الذى أشادت بذلك الصحف في
الأسابيع الأخيرة؟!
أجابت رأسى علامه الإيجاب فنظرت إلى من فوق مرؤوحها نظرة فضول وقالت :
ـ لا بد أنك مستطع لأنك كل ذلك كل هذا المال الكبير .. وأنت فضلاً عن ذلك في
مقتبل العمر ، وحبل المنظر ..

فابتسمت وقد سرني هذا الاطراء . وقلت : إنك روضة الخلق جداً بالادى سبييل .
فضحكـت ضحـكة قـصـيرة عـذـبة وقالـت : مـاـذا ؟ لـأـنـي قـلـتـ الحـقـ إـنـكـ فيـ اـوـاقـعـ
فيـ مـقـبـلـ الـعـمـرـ وـجـبـلـ النـظـرـ وـجـمـيعـ أـصـحـابـ الـلـاـيـنـ رـأـيـهـمـ منـ قـبـلـ كـانـواـ عـلـىـ
سـابـ كـيـرـ مـنـ الـقـبـحـ . وـالـظـاهـرـ أـنـ الـأـقـدـارـ الـقـيـمـ وـهـيـمـ الـلـاـيـنـ قـدـسـلـبـهـمـ العـقـلـ النـاطـحـ
وـالـخـلـصـيـةـ . . . وـالـآنـ حـدـثـيـ عنـ قـصـتكـ .
وـتـحـورـتـ جـلـةـ مـنـ قـيـودـ التـحـفـظـ وـالـقـالـيدـ .

وراحت تنصت إلى حديثي باهتمام غير آبهة بما يقال على خشبة المسرح . وكما تکامـلـ
فيـ بـعـضـ الـأـوقـاتـ هـسـآـ فـارـفـعـ مـنـ بـيـنـنـاـ كـلـ تـكـافـ وـتـصـعـ . وـتـفـاعـلـ اـرـتـياـحـيـ إـلـىـ
جـلـسـهـاـ إـلـىـ التـحدـثـ إـلـيـهاـ وـسـاعـ حـدـيـثـهـاـ . فـلـمـ اـتـهـتـ الرـوـاـيـةـ كـانـتـ قدـ مـلـكـتـ عـلـىـ لـيـ
بـلـطـفـهـاـ وـرـشـاقـهـاـ وـعـذـوبةـ صـوـتهاـ .
وـغـادـرـنـاـ لـلـقـصـورـةـ وـالـسـرـحـ بـعـدـ ذـلـكـ . وـكـانـ لـوـسـيـوـ لـاـزـالـ فـيـ حـدـيـثـ الـهـامـ مـعـ الـلـوـرـدـ
إـلـيـتونـ . فـاـغـرـدـتـ بـعـسـادـةـ الـلـادـيـ سـبـيـيلـ عـلـىـ الصـعـودـ إـلـىـ مـرـكـبـهـاـ . وـلـمـ تـبـعـهـاـ وـالـدـهـاـ
وـقـفـتـ مـعـ لـوـسـيـوـ يـابـ الـرـكـبةـ لـتـوـدـعـهـاـ . فـشـدـ الـلـوـرـدـ عـلـىـ يـدـيـ بـعـرـارـةـ كـانـتـ أـحـدـهـاـ
مـنـ ذـمـنـ بـعـيدـ . وـقـالـ لـهـ :

— هلـ لـكـ فـيـ تـنـاـولـ طـعـامـ الـعـشـاءـ مـعـنـاـ ؟ الـيـوـمـ يـوـمـ الـلـلـاـنـاـ . . . سـأـتـظـرـكـ يـوـمـ
الـخـيـسـ لـلـقـيلـ . فـلـاـ تـدـعـنـيـ أـذـكـرـ كـمـ بـهـذـاـ الـوـعـدـ . . . إـنـ زـوـجـ الـلـاـنـفـ مـصـابـ بـالـفـاجـ
فـلـنـ تـمـكـنـ مـنـ اـسـتـبـالـكـاـ وـالـزـجـبـ بـكـاـ ، وـلـكـنـ أـخـبـاـ — شـارـلـوـتـ — سـوـفـ يـسـرـهـاـ
أـنـ تـكـرـفـ بـرـؤـسـكـاـ . أـلـيـسـ كـذـلـكـ يـاسـبـيـيلـ ؟ لـأـنـنـسـ إـذـنـ يـامـسـتـ تـمـيـسـتـ . وـأـنـتـ
يـاـ لـوـسـيـوـ . . . أـحـضـرـهـ مـعـكـ وـسـوـفـ تـلـقـيـانـ عـنـنـدـنـاـ بـصـيـةـ أـمـرـيـكـةـ . . . أـمـرـيـكـةـ
سـمـيـةـ بـلـمـجـبـهـاـ وـدـوـلـارـاتـهـاـ . . . وـأـعـنـدـ . . . هـاـ . . . هـاـ . . . أـعـنـدـ أـنـهـ تـرـيدـ أـنـ تـقـرـنـ
لـكـاـ أـنـ رـوـتـهـاـ سـنـرـكـاـ . إـلـىـ يـوـمـ الـخـيـسـ إـذـنـ لـاـ تـنسـاـ . . .

وـقـدـ لـاحـظـتـ أـنـ وـجـهـ الـلـادـيـ سـبـيـيلـ قـدـ تـجـهـمـ قـلـيلـاـ حـينـ تـکـامـ وـالـدـهـاـ عـنـ
الـصـيـةـ الـأـمـرـيـكـةـ ، وـلـكـنـهـاـ مـنـ قـلـيلـ . . . عـلـىـ أـنـقـبـهـاـ أـنـهـاـ تـرـيدـ أـنـ

تـعـرـفـ هـلـ نـبـيـ الدـعـوـةـ أـمـ لـاـ .. فـمـاـ وـافـقـنـاـ إـنـسـطـتـ أـسـارـيـرـ وـجـهـهـاـ ، وـظـهـرـتـ فـيـ عـيـنـاهـاـ
عـلـامـاتـ السـرـورـ وـالـأـرـيـاحـ ..
وـشـدـ الـلـوـرـدـ إـلـيـتوـنـ عـلـىـ يـدـيـنـاـ مـرـةـ أـخـرىـ ، وـأـخـنـتـ الـلـادـيـ سـبـيـيلـ رـأـيـهـاـ الجـيـلـ
مـوـدـعـةـ ؛ تـمـ انـطـلـقـتـ بـهـمـاـ الـرـكـبةـ ..
وـعـنـدـ ماـ رـاقـتـ لـوـسـيـوـ فـيـ مـرـكـبـهـ ، لـاحـظـتـ أـنـهـ يـنـظـرـ إـلـىـ نـظـرةـ عـجـيـبـةـ بـلـرـدـةـ ..
فـقـالـ : حـسـنـاـ . . . لـمـ أـجـبـ ..

فـقـالـ : أـلـمـ تـعـجـبـ ؟ رـأـيـهـاـ أـمـهـاـ (ـبـارـدـةـ) جـامـدـةـ الـعـاطـفـةـ .. وـلـكـنـ مـاـ أـغـلـبـ
مـاـ تـكـسـوـ الـلـوـجـ نـوـهـاتـ الـبـرـاـكـينـ .. وـعـدـاـ ذـلـكـ ذـهـبـ جـمـيـلـ تـقـاطـعـ الـوـجـهـ ، مـعـتـدـلـ
تـقـاطـعـ الـجـسـمـ .. نـاتـجـةـ الـأـوـثـةـ .. وـلـأـعـبـ فـمـاـ غـيـرـ مـاـ ذـكـرـتـ .
وـكـنـتـ أـوـدـ أـنـ أـحـتـظـ لـنـفـسـيـ بـرـأـيـهـاـ ، غـيرـ أـنـ عـاطـفـةـ مـبـهـمـةـ حـفـزـتـنـيـ لـلـدـافـعـ عـنـهـاـ
فـقـلتـ بـخـدـةـ : إـنـهـاـ كـامـلـةـ الـجـيـلـ ، بـرـوـلـاـعـبـ فـبـهـاـ .. وـكـانـ بـهـاـ قـدـ حـلـقـتـ كـمـ اـشـهـتـ ..
وـهـيـ فـضـلـاـعـنـ دـلـكـ عـاـفـلـةـ رـزـيـنـةـ ، وـلـوـ أـنـ لـهـاـ مـنـ الـخـفـةـ وـالـطـيـشـ مـاـ لـغـبـهـاـ ، وـلـوـ كـانـ
تـوزـعـ الـبـسـمـاتـ ذـاتـ الـبـيـنـ وـذـاتـ الـبـيـسـارـ كـمـ يـفـعـلـ سـوـاـهـاـ لـجـنـبـهـاـ جـنـونـ الـعـشـراتـ مـنـ الـرـجـالـ
فـتـأـلـقـتـ عـبـنـاـ لـوـسـيـوـ كـمـ تـأـلـقـ عـنـ الـمـرـةـ فـيـ الـظـلـامـ ، وـقـالـ :
— رـبـعـاـ كـنـتـ عـلـىـ حـقـ يـاـ جـيـوـفـرـىـ .. وـلـكـنـ أـلـاحـظـ ، بـلـ أـعـنـدـ وـأـنـعـرـ أـنـهـاـ

نـرـكـتـ فـيـ نـفـسـكـ أـنـرـأـيـهـاـ !! — وـهـلـ تـرـيـدـنـاـ عـلـىـ أـلـأـنـاثـ !!
— إـذـاـ شـئـتـ أـنـ تـجـبـ بـهـاـ وـتـنـالـهـاـ فـاعـلـمـ أـنـ ذـلـكـ فـيـ مـقـدـورـكـ ، وـلـنـ تـجـدـ فـيـ سـبـيـيلـ
أـيـةـ عـقـبـةـ .. قـدـ يـكـوـنـ مـنـ الـقـعـةـ أـنـ يـخـاـلـ جـيـوـفـرـىـ تـمـيـسـتـ الـفـصـصـىـ أـنـ يـرـجـوـ الـاقـرـانـ
بـاـيـةـ أـحـدـ الـلـوـرـدـاتـ ، أـمـاـ جـيـوـفـرـىـ تـمـيـسـتـ لـلـلـيـوـنـرـ فـأـهـلـاـ بـهـوـسـهـاـ . مـسـكـنـ الـلـوـرـدـاـلـيـتوـنـ،
أـنـ شـوـنـهـ الـمـالـيـةـ مـضـطـرـةـ .. وـتـلـكـ الـفـتـاةـ الـأـمـرـيـكـةـ الـقـيـمـ قـصـرـ ..
فـمـيـقـمـتـ مـشـدـوـهـاـ : تـشـاطـرـهـ قـصـرـ !! هـلـ بـؤـرـجـرـهـ الـلـوـرـدـ جـنـاحـاـ مـنـ مـسـكـهـ؟

فـضـحـكـ لـوـسـيـوـ وـقـالـ : أـخـلـنـ ذـلـكـ .. عـلـىـ أـنـ قـصـةـ الـعـلـافـةـ بـيـنـ هـذـهـ الـفـتـاةـ الـأـمـرـيـكـةـ
وـالـلـوـرـدـ إـلـيـتوـنـ بـسـيـطـةـ ، وـتـتـاخـصـ فـيـ أـنـهـ تـقـيمـ بـقـصـرـهـ وـتـتـمـتـعـ بـهـيـاتـهـ ، مـقـابـلـ الـفـتـينـ مـنـ
الـجـنـيـلـاتـ كـلـ عـامـ . وـلـنـ كـانـ الـلـادـيـ إـلـيـتوـنـ مـصـابـ بـالـفـاجـ ، فـانـ تـدـيرـ الـبـيـتـ قـدـ أـسـدـ

إـلـيـتوـنـ فـيـ الـفـاجـ ، وـلـكـنـهـاـ مـنـ قـلـيلـ . . . عـلـىـ أـنـقـبـهـاـ أـنـهـاـ تـرـيدـ أـنـ

لحكمة الـبيـتـ الحـالـيـةـ ، وتنـتـنـعـ فـيـ قـصـرـ الـلـوـرـدـ بـجـاحـ خـاصـ ، وـالـعـلـاقـةـ بـيـنـ الـأـنـسـةـ سـبـيلـ فـيـ صـيـحةـ اـنسـانـ آـخـرـ غـيرـ وـالـدـهـاـ ..

— إنـهاـ بـذـكـ خـلـيقـةـ بـالـأـعـجـابـ .. ولـكـ بـدـهـشـنـ فـيـ اـوـاقـعـ أـنـ يـزـلـ الـلـوـرـدـ بـإـلـتـونـ إـلـىـ قـبـولـ .. فـهـنـ لـوـسـيوـ :

— يـزـلـ إـلـىـ قـبـولـ مـاـذاـ؟ يـزـلـ إـلـىـ قـبـولـ الـفـينـ مـنـ الـجـنـيـاتـ كـلـ عـامـ؟! يـاعـزـيزـيـ جـيـوفـريـ .. أـعـلـمـ أـنـهـ يـوـجـدـ فـيـ هـذـاـ الـبـلـدـ مـاـثـاتـ مـنـ الـلـوـرـدـاتـ يـنـتـنـونـ النـزـولـ إـلـىـ ماـزـلـ إـلـيـهـ الـلـوـرـدـ بـإـلـتـونـ .. ذـكـ لـأـنـ الدـمـ الـأـزـرـقـ (ـالـبـيـلـ) فـدـ فـقـدـ كـثـيرـاـ مـنـ زـرـنـهـ فـيـ هـذـاـ اـزـمـنـ .. وأـصـبـ يـغـتـرـ بـإـلـىـ الـلـاـكـ لـيـسـتـدـ لـوـنـهـ الـأـوـلـ .. وـالـأـنـسـةـ دـيـاناـ شـرـقـ ظـلـكـ مـلـيـونـ دـوـلـارـ عـلـىـ الـأـقـلـ .. ولـنـ يـدـهـشـنـ أـنـ أـمـعـ بـأـنـهـ اـحـتـنـ الـفـرـاغـ الـذـيـ سـوـفـ تـعـدـنـهـ وـهـةـ الـلـادـيـ إـلـتـونـ ..

فـتـلـ مـفـكـرـاـ : صـدـقـ .

ثـمـ تـذـكـرـتـ سـلـةـ مـاـ سـمـتـ مـنـ الـخـامـيـنـ وـقـلـتـ :

— وبـهـذـهـ للـنـاسـ لـأـحـسـيـنـ قـلـتـ لـكـ إـنـ مـورـنـ الـكـرـيمـ كـانـ دـائـماـ يـتوـهـ أـنـ بـاعـ نـفـسـهـ إـلـىـ الشـيـطـانـ .. وـأـنـ هـذـهـ التـرـوـةـ الطـالـةـ الـتـيـ أـورـتـنـ إـلـيـاهـ كـانـتـ النـتـيـجـةـ الـمـاـدـيـةـ هـذـهـ الـصـفـقـةـ الـعـجـيـبـ ..

فـأـفـجـرـ لـوـسـيوـ ضـاحـكاـ وـقـلـ : لـاـ شـكـ أـنـ هـذـاـ عـجـيبـ .. بلـ وـمـسـجـيلـ .. يـاـ لـهـ مـنـ وـمـ غـرـبـ! أـعـتـقـدـ أـنـ مـورـثـ الـعـزـيزـ كـانـ مـصـابـاـ بـمـرـضـ عـقـليـ وـالـفـأـيـ اـسـانـ عـاقـلـ فـيـ هـذـاـ عـالـمـ يـعـتـقـدـ بـيـوـجـودـ الشـيـطـانـ! إـهـاـ .. هـاـ .. هـاـ .. حـفـاـءـ اـوـهـامـ الـشـرـ لـاـ نـهـيـةـ هـاـ .. هـاـ قـدـ وـصـلـاـ ..

وـوـقـتـ الرـكـبةـ أـمـمـ الـفـنـدـقـ .. وـاـسـطـرـدـ لـوـسـيوـ :

— أـعـنـيـ لـكـ لـيـلةـ سـعـيـدةـ يـاـ نـيـسـتـ .. تـقـدـ وـعـدـتـ بـعـضـ النـاسـ بـأـنـ أـقـامـ مـعـمـ ..

— أـقـامـ رـأـئـ؟

— فيـ أـحـدـ الـتـدـيـدـاتـ الـحـاسـةـ الـمـتـازـةـ .. إـلـيـهـ يـوـجـدـ فـيـ لـندـنـ كـثـيرـ مـنـهـاـ يـوـقـرـ عـلـىـ الـأـنـسـانـ مـشـقـةـ الرـحـيلـ إـلـىـ موـنـتـ كـارـلـوـ .. فـهـلـ تـأـقـيـ مـعـيـ؟

ترـدـتـ فـيـ الـقـبـولـ ..

كانـ وـجـهـ الـلـادـيـ سـبـيلـ الـجـيلـ لـاـ يـزـالـ يـحـلـ خـبـقـ .. فـأـشـفـتـ أـنـ يـخـتـلـ هـذـاـ الـجـيـالـ الـبـدـيـعـ يـغـيـرـ مـنـ الـجـيـالـاتـ الـوـضـيـعـةـ .. فـقـلـتـ : لـاـ .. لـاـ أـرـاقـكـ الـلـيـلـةـ ..

ثـمـ أـرـدـفـتـ مـيـتسـاـ : وـلـكـنـ أـقـولـ بـهـذـهـ الـنـاسـةـ إـنـ لـيـسـ مـنـ الـأـخـافـ أـنـ تـقـامـ ..

لـأـنـكـ قـادـرـ عـلـىـ أـنـ تـخـسـرـ .. وـلـاـ يـحـمـكـ أـنـ تـخـسـرـ .. أـمـاـ خـصـومـكـ فـرـمـاـ كـانـواـ لـاـ يـكـونـ

مـنـ الـلـالـ مـعـشـارـ مـاـ تـعـلـكـ .. وـرـمـاـ جـرـتـ عـلـيـهـ الـخـسـارـةـ تـكـبـةـ لـاـ قـبـلـ فـلـمـ عـلـىـ بـاحـثـاـمـاـ ..

فـأـحـبـ : إـذـاـ كـانـ هـذـاـ كـذـكـ وـجـبـ عـلـيـهـ أـلـاـ يـقاـمـواـ .. إـذـاـ يـنـبغـ عـلـىـ كـلـ اـسـنـانـ

أـنـ يـعـرـفـ مـقـدرـتـهـ وـطـاقـتـهـ .. فـادـاـ لـمـ يـعـرـفـ لـمـ يـكـنـ رـجـلاـ ..

عـلـىـ أـنـ الـتـجـارـبـ دـلـيـلـيـ عـلـىـ أـنـ الـقـاـمـرـنـ تـسـرـمـ الـقـاـمـرـةـ وـمـاـ دـامـتـ تـسـرـمـ فـهـيـ تـسـرـفـ

كـذـكـ .. وـسـأـحـبـ مـعـيـ يـوـمـ إـلـيـهـ الـأـلـيـلـ مـلـمـ النـاسـ عـنـمـ أـنـهـمـ مـقـامـرـونـ ..

وـسـمـاـونـكـ إـذـاـ اـشـرـكـتـ مـعـنـاـ فـيـ الـلـلـعـبـ حقـ لـتـخـسـرـ كـثـيرـاـ ..

— جـسـآـ إـلـىـ الـلـقـاءـ إـذـنـ .. أـمـاـ الـلـيـلـةـ فـبـوـدـيـ كـتـابـةـ بـعـضـ الرـسـائلـ قـبـلـ أـنـ أـنـامـ ..

فـقـالـ شـاحـكـاـ : إـذـنـ أـعـنـيـ لـكـ لـيـلـةـ سـعـيـدةـ .. وـأـحـلـاـمـ الـلـيـلـةـ يـزـبـنـهاـ وـجـهـ الـلـادـيـ

سـبـيلـ الـجـيلـ ..

اـذـاـ كـانـ قـدـسـكـتـ عـلـيـكـ لـكـ حـيـةـ فـيـ اـسـطاـعـتـكـ أـنـ تـبـدـلـ الـنـاـوـرـةـ حـيـنـ تـقـابـلـهـ يـوـمـ الـجـيـشـ

الفـصـلـ السـابـعـ — قـسـرـ وـبـلـوـزـمـ

فـيـ صـبـاحـ الـيـوـمـ الـلـقـرـرـ لـرـيـارـةـ الـلـوـرـدـ بـإـلـتـونـ وـجـدـتـ الـبـرـنـسـ رـيـانـيـرـ يـنـتـظـرـ فـيـ قـاعـةـ

الـتـدـخـينـ بـالـفـنـدـقـ فـمـاـ استـقـرـ بـنـاـ لـلـقـامـ قـالـ لـيـ :

— ذـكـرـ أـنـكـ حدـثـنـيـ مـنـذـ أـيـامـ عنـ رـغـبـتـكـ فـيـ اـبـيـعـ قـسـرـ فـيـ الـأـرـيـافـ ذـاـ قـوـكـ

فـقـسـرـ (ـبـلـوـزـمـ) بـقـاطـعـهـ وـارـوـيـكـ! لـقـدـ اـخـرـتـ لـكـ هـذـاـ قـسـرـ فـهـوـ عـلـىـ مـاـ أـعـقـدـ

يـقـيـعـ أـغـرـاضـكـ .. إـنـهـ قـسـرـ عـنـيقـ مشـبـورـ يـرـجـعـ تـارـيخـ قـسـمـ مـنـهـ إـلـىـ عـهـدـ الـلـكـ

الـبـرـايـثـ .. يـيدـ أـنـ أـصـحـاـبـهـ قـدـ تـعـمـدـوـهـ بـالـعـنـيـةـ وـالـزـرـمـ فـهـوـ سـالـحـ لـلـاقـامـةـ كـاـيـصـلـ

أـيـ قـسـرـ فـحـمـ أـخـرـ فـيـ قـدـمـهـ ..

أـنـفـ إـلـىـ ذـكـ أـنـهـ قـائـمـ فـيـ وـسـطـ إـقـلـيمـ غـيـرـ بـحـالـةـ الـطـبـيـعـيـ .. وـلـفـقـرـ حـدـيـقـةـ مـتـرـاـمـيـةـ

(ـمـ - ـ ـ أـحـزـانـ الشـيـطـانـ)

يخرقها نهر (أفون) المروف . . . وهذا القصر معروض للبيع بأناته وريشه نظير مبلغ زهيد . . . نظير حسين الفا من الجنيهات فقط . فهل لك في زيارته إله يلام مبولاً إلى الأدب والشعر ..

وقد خيل إلى أن صوته للوسيقى قد خالطه شيء من السخرية حين نطق بالكلمات الأخيرة ولكنني تجاوزت عن هذا وأجبت :

— إن ما يعجبك يعجبني . . . وما دام هذا رأيك في قصر (وبالوزمير) فسأراء وسأتباعه . لاسيما وانه يقع في النطقة التي شهدت أهم حلقة في حياة شكسير .. ولكن بهذه المناسبة ، لا أخوب أن تتبع هذا القصر لنفسك ؟

فضحك وأجاب : كلا .. لأنني لا أطلب الاقامة في مكان واحد ولا أطيقها .. فأنا هوى الحياة الترفيحة الافادة . . . ولا أشعر بالسعادة في بقعة واحدة حتى ولو كانت هي جنة النعيم .

على أنني قد عرضت عليك ابتاع قصر وبالوزمير لسبعين : الأول لأنه قصر جيل في بقعة جميلة . والثان لأن اللورد إيلتون ميتاً ثور من أعماق قلبه من علم إلك ابنته .

— لماذا ؟ فأجاب بهدوء :

— لماذا ؟ لأنـه كان فيما مضى ملكـاً له . . . ثم استدان ووضـمه رهـا . . . وعجز عن سداد دينـه فعرضـه الدائـون البيـع وـم لا يطلـبون أكثرـ من حـسين الفـا .. فـي حـين أنه يقوم بـعـادة الفـ ..

وهـنا سـأـلهـ وأـنـا أـنـظـاهـرـ بـقـلـةـ الاـكـترـاثـ : وـعـلـى ذـكـرـ اللـورـدـ إـيلـتونـ .. أـعـقـدـ أناـ مـدعـوـونـ لـعـشـاءـ عـنـدـ الـلـيـلـةـ ؟ . . . أـلـيـسـ كـذـاكـ ؟

فـأـبـابـ وهوـ ضـحـكـ :

— طـبعـاـ . . . وـلـاشـكـ إـلـكـ لمـ تـقـنـ الدـعـوـةـ وـلـادـيـ مـيـلـ بـهـذـهـ السـرـعـةـ .

فـقـلتـ بـعـدـ صـمتـ قـصـيرـ : كـلاـ .. لـمـ أـنـسـ . . . وـمـ دـامـ الـأـمـرـ كـاـذـكـرـ فـسـأـبـاعـ قـصـرـ

الـبـالـوزـمـيرـ وـسـأـبـقـ إـلـيـ عـامـيـ بـهـذـاـ الـمـقـىـ .. فـهـلـ لـكـ أـنـ تـذـكـرـ أـسـاءـ وـعـنـوانـ الـوـكـلـاـنـ

الـمـوـطـ بـهـمـ الـبيـعـ ؟

— بكلـ سـرـورـ ياـ عـزـيزـيـ .

ودفعـ إـلـىـ وـرـقـةـ كـتـبـتـ عـلـيـهـ التـفـصـيـلـاتـ الطـلـوـبـةـ تـمـ قالـ :

— ولـكـ إـلـاـ تـشـعـ إـلـكـ حـزمـتـ رـأـيـكـ عـلـىـ اـبـتـاعـ القـصـرـ دونـ أـنـ تـفـكـرـ فيـ الـأـمـرـ طـوـيـلـاـ ؟ أـمـاـ كـانـ يـحـسـنـ إـلـكـ أـنـ زـارـ أـولـاـ . . . فـرـعـاـ كـانـ إـلـكـ مـلـاحـظـاتـ . . . وـرـعـاـ إـلـاـ رـأـيـهـ لـمـ يـرـقـكـ . . . فـأـبـيـجـتـ يـحـدـهـ :

— إـلـاـ كـانـ خـرـابـ وـأـطـلـالـ فـلـاـ بـدـ أـنـ أـبـتـاعـهـ ، وـأـنـ أـبـتـاعـهـ بـسـوـعـةـ حـقـ يـعـلمـ الـلـورـدـ إـيلـتونـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ بـالـذـاتـ أـلـيـ صـاحـبـ قـصـرـ وـبـالـوزـمـيرـ .

فـقـالـ لـوـسـيـرـ وـهـوـ يـعـدـ سـاعـدـ بـسـاعـدـيـ . . . وـخـرـجـ فـيـ مـنـ قـاعـةـ التـدـخـينـ :

— حـسـنـاـ تـفـعـلـ . . . أـلـيـ أـكـبرـ فـيـ الرـجـلـ أـنـ يـحـزـمـ أـمـرـهـ بـسـرـعـةـ . . . وـأـنـ يـحلـ بـسـرـعـةـ ، لـأـلـيـ أـحـترـمـ قـوـةـ الـإـرـادـةـ وـمـضـاءـ الـعـزـعـةـ . . . أـحـترـمـهـاـ حـقـ فـيـ الرـجـلـ الـتـيـ يـعـزـمـ عـلـ الـقـاءـ قـسـهـ فـيـ جـهـنـمـ وـيـنـفـذـ عـزـمـهـ ..

فـضـحـكـ . . . وـافـرـقـتـ عـلـيـ أـنـ يـدـهـبـ هـوـ إـلـىـ موـعـدـ . . . وـعـلـيـ أـنـ أـخـذـ الـأـجـرـاـتـ لـاـبـتـاعـ قـصـرـ وـبـالـوزـمـيرـ . . . وـقـدـ أـبـرـقـ فـيـ الـحـالـ إـلـىـ بـتـهـامـ وـأـيـلـيـسـ عـامـيـ وـأـصـدـرـتـ الـهـمـاـ تـعـلـيـمـيـ بـاـبـتـاعـ قـصـرـ فـيـ الـحـالـ مـهـمـاـ كـانـ أـلـثـنـ وـكـانـ الـظـرـوفـ . . . وـفـيـ الـمـسـاءـ اـرـتـدـتـ ثـيـانـ بـعـيـانـةـ خـاصـةـ . . . وـقـضـيـتـ فـيـ ذـلـكـ وـقـتاـ لـيـسـ يـالـقـصـيرـ . . . كـاـنـ تـفـعـلـ الـثـانـيـ حـيـنـ تـنـطـلـقـ إـلـىـ سـهـرـةـ تـرـيدـ أـنـ تـكـوـنـ بـعـمـهاـ الـتـالـيـ .

وـفـقـتـ بـشـاـ الـرـكـةـ أـمـامـ بـيـنـ الـلـورـدـ إـيلـتونـ . . . وـهـوـ يـبـيـتـ قـلـخـرـ يـقـعـ خـلـفـ بـارـكـلـيـنـ فـاسـقـيـلـاـ بـالـبـابـ خـادـمـ طـوـيـلـ الـقـامـ . . . يـرـتـدـيـ ثـوـبـاـ خـاصـاـ أـخـرـ الـلـونـ وـسـارـ أـمـامـاـ بـعـظـمةـ حـتـىـ أـوـسـلـاـ إـلـىـ خـادـمـ آخـرـ يـشـبـهـ فـيـ ثـيـابـهـ وـطـوـلـ قـامـهـ . . . وـيـتـنـازـعـهـ بـأـنـهـ أـشـدـ مـنـ هـيـرـفـةـ وـتـظـاهـرـاـ بـالـمـظـمـةـ خـصـدـ أـمـامـاـ درـجـاتـ الـسـلـمـ . . . وـعـلـيـ وـجـهـ اـسـيـاـ الرـجـلـ الـتـيـ يـوـدـ أـنـ يـقـولـ «ـأـنـظـرـوـاـ كـيـفـ اـخـدـرـتـ الـأـقـدـارـ الـقـاسـيـةـ بـرـجـلـ عـظـمـ»

وـبـلـغـنـاـ إـلـىـ قـاعـةـ الـاستـقـبـالـ . . . فـرـأـيـاـ الـلـورـدـ إـيلـتونـ وـافـقـاـ وـظـهـرـهـ إـلـىـ الـلـوـقـدـ وـقـدـ جـلـسـ أـمـامـهـ عـلـيـ مـقـعـدـ كـيـرـ مـنـ خـفـقـنـ فـنـاءـ رـشـيقـةـ الشـيـابـ صـفـيـرـةـ الـقـدـمـيـنـ . . .

وـإـنـ أـذـكـرـ قـدـمـيـاـ أـوـلـاـ لـأـنـهـمـاـ كـاتـاـ أـظـهـرـ شـىـ . . . فـيـ جـسـمـهاـ حـيـنـ دـخـلـاـ قـدـ كـانـتـ مـضـطـجـعـةـ فـيـ الـمـقـعـدـ . . . وـقـدـمـاـهـاـ كـمـدـنـاـنـ كـانـاـ لـاـلـنـاطـ حرـارـةـ النـارـ الـتـيـ يـجـبـهاـ الـلـورـدـ بـعـسـمـهـ الضـخمـ . . . وـكـانـ بـالـفـرـقةـ سـيـدةـ أـخـرىـ مـتـسـدـعـةـ فـيـ السـنـ . . . جـلـسـتـ فـيـ مـقـعـدهـاـ مـتـصـبـةـ الـقـامـ مـعـقـوـدـةـ الـثـارـاعـيـنـ .

وإلى هذه السيدة قدمنا اللورد إيلتون أولاً بقوله :
— شارلوت . أقدم لك صديق البرنس لوسيو رعنائـز .. ومستر جيوفري غبـت
لليـونـر . ثم التفت إلينـا وأردـف :
— أندـم لـكـاـ الآـنـسـةـ شـارـلـوـتـ فـزـرـوـيـ شـقـيقـةـ الـلـادـيـ إـيلـتوـنـ ،
فـأـخـنـ كلـ مـنـ قـامـتـ باـحـترـامـ وـأـحـنـتـ السـيـرـةـ رـأـسـهاـ .

أما الصـيـةـ الأـخـرىـ فـانـهـ اـعـتـدـتـ فـيـ مـكـانـهـ قـلـيلـ عـنـ دـخـولـناـ . فـقالـ اللـورـدـ إـيلـتوـنـ :
— أـنـدـمـ لـكـاـ الآـنـسـةـ دـيـانـاـ شـرـنـيـ ، لـابـدـ أـنـكـ تـعـرـفـ وـالـدـهـاـ يـاسـيـدـيـ الـأـمـيرـ .. وـإـنـاـ
لـمـ تـكـنـ عـرـفـتـهـ فـلـأـقـلـ مـنـ أـنـ تـكـوـنـ قـدـ سـمعـتـ عـنـهـ ، وـالـدـهـاـ هـوـ مـسـتـرـ نـيـكـوـدـامـسـ
شـرـنـيـ . أـحـدـ مـلـوـكـ السـكـكـ الـحـدـيدـيـةـ فـيـ أـمـرـيـكاـ .
فـأـجـابـ لـسـيـوـ بـعـدـ : طـبـعـاـ أـعـرـفـهـ . مـنـ ذـاـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ مـسـتـرـ شـرـنـيـ . إـنـيـ قـابـلـتـهـ
مـرـارـاـ . وـهـوـ رـجـلـ طـرـوـبـ دـمـثـ اـخـلـقـ حـاضـرـ الـبـدـيـهـةـ وـالـسـكـنـةـ . نـعـمـ .. أـنـذـكـرـ ثـمـاـ
أـنـيـ قـابـلـتـهـ مـرـارـاـ فـيـ واـشـنـجـنـ .

— أـنـقـولـ الـحـقـ . أـنـهـ عـلـىـ مـاـ أـعـتـقـدـ رـجـلـ غـرـبـ الـأـطـوـارـ . وـيـغـبـ إـلـىـ كـلـارـأـيـهـ .
أـنـيـ أـرـىـ عـلـىـ وـجـهـ قـضـبـانـ السـكـكـ الـحـدـيدـيـةـ ..

وـهـلـ تـجـدـهـ حـاضـرـ الـبـدـيـهـةـ وـالـسـكـنـةـ كـاـ تـفـوـلـ ؟
مـنـحـكـاـ لـاسـلـوبـ الـفـتـاةـ فـيـ وـصـفـ أـيـهـاـ . ثـمـ تـكـلـمـ لـوـسـيـوـ فـأـكـدـ رـأـيـهـ فـيـ مـسـتـرـ شـرـنـيـ
مـنـ حـيـثـ سـرـعـةـ الـخـاطـرـ وـحـسـورـ النـكـتـةـ .

نقـالـتـ الآـنـسـةـ : أـمـاـ أـنـاـ فـلـأـرـاهـ كـذـلـكـ وـلـلـ سـبـبـ أـنـيـ سـمعـتـ نـكـاتـهـ وـقصـصـهـ
مـئـاتـ الـرـاتـ بـلـ وـقـرـأـهـ كـذـلـكـ فـيـ الـكـتـبـ وـالـصـحـفـ .
وـلـكـنـ لـمـذـاـ نـظـلـ وـاقـفـاـ يـاسـيـدـيـ الـأـمـيرـ . وـأـنـتـ يـاسـتـرـ تـبـيـتـ إـجـلـاـ ..
ثـمـ حـوـلـتـ رـأـسـهـاـ الرـشـيقـ إـلـىـ اللـورـدـ إـيلـتوـنـ وـاستـطـرـدـتـ ..
— دـعـهـمـاـ يـخـلـمـانـ بـالـلـورـدـ إـيلـتوـنـ .. أـنـاـ لـأـحـبـ أـنـ يـقـفـ الرـجـالـ أـمـاـيـ فـالـرـجـالـ
مـ الـجـنـنـ الـأـرـقـ كـاـ تـعـلـمـونـ ..

وـنـظـرـتـ إـلـىـ لـوـسـيـوـ وـعـلـىـ وـجـهـهـاـ عـلـامـاتـ الـأـعـجـابـ وـقـالـتـ لـهـ : ثـمـ أـنـكـ طـوـيلـ الـفـانـةـ
جـداـ يـاسـيـدـيـ الـأـمـيرـ .. وـأـنـاـ أـنـظـرـ إـلـيـكـ كـاـلـوـكـتـ أـنـظـلـعـ إـلـىـ شـخـصـ فـيـ الـطـابـقـ الـثـانـيـ .

فضـحـكـ لـوـسـيـوـ بـسـرـورـ وـجـسـ بـعـانـهـ فـيـ الـحـالـ . وـحدـوـتـ حـدوـهـ ، أـمـاـ اللـورـدـ إـيلـتوـنـ
فـظـلـ وـاقـفـاـمـ الـمـوـهـ وـرـاحـ يـنـظـرـ إـلـيـهـ بـرـفـقـ وـلـطـفـ .

وـلـاـ شـكـ أـنـ دـيـانـاـ شـرـنـيـ قـدـةـ فـانـةـ وـلـكـنـاـ مـنـ نوعـ الـفـيـاتـ الـأـمـرـيـكـيـاتـ الـصـرـيـحـاتـ
الـمـاهـرـاتـ الـلـاـقـيـ عـرـفـ كـيـفـ يـعـتـدـبـ إـلـيـنـ الرـجـالـ دـوـنـ أـنـ يـتـرـنـ فـيـ هـوـشـهـنـ أـبـةـ عـاطـفـةـ أـخـرىـ
غـيـرـ الـأـعـجـابـ وـالـاحـتـرامـ . قـالـتـ لـيـ وـهـيـ تـصـعدـيـ بـعـينـهـاـ بـامـعـانـ .

— إـذـنـ أـنـتـ مـسـتـرـ تـبـيـتـ الـشـهـورـ ! لـاـ شـكـ أـنـكـ مـرـتـاجـ جـداـ وـسـعـيدـ . فـطـالـاـ
قـلتـ لـفـيـ مـاـ فـانـدـهـ أـكـدـاسـ الـنـفـهـ إـذـاـكـانـ الـأـنـسـانـ مـتـقـدـمـاـ فـيـ الـسـنـ لـاـمـ لـهـ إـلـاـ اـرـضـاءـ
أـمـطـالـهـ لـيـعـوـضـهـ بـعـقـاـقـيـرـهـ عنـ الشـابـ الـفـائـحـ حـنـ إـذـاـ تـوـقـ خـرـجـ مـنـ الـعـالـمـ دـوـنـ أـنـ
يـتـنـعـ بـثـرـوـهـ .. أـنـيـ أـعـرـفـ سـيـدـةـ عـجـوزـ مـاتـ فـيـ الـخـامـسـ وـالـسـعـمـ مـنـ عـمـرـهـاـ عنـ
مـائـةـ أـلـفـ مـنـ الـجـنـهـاتـ وـأـؤـكـدـكـ إـنـهـاـ لـمـ تـعـزـنـ عـلـىـ شـيـءـ حـزـنـهـاـ عـلـىـ أـنـهـاـ لـمـ تـسـتـطـعـ الـاستـمـاعـ
بـكـلـ تـرـوـمـهـ إـلـىـ آخـرـ دـوـلـارـ .

أـمـاـ إـذـاـ اـقـرـنـتـ التـرـوـةـ بـالـشـابـ كـانـ الـحـيـاـةـ جـديـرـةـ بـالـتـقـدـيرـ .

أـعـتـقـدـ أـنـكـ أـغـنـيـ النـاسـ فـيـ الـمـالـ الـأـنـ يـاسـتـرـ تـبـيـتـ أـلـيـسـ كـذـلـكـ ؟
وـجـهـتـ إـلـىـ هـذـاـ السـؤـالـ بـسـاطـةـ وـصـرـاحةـ . دـوـنـ أـنـ تـشـعـرـ بـأـنـهـ يـمـ عنـ فـضـولـ غـيـرـ
جـدـبـرـ بـأـفـرـادـ الـطـبـقـةـ الـقـىـ تـرـيـدـ أـنـ تـتـنـمـيـ إـلـيـهـ .
عـلـىـ أـنـ سـوـاـهـاـ ذـكـرـيـ فـيـ الـحـالـ كـيـفـ أـنـيـ كـنـتـ إـلـىـ عـهـدـ قـرـيبـ مـنـ أـشـدـ النـاسـ فـيـ
الـعـالـمـ بـؤـساـ . أـجـبـهـاـ :

— رـبـعاـ كـنـتـ أـحـدـ الـأـغـنـيـاءـ . عـلـىـ أـنـ صـدـيقـ الـبـرـنـسـ لـوـسـيـوـ أـغـنـيـ مـنـ بـكـثـيرـ .

فـنـظـرـتـ إـلـىـ لـوـسـيـوـ بـعـينـيـنـ وـاسـعـيـنـ تـجـلـيـ فـيـمـاـ الـدـهـشـةـ وـهـنـتـ :

— أـهـذـاـ حـقـيقـ ؟ ! إـذـنـ أـنـاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـيـكـ قـبـرـةـ مـسـكـيـةـ .

إـنـ الـدـيـنـاـ وـلـاـ شـكـ رـهـنـ اـشـارتـكـ يـاسـيـدـيـ الـأـمـيرـ ؟

فـقـالـ لـوـسـيـوـ بـهـدـوـهـ : أـطـنـ ذـاكـ . عـلـىـ أـنـ السـهـلـ جـداـ أـنـ يـقـعـ الـأـنـسـانـ الـدـيـنـاـ

نـحـتـ قـيمـهـ .. وـلـمـكـ تـمـلـيـنـ ذـاكـ بـنـفـكـ .

وـقـدـ نـطـقـ بـالـكـلـامـ الـأـخـيـرـ بـلـهـجـةـ الـأـكـدـ وـفـيـ عـيـنـهـ نـظـرـةـ ذاتـ مـغـزـىـ .

عـلـىـ أـنـ الـفـتـاةـ أـجـابـتـ بـسـاطـةـ وـقـلـةـ كـثـرـاتـ :

— لاشك أنت تقول ذلك على سبيل المجازة .. أنا لا أحب المجازة .. ولكن أبغض لك هذه المرة .
فقال لوسيو : شكرًا .
وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساحرة . فنظرت اليه الفتاة طويلاً، وفجئتها مزدوج من الاعجاب والافتتان ثم قالت له : وأنت أيضاً في مقتبل العمر . مثل مستر تبست .
فأجاب : عفوا .. آنى أنس منه كثيراً .

فنهض اللورد أيلتون . — أحقاً تقول ! أأن تقاطع وجهك لأندل على أنك أنس منه ، أليس كذلك ياشرلوت ؟!

وهنا كان لابد للأنسة فينزروي أن تتكلم بعد أن فرم الصمت طول الوقت .
فقومت العورات فوق أنفها . ونظرت إلى البرنس لوسيو ثم إلى وقالت .

— أظنك أن البرنس أنس فليلاً من من مستر تبست . أعني قليلاً جداً .
قالت ديانا . — مهما يكن من أمر فإن شبابك يسمح لك بالاستماع

برونتك كما تشتهي أليس كذلك ؟ فأجاب لوسيو بغلة اكتئاب :

— مواء كنت شاماً أو كهلاً . فانني لا أجد في تروي متعة .

فظهرت على وجه الأنسة ديانا علامات الشهوة الشديدة مقرونة بنظر قارئ تاب وشك ولكن لوسيو مضى في كلامه فقال .

— ما فائدة الثروة ؟ إنها تضع الدبña تحت قدميك .. هذا صحيح ولكن ما هي الدبña ؟ إن الثروة ليست في الواقع إلا مرآة لاستظهار أسوأ ماقط الطبيعة البشرية .
فالنبي يستطبع أن ينظر في الرآة فيرى من ريم الناس أكثر مما يرى القمير .

إذا كنت ذات ثروة داربك الناس وعلقوك ونطقوك بالآلة كاذب بأمل ارضايك وخدمة معالجهم الشخصية وإذا كنت ذات ثروة هبط الأمراء من عليائهم تحت قدميك وغفلوا عن مكانهم وكرامتهم لكي يقتربوا منك بمن للال .

وإذا كنت ذات عقرية ومواهب إلى جانب الثروة التي بها تتعفين : لم ير الناس من صفاتك إلا أنك ذات ثروة ذات نعوذ ، فترونك هي كل مؤهلاتك وهي سيرك في الوصول إلى الملوك والوزراء ..

وإذا كنت بشعة للنظر .. تكلمين كالجانين وتضحكت كالضياع فان في رونتك وحدتها .

ما يؤهلك لتناول الطعام مع اللذة إذا كانت هذه بيتك .. أما إذا كنت على عكس ذلك مرهوبة صورة باسلة لك من الآراء ما يكفي لتخييل ذكرك اضطراف ما تحمله المروش والتبغان ، ولم يكن لديك من المال غير القليل .. نظر البك الأغبياء نظرتهم إلى الأدعية الفضوليين .. ذلك لأن الدين يمكنون التروء للادبية يعلون دائمًا إلى انكار اضرابهم الذين يمكنون للزيد من التروء الطبيعية النية

— قالت ديانا بسرعة : ولكن هب أنك جمعت بين التروتين ، أفلاتكون من أسعد الناس في الحياة ؟
فضحك لوسيو وقال :

— دعنى أجيبك بمثل ألفاظك أيتها الحسناه فأقول أنك لا تهتمين غير المجازة .. ولكنني أضيف إلى ذلك أن الانسان إذا جمع بين التروتين .. قومه الناس بثروته الادبية دون ثروته من المراهق وذلك في الواقع ما يضايقني

إن لي عشرات من الأصدقاء ، ولكنهم في الحقيقة ليسوا أصدقائي بقدر ما هم أصدقاء تروي .. انهم لا يسألون عن أسلاف أو ماضي .. ولا يهمهم أن يعلموا كيف أعيش .. وماذا أصنع وهل أنا مريض أم صحيح وسعيد أم شقي ولو أنهم عرفوا ذلك كلهم أو شيئاً منه لتغير الحال ولكنهم لا يعرفون ولا يرون أن يعرفوا .. وأغراضهم ومطامعهم بسيطة وظاهرة فهم يريدون أن يجمعوا من ورائي ما يعنكم سخاً من جمعه ، ويريدون أن يفيدوا من مصادقي لهم ومن قوادي آنسى ما يستطيعون وأنا أشجعهم .. وأنصح لهم السبيل الحصول على ما يشهون .. وأكثر ما يشهون ..

وقد نطق لوسيو بالكلمات الأخيرة بلهجة حرقة مؤثرة .. جعلت الجميع غول أنظرنا إليه وإلي وجهه الشاحب الساحر ..

وساد السكون لحظة ثم قال اللورد أيلتون ؟ في اعتقادى أن القليلين جداً من الناس يستطيعون أن يفخروا بأن لهم أصدقاء علّصين .. أما الغالية الساحقة فتلهم كمثل سقراط الذى تعود أن يضع في داره مقدمين فقط ، وأن يقول « أحد المقدمين بللوسى والآخر جلوس صديق ، مت وجدته »

ولكنى أعتقد أنك عبوب من جميع الناس يا لوسيو ، فانت إذن منشأ وصار فى حكمك على معاصرتك .. ولذلك لا تجهل أن الانسان يجب دائمًا أن يذكر في نفسه

وفي مصلحته ..

فأطرق لوسيو رأسه وقال في حزن : صدقت ..

وفي هذه اللحظة سمعنا وقع خطوات متزنة تقترب من الغرفة ، فاعتدلت ديانا شيرن في مقعدها في الحال ، وقالت : ها هي ميسيل قادمة ..

ثم أردفت وهي شفتها ابتسامة : أنا لا أستطيع أن أتمدد كما أريد في حضرة ميسيل

وشب قلب السجين وثبة قوية عندما دخلت المرأة التي يعوز للشعراء أن يسموها

آلة أحلامهم ومصدر الوحي الذي يحيط عليهم والتي لم تكن في اعتقادى وفي نظري

أكثر من مخلوقه جيلاً أستطيع على أن أباع جسدها البديع

وكانت ترتدي ثوبًا يعطى نامع الياسمين لائزنه غير زهرة بنفسجية مثبطة فوق ثديها الأيسر

وقد بدأ في تلك الليلة أجمل ممارتها في مقصورة المسرح فقد كانت عيناها

تضيئان بنور الشباب والفتوة . وبكاد لونهما أن يتصل بلون الزهرة بنفسجية البديعة .

وكان بخالط وجنتها لون وردي جيل زاد مظهرها احتشاماً وطهارة وقاوة . حتى

جال بخاطرى أن من القسوة أن يمس الرجل هذه الخلوقه الفاتحة بيده وأن من الجريمة

قرب أو عن بعد ،

دارت بعيانها الساحرتين في أنحاء الغرفة وحيتنا بابتسامة عذبة .

وعلى الرغم من أنى كنت حزمت أمري على أن أكون في حضرتها رزينا . هادئاً

مطمئنا إلى أنها لن تتجو من الشباك الذى أصنفه لها بخيوط من ذهب . فإن شيئاً في وجهها القافن . وحركاتها البريئة جعلنى أشعر بالجل والارتياح في قدرة المال على اقتحام

هذا الحسن الظاهر من حسون الأنوثة والاحتشام .

ذلك مجال بخاطرى في ذلك الوقت . ومنذ تلك الوقت حق كتابة هذه السطور

من في من التجارب ما يجعلنى أفهم الرجال بالحق وقصر النظر والجهل بحقيقة النساء ..

فنحن الرجال لانعرف القليل أو الكثير عن سلطان الاسم الذى يأكل قلوب النساء

اللائق يبتادر إلى أذهاننا عند النظر للأولى أنهن معاقل حصينة للطهير والعفاف والاحتشام

قالت شارلوت فرزروى : آنك تأخرت كثيراً يا ميسيل .

فأجاب الفتاة بشىء من قلة الاكتتراث : أظنين ذلك ؟ أنا شديدة الأسف ..

وأنت يا أبي هل يطيب لك أن تخترق حرارة نيران الوقود ؟

فصرخك اللورد أيلتون بسرعة وابتعد عن الموقد بعد أن كان يمحقه بجسمه الترهل واستطردت اللادى ميسيل بأدب : لا تشعرن بالبرد يا آنسة شرنى ! ألا يسرك

أن تفترق قليلاً من الموقد ؟

فأطاعت ديانا في الحال . وظهرت على وجهها علامات الخضوع والاحتشام وغمضت فاتحة : شكرآ لك .

ورفعت عينيها الساحرتين إلى وجهه لوسيو الجيل . ولكن لوسيو كان في شغل عنها

بالنظر إلى ناحية أخرى من نواحي الغرفة . فافتقت عيناهما بعين عوضاً عن عينيه .

ولا أعلم ماذا رأت ميسيل في عيني فقد صمد المدم في الحال إلى وجنتها ومرت بخدتها رجفة شديدة ثم غاض الدم من وجنتها وأمنتغ لونها . وفي هذه اللحظة دخل

الغرفة أحد الخدم وأعلن أن المائدة قد مدت .

فقال اللورد : هذا حسن هلم بتا .

وأخذ يرتينا لذهب إلى مائدة الطعام أزواجاً .

قال : يا بارنى ريمانيز . هل لك في أن ترافق الآنسة شارلوت ؟ وأنت يا ميسيل

تعبس . سقط ابتف من نصيفك .. وسانبعكم برقة الآنسة شرنى ..

وانطلقنا إلى قاعة الطعام بهذا الترتيب وعلى هذا النظام . واستندت ميسيل إلى ساعدى وبيعنا لوسيو وزميلته الآنسة شارلوت فرزروى .

الفصل الثامن - زهرة البنفسج

حدث في المأدبة ما يحدث عادة في الآدب الذى تقيمهاليونات الكبيرة ، يعنى أنها

بدأنا الطعام في جو من البرود والملود الذين تقتضيما التقابل نم صفاً جلوس قليلاً

بالتدريج إلى أن قدمت الحلوى والفاكهه وعندئذ كان النمام قد ساد والكافة قد

رفت ، فأخذنا نحدث ونضحك وتزعم لوسيو الحديث فراح يتدرج بنا من موضوع

إلى آخر يقدرته العجيبة ودعاته المقبوقة ..

وقد بذلت جهدى لتسليمة اللادى ميسيل ، ولكنى وجدتها كغالب الغائبات ،

لا تستمع إلى شىء ، باهتمام ، ولا تشجع حدثها على الموى فى موضوع بيته . فأت إذا

حديتها استمعت اليك في البداية ، وربما شجعتك بابتسامة ، ولكنها لا تلبث أن تبتعد عنك بذكرها ، فتنصرف في تأملاتها الخاصة ، وتدعوك تترسل في حديثك ، حتى إذا جمعت حواسها بعد ذلك ، راحت تحدثك عن موضوع آخر لا يمت إلى الموضوع الأول بصلة ..

على أنني فهمت من ملاحظاتك أن ترسلها بين الفينة والقبنة أنها على الرغم من لطفها ودعتها وتفاوتها تميل إلى التشاقدم وتشعر نحو الرجال بنوع من الاحتقار ، وكانت تطلق في بعض الأحيان بكلمات تحدين كبرى ك الرجل ، ولكن هذه الكلمات لم تكن تزيدني إلا رغبة في الفوز بهذه المرأة لكن أذل نفسها الفخورة لرغباتي كمليونير .. وكرجل ..

وأنا أقدم صفة (المليونير) على صفة (الرجولة) لأن الرجولة وحدها لا تكفي - كما قال نوسيو - لوضع الرجل في الموضع الخالق به . أما المليونير فيستطيع الصعود إلى غاياته على سلم من الذهب ، ويستطيع أن يبتاع الشهرة كإيجاد زهرة من السوق .. وأخيرا .. يستطيع أن يبتاع الحب إذا شاء ..

وقد أردت أن أتحقق من صحة هذه النظرية ، فقلت لك أسر غور اللورد وابنته: — أعتقد يا ميدي اللورد أنك قضيت مدة طولية في قصر ويلزمير ؟ فاجرب وجه اللورد قليلا ، وازدرد بما في كأسه دفعة واحدة ، ثم قال بلسان متلعثم : — آه .. نعم .. نعم .. أنا .. أنا .. كنت أملك هذا القصر .. ولكنني بطلت ثقفات طائفة ، وحيثما من الخدم ، وكثيرا من الليل لسباته .. فأطربت برأسى موافقا وقلت : هذا حقيقة .. لاشك أن إدارته تتطلب عددا كبيرا من الخدم .. إنني أعددت العدة لابنائكم ..

وهنا تخشم وجه اللادى سيدل لأول مرة منذ رأيتها ، وظهرت عليها علامات القلق والاضطراب . أما اللورد فإنه حلق إلى بيتهن تقادان أن تبرزا من محجر سهامه واهتف : — أنت !! أنت مستتابع قصر ويلزمير ؟

فأجبت وأنا أنظر إلى نوسيو الذى كان بدوره يحملن نحو اللورد بغضوال : — نعم ، وقد أسررت أمراً لوكانى لأنعام المصنفة بأسرع ما يمكن .. فأنا أحب

مقاطعة (دارويك) ، وما كان في بيق أن أقيم الكثير من الولائم وللأدب فأعتقد أن قصر (ويلزمير) سيلائنى ..
قاد الصمت لحظة ، وتهنت من شارلوت فتزروى ..
أما ديانا فترت على شفتيها ابتسامة عجيبة ..

وقال اللورد ايمتون بصوت أحلى : إن سيدل ولدت في ويلزمير ..
فأجابت وأنا أحلى رأسى وأنظر إلى سيدل : وهذا مما يزيد القصر جمالاً ويزيدنى ارتياحاً إلى ابتنائه .. هل تختظلين بشىء من ذكريات هذا القصر بالادى سيدل ؟
فأجابتك في شىء من الجدة ..

— طبعاً .. طبعاً .. أختحفظ بذكريات كثيرة . وأنا في الواقع لا أحب مكاناً في العالم كما أحب ويلزمير .. وقد كنت في صغرى مولعة باللعلع تحت أشجار السنديان المتباقة التي تحيط بالقصر ، وكانت أحب أن تكون أول من يجمع زهور البنفسج البرى التي تنمو على شفاف نهر (أدون) .

ومستط لحظة . ثم أردفت وهي تنظر بعينين تائبتين إلى أفق بعيد :
— نعم .. كنت أحب قصر ويلزمير ولا أزال أحبه ، وكثيراً ما كنت أرى على الضفة الأخرى لنهر قنطرة صغيرة ذات شعر مجده ووجه حلو باسم تشارلى سنا ، فأحب أن أعرفها ، وأن أخذت إليها قنطرى مرييق وتعنى من ذلك على زعم أن مركز الفتاة في الطيبة الاجتماعية دون مركزى ، ثم قلت شفتيها باحتقار واستطردت :
— على أن الفتاة كانت سليلة أسرة مجيدة ثات عنها والدها ، وماتت والدتها ، فتناها وتمهدتها بالعناية الطيب الدوى كان يعالج أمها ، لأن السكينة لم يكن لها بعد والديها قريب يعني بأمرها ..

وهذه الفتاة هي ما نعرف الآن باسم «مافيز كلير»
وعندما نطقت سيدل بهذا الاسم ، ساد صمت ، ونظر إلى نوسيو بعده وقال :
— هل سمعت باسم (مافيز كلير) يا عبست ؟
فكرت لحظة قبل أن أجيب .. وتدكرت إننى سمعت بهذا الاسم .. أو فرأت عنه ..
مقرضاً بحديث أو مقالات فى الأدب ..

ولكن متى وأين وكيف سمعت بهذا الاسم أو قرأت عنه ؟ لم أذكر على وجه التحقيق ، لأن لا ألقى إلى إلأي أسماء النساء اللائي يذكرون في معرض الكلام عن الفن أو الأدب ، وذلك بداعم شعور غريزى بأن المرأة قل أن تتخرج شيئاً شيئاً في الأدب أو الفن ، وكان اعتقادى الراسخ أن المرأة خلقت لسلية الرجل لا لتنافنه .

قالت الladى سبييل فوراً : إن ما قرأت كايد نشأت موهوبة وإذا كان مستر تيمبست لم يسمع عنها حق الآن فلا شك أنه سيسمع ، ولشد ما يؤسفني أننى لم أتعرف بها في ولو زمير في ذلك العهد ، ولكن الذنب ليس ذنبي ، بل ذنب تلك الماوية الحفاظ . وصمنت ثم أردفت في الحال بلهجـة الساخـر :

— مرـكـزـهـاـقـهـيـةـاـجـتـاعـيـةـ دـوـنـ مـرـكـزـىـ ؟ـ هـاـ..ـ هـاـ..ـ ماـأـرـقـ مـرـكـزـهـاـ
الآنـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ .

إـنـهـ لـأـرـازـالـ تـمـيـشـ هـنـاكـ فـذـلـكـ السـكـانـ الـجـمـيلـ الـحـبـوبـ ،ـ وـقـدـ مـاتـ الطـيـبـ الـدـىـ
تـبـنـاهـاـ فـأـتـأـجـرـتـ الـبـيـتـ الـدـىـ قـضـتـ فـيـ طـفـولـهـاـمـهـ .ـ وـابـنـاعـ الـأـرـضـ الـقـيـطـ بـذـلـكـ
الـبـيـتـ ،ـ وـجـعـلـتـ مـنـ ذـلـكـ الـبـقـعـةـ فـرـدـوـسـاـ خـلـيـنـاـ بـأـحـدـ الشـعـراـ .

شـعـرـتـ بـشـقـىـ ،ـ مـنـ الـبـرـ وـالـخـبـلـ لـأـنـ لـأـعـرـفـ شـيـئـاـ عـنـ مـوـاهـبـ الشـخـصـ الـدـىـ
عـنـهـ تـكـلـمـ وـلـأـعـنـ مـرـكـزـهـاـقـهـيـةـاـجـتـاعـيـةـ ..

— لـأـتـرـهـاـقـ الأـدـبـ ؟ـ فـقـالـ لـوـسـيـوـ وـهـوـ يـسـمـ :

— لـأـتـرـهـاـقـ عـامـ الـأـدـبـ ..ـ غـيـرـ رـوـاـيـةـ ..ـ وـلـكـنـهاـ رـوـاـيـةـ مـنـ نـوـعـ يـخـلـفـ عـنـ
سـيـارـ الروـاـيـاتـ .ـ روـاـيـةـ سـتـخـلـدـ .ـ وـإـنـ لـأـتـمـنـ لـكـ يـأـعـبـتـ أـنـ يـكـوـنـ لـرـوـاـيـاتـ مـثـلـ خـلـودـهـاـ
وـهـنـاـتـبـ الـلـوـرـدـ الـيـلـتوـنـ مـنـ قـائـمـاتـ الـقـيـطـ فـيـاـ حـيـنـ ذـكـرـتـ لـهـ أـنـىـ سـأـبـاعـ
ضـرـ وـلـوـزـمـ وـهـنـفـ :

— يـاـ اللهـ ...ـ إـنـ الـبـرـنـسـ لـوـسـيـوـ لـاـ يـعـقـ لـاـ شـكـ أـنـكـ وـضـعـتـ قـصـةـ يـاـ مـسـتـ نـبـسـتـ ؟ـ
ماـغـرـضـكـ مـنـ كـنـاتـهـ الـقصـصـ وـأـنـتـ تـمـتـعـ بـتـلـ هـذـهـ الـكـاتـةـ ؟ـ نـظـرـتـ إـلـىـ الرـجـلـ بـدـعـتـهـ
وـتـسـاءـلـ كـيـفـ اـتـفـقـ أـنـ لـمـ يـلـاحـظـ كـلـ تـلـكـ الـاـعـلـانـاتـ الـيـخـفـلـتـ بـهـاـ الصـفـ وـالـخـلـاتـ ؟ـ

قال لـوـسـيـوـ بـلـطـفـ تـخـالـطـهـ السـخـرـيـةـ :ـ إـنـ يـجـرـىـ وـرـاءـ الشـهـرـ .ـ
فـقـالـ الـلـوـرـدـ بـلـهـجـهـ الـأـكـبـدـ :

— وـلـكـنـكـ مـشـهـورـ حـتـاـ ..ـ وـكـلـ اـنـسـانـ فـيـ اـخـلـاـنـ يـعـرـفـ الـآنـ مـنـ هـوـ مـسـتـ
جـيـوـفـرـىـ تـبـتـ .

فـقـالـ لـوـسـيـوـ وـقـيـ عـيـنـهـ السـوـدـاوـيـنـ ذـلـكـ لـلـرـيـجـ العـجـيبـ مـنـ الـحـزـنـ وـالـاحـتـفـارـ الـذـيـنـ
مـلـلـاـ عـكـرـاـ صـفـاهـاـ :

— يـاعـزـىـ الـلـوـرـدـ .ـ إـنـ الـشـهـرـ لـاـ تـكـفـ سـدـيقـ .ـ وـلـاـ تـشـبـعـ مـطـامـعـهـ .ـ فـهـوـ
لـاـ يـقـنـعـ بـالـمـركـزـ الـعـظـيمـ الـذـيـ تـهـبـهـ لـهـ ثـرـوـتـهـ وـحـدـهـ .ـ بـلـ يـرـيدـ أـنـ يـمـلـقـ فـيـ جـوـ آخـرـ غـيرـ
الـجـوـ الـذـيـ خـلـقـ فـيـهـ رـجـالـ الـمـالـ .ـ يـرـيدـ أـنـ يـوـسـفـ بـالـمـقـرـيـةـ الـقـيـ يـوـصـفـهـاـ ذـوـ الـأـرـاءـ
الـسـامـيـةـ وـالـشـعـرـاءـ وـأـمـحـابـ الـقـرـائـزـ الـلـلـائـكـيـةـ يـرـيدـ بـالـاحـتـصـارـ أـنـ يـمـلـكـ نـاصـيـةـ الـقـلـمـ الـذـيـ
يـهـدـمـ الـعـرـوـشـ وـيـقـلـبـ النـظـمـ الـاجـتـاعـيـةـ وـقـدـ جـرـتـ الـعـادـةـ أـلـاـ يـمـتـعـ بـهـذـهـ الـمـواـهـبـ الـقـيـ
لـاتـبـعـ وـلـاـ تـنـتـرـىـ وـلـاـ تـقـومـ عـلـىـ بـعـضـ النـاسـ الـذـيـنـ لـاـ يـمـلـكـونـ مـالـ .ـ أـمـاـ الـأـعـنـيـاءـ فـقـلـ
أـنـ يـقـلـواـ هـيـثـاـ غـيرـ اـقـاقـ الـمـالـ أـوـ كـنـزـهـ .ـ وـالـآنـ يـرـيدـ تـبـتـ أـنـ يـجـمـعـ لـلـرـةـ الـأـوـلـىـ فـ
شـخـصـهـ بـيـنـ هـاتـيـنـ الـقـوـتـيـنـ الـهـائـتـيـنـ لـلـتـعـارـضـتـيـنـ قـوـةـ الـعـقـرـيـةـ وـقـوـةـ الـمـالـ .

— إـنـ لـأـعـجـبـ كـيـفـ يـفـكـرـ الـذـيـ يـنـعـدـرـ مـنـ أـسـرـةـ شـرـفـةـ عـرـيقـةـ .ـ فـإـنـ يـعـتـ
عـنـ الـمـزـيدـ مـنـ الـشـرـفـ بـالـاشـتـغـالـ بـالـأـدـبـ !ـ إـنـكـ فـيـ الـحـقـ مـتـوـاضـعـ فـيـ مـطـامـعـكـ يـأـعـبـتـ .
فـأـنـتـ خـلـصـ عـلـىـ تـلـ مـنـ الـأـورـاقـ الـلـالـيـةـ وـسـبـائـكـ الـذـهـبـ .ـ وـالـصـفـ كـلـهاـ تـكـبـ عـنـكـ
بـالـأـكـبـارـ وـالـاحـزـامـ .ـ وـلـكـنـكـ لـأـنـتـمـ لـكـىـ .ـ مـنـ ذـلـكـ قـدـرـ اـهـتـامـكـ — كـمـ أـرـأـتـ —
بـالـظـهـورـ فـيـ مـيـدانـ الـأـدـبـ .

وـإـذـأـرـدـتـ رـأـيـ الـخـاصـ قـاعـلـمـ أـنـكـ تـعـتـرـفـ بـرـغـبـتـ فـيـ الـظـهـورـ فـيـ عـدـاـلـ الـكـتـابـ الـخـالـدـيـنـ
وـقـدـ قـالـ ذـلـكـ بـلـهـجـهـ سـاخـرـقـمـ نـفـتـ عـلـىـ الـمـوـجـوـدـيـنـ .ـ وـرـدـ عـلـىـ الـلـوـرـدـ إـيـلـتونـ بـهـوـ :
— إـنـ الـكـتـابـ مـنـ أـجـلـ الـشـهـرـ شـىـءـ وـالـكـتـابـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ الـقـوـتـيـهـ آخـرـ .

وـمـسـتـ تـبـتـ يـرـيدـ . . .
فـقـاطـعـتـهـ :ـ إـنـ الـأـنـسـانـ قـدـ يـعـبـ الـعـمـلـ لـلـعـمـلـ ذـانـهـ دـوـنـ أـنـ تـكـوـنـ هـنـاكـ ضـرـورةـ
تـرـغـمـهـ عـلـىـ أـذـائـهـ . . .ـ وـعـلـىـ ذـكـرـ الـعـمـلـ وـكـبـ الـعـيـنـ هـلـ عـلـكـ مـاـقـبـرـ كـاـيدـ مـاـقـبـرـ ؟ـ
عـنـهـ ثـرـةـ خـاصـةـ !ـ

فـقـالـ الـلـوـرـدـ :ـ لـأـظـنـ ذـلـكـ .ـ وـأـعـتـقـدـ أـنـهـ إـذـ إـذـ كـفـتـ عـنـ الـكـتـابـ مـاتـ جـوـهـاـ .
فـضـحـكـتـ دـيـانـاـ شـيـزـيـ وـقـالـتـ وـعـيـنـاـهـ الـلـاـكـرـتـانـ تـأـفـانـ :

— لكن أنها الآن أبعد ما تكون من خطر الوف جوعاً، وقد قيل في تضليلها ذلك أنها على جانب عظيم من الهدوء، فالناشر الذي يستطيع أن يهدى بها يوم بعد، فقط: يذاك كذاك فاكبر الظن أنها امرأة جريئة، غريبة الأنطوار، مبهلة في نيازها.

هذه على الأقل من أهم صفات النساء الالقى ودون ذلك الأنظار الون

قالت للابن سيدل: قد يصدق هذا الوصف على غيرها كثلاً من النساء، أنها هي فانيا حسناً ورشيقة.

فهنت ديانا بيرن: ما أعجب سمة الجمال والرشاقة في النساء القديمة بالآداب؟
فاستطردت الابنة سيدل: إن الناس يتظرون إلى ما يزيد كثيراً كثافة شدة بين السكانات، فهي وتنية في مظهرها رشيق في أسلوبها، وهي تكتب عن شارع وعنبية وتطرق من الموضوعات كل جزء طريف.

قال لوسيو: من أجل هذا ولا شك قد ثارت عليها ثائرة النساء؟
قالت سيدل: بغير شك، ولكن لا تفتأم! اهبلات الأدب إلا نادراً.
رأى ورلورد إيلتون وهو يضحك:

— بلما لاتترأها، ولا أظن أنه يوجد من ينكرها غير كتابها فهو على ما أعتقد وريقات طفالية تؤدي مهمة لا تحتاج إليها أحد. فأنا سعيد لست بحاجة إلى هذه الفبلات لتشذير إلى اشتغال السجين من الزفافات. لأنني... كالمير من الناس الندوة على التيز والعشب. أما أنا بتصدي ككاتب قد يكون مهتماً بكتابه وأهلاً لكتابه، وما أعتبره تظلاعاً، لأن ما يراه هذا الكاتب عذا قد أراه أنا مهيناً.

وق هذه الحظة أول أحد الخدم فكل المودع عن الكلام وهي السلام في آذن بيده بعض كلمات فتحهم وجه ورلورد نيليا، ثم قال حدتها الآسة شارلوت:
— يا شارلوت، إن الالد ايلتون ينشئ بأنها مستقلة إلى قاعة الاستقبال، فهل لك في العذبة بها حتى تلقي بكل؟
فنهضت شارلوت، وتحول إلى الوراء واستطرد:

— إذن زوجي لا يقابل شيئاً إلا سلطاً، والظاهر أنها أتت الليلة إلى الملوس منها فراراً من الوحيدة، وأنا أكون لكيشاً كراكاً إما فخفاخاً يدخل السرور على نفسها إما لا يتكلم إلا فخفاخاً، ولكنها ترى ولسمع جداً، وبذلك لها أن تتبع ما يدور من الحديث. ثم تأوه من قلب حزين وهل:

— مسكنة لعدم كاتبات من أعدد السيدات حديثاً

فعنعت ديانا شرف في رفق لمم، مسكنة، ولكنها لا تزال تحفظ بكل جاذبها، نظرت إليها الالد سيدل بكمراً، نظرة ذات حل القلب، وأقول الحق إن هذه النظرة وادعى بها إعجابها، لأنني من الرجال الذين عنثنون من النساء، الاقتباس العام، وروقهم أن يروا العيون الساحرة تتألق في بعض الأحياء بالغضب التعبير على المرعنة، وأن يرواAdam الغضب يصد إلى وجنتي الحسان تزويدهن حملوا وسراً، لأن ذلك في المرأة من أمارات الزجاج المترعد، الذي من شأنه أن يثير في الرجل الرغبة الغريبة في السيطرة على ساحتها، لكتحب جاهتها وإخناعها بالسلطان..

قد كاتبت هذه الرغبة تحمل في نفس بكل قوتها حين تهض عن ثلاثة وفتح الباب لخروج السيدات، ولما مرت في سيدل، سقطت دعوة البنج التي كانت تزن سدرها الجيل فالقطعتها بسرعة، وكانت فرحة ساخنة لأن أخطو الخطورة الأولى لتحقيق مطلعم، فهنت لها بصوت ساقط: آنسينين في الاحتفاظ بهذه الزهرة؟

في نجدة أحاسيسها بسرعة، ولكنها نظرت إلى نظرة ذات حل أنها فهمت غرمي... وأجابت بصوتها: أصح لك؟

فأحيطت قاضي هام، ودست الزهرة في جيبه ثم أغفلت الباب، وعادت إلى مكان حول قاعة...

الفصل الثامن - موسيقى

حاوت بلوسو وبالورد إيلتون في قاعة الطعام نظر الورود كل عوامل الكاتبها وأشرف ما شاءه، الإسراف في التجفيف، فكانت كل كلها من كثافه وكل إشارة من إشارةه دليلاً على أنه لا يبني إلا إبرساناً... وأعتقد أنه لو اتهمت تلك الفرسات، وقدمت اليه في غير لبابة في طلب إيهاته نثیر ماقة آنف من الجنيمات أدفعها إليه يوم الرفاف لقبل في إهال وكل سرور...

وبصرف النظر عن جسمه فانني كنت أشعر بأن حصولي على اللادى سيبيل لا يمكن إلا أن يكون موضع مساومة .. اللهم إلا إذا استطعت أن أفوز بحب الفتاة وقد فكرت في أن أجرب حظى في ذلك .. ولكن التفكير هداني إلى أنه من المستحيل على أن أنجح في حلها على نisan حقيرة بارزة .. هي التي غنى واسع الغنى وأن أحملها على حى الشخص عرضاً عن الثروة وهنال يسعى بالشعور بالنعمه الى يتعصب بها الفقراء وهم لا يشعرون فالقبر يستطيع أن يفوز بحب المرأة وأن يشعر عن ثقة بأن حبه له حقيق ولا يقوم على مصلحة مادية أما الفتى فلا يستطيع الاستماع بمثل هذا الشعور الجميل ، ذلك لأن أكثر الفتيات الحسان اللائى يزوجن من أغنياء إنما يفعلن ذلك تحت ضغط شديد من الحاف ذويهن وأسد قائمين .. فإذا اقررت امرأة ب الرجل يملك خمسة ملايين من الجنيهات مثلاً كان من المعاير لمعايير الانسان وطبع المرأة على الأخس الا تقيم وزناً لهذه الثروة الطائلة قبل أن تقدر الرجل اصفاته الخاصة ، وإن فالمرى لا يستطيع أن يطمئن إلى الصداقة .. ولا إلى تلك الصداقة النبيلة الندية التي هي حب المرأة الصحيح .. الحب الذي يقصد للنكبات والكوارث ولا تزيد التجارب للمريرة والأيام السوداء إلا فورة الحب الذى يكتشف في أوقات الصيق واليأس عن أبل ما يتعلّم في نفس المرأة من رسالة وتنمية .. الحب الذى يعطي الشام عن الحساب لللائى من نفسية المرأة ، هذا الحب حرم على المرى ، فصاحب الملايين يستطيع أن يقترب بأجل غانية في العالم .. ويستطيع أن يزيتها بأعن التباين وأبعد الآلى .. وأن يجعل منها ثالثاً للجال متقطع النظير ولكنه لا يستطيع أن يتغلل في أعماق نفسها .. ولا أن يتصل بأبل نواحي كيانها ..

جال ذلك كله بخاطرى وأنا لا أزال في الرحلة الأولى من مراحل العمل لتحقيق مطامعى ولكن لم ألق إليه بالا .. ولم أهتم له كثيراً في ذلك الوقت كما اهتممت فيها بعد فقد كنت آتتني نشوة من الفتى والتراء العريض أرى أن الفوز بذلك الهيكل القدس من هياكل المجال البرى، كفيل بأن يعوضنى عمادى ألى من فتور اللادى الحسناء بل إنني لم أتم لهذا الفتور المزعوم وزناً على اعتبار أن الوقت كفيل باخضاع عواطف سيبيل للتمردة وعندما عدت مع لوسيو والورد ايلتون إلى قاعة الاستقبال .. ألمقيت جوها الطروب للطبيعين قد غشيته سحابة وجوم وجود وقلق بسبب وجود اللادى ايلتون الذى تعلمها

الحمد في فراشها .. ووضعتها على مقربة من الوقود .. وكان هنا القراش يتحرك على عجلات ولكن المحاولات التي بذلت لستر العجلات لم تجده نفعاً .. وقد خبل إلى الوجه الأولى التي أرى ثابتة ميت لا فراش مريضة بالفالج ..

وكانت اللادى ممددة بين الوسائل وجمدها المفلوج أقبه بعثت الموتى .. ولكنها لم تكدر تحرك وجهها نحوها عندما دخلنا حتى تبيّنت في تقاطيعها الدقيقة أن رحمة الغابر وقد افت نظرى في ذلك الوجه الشاحب الجليل عيادة واستعان صافيتان برافتان .. قدمتنا اللادى سيبيل إلى أمها ، فأحنت اللادى ايلتون رأسها بطف وقل لها زوجها : هذه مفاجأة سارة يا عزيزى .. لقد اتفقت ثلاثة أيام منذ رأيتاك في هذه الترقفة لا آخر مرءة .. كيف تشعرين الآن ؟ فاجابت اللادى ايلتون ببطء ، وهدوء ، وهي لا ترفع عينيها عن الرئيس ريمانيز : إننى أحسن حالا ..

قالت اللادى سيبيل : لقد شعرت والدى بوطأة البرد في هذه الغرفة .. نظرتها من الوقود ، ان البرد شديد ليس كذلك ؟ ومررت يدها الجليل بحقن سرعة ولم ترفع اللادى ايلتون نظرها عن وجه لوسيو طيلة هذا الوقت .. وكان لوسيو يتحدث باهتمام إلى مس شارلوت فيتزروى .. فقالت اللادى خاتمة وهي تشير إليه بأصبعها : فاجابت اللادى سيبيل بعطف : من هنا !

ـ ألم أقل لك يا أمى العزيزة إن هذا هو الرئيس لوسيو ريمانيز أعز أصدقاء ، أى ؟ فقل أصعب اللادى ايلتون مدوراً كأن ذراعها قد سجدت في مكانها وسألت مرة أخرى بصوت خافت : (ما) هو ؟

ـ وهذا اقرب منها اللورد وانهى نونق فراشها ، وقال وهو يتظاهر بالقلق : لا تزعجي نفسك بالاستفسار الكبير يا هيلين ، أنت ولا تلك تذكرى كل ما فعلت تلك عن الرئيس ريمانيز .. وأيضاً عن هذا السيد ، مسـتر جـيـوـفرـى تـمبـست ، فأهلقت برأسمها ، وحوّلت عينيها عن وجه ريمانيز ونظرت إلى طويلاً .. ثم قالت خاتمة وبصعوبة :

— إنك لا تزال في سن لا تؤهلك لأنك تكون من أصحاب الملائكة . . .

هل أنت مزوج ؟

فابتسمت وأجبت سلباً :

و Gundidh حولت عينيها عن وجهي إلى وجه ابنتها ، ثم نظرت إلى مرة أخرى ، ثم عاد لوسيو فاحتذب نظرها كأنما بقعة مغضبة .

قالت لي وهي تنظر إلى قامة لوسيو الطويلة التي :

— دع صديقك يقترب . . . وتحدث إلى .

ولأعلم كيف مع لوسيو كلاتها أوكيف شعر بها لأنه ترك محدثه في الحال واقترب منها وهو يعنى تلك الشية المنشدة البليلة ، ثم انحنى أمام السيدة الريحة ، وتناول يدها وقبلها باحترام . . .

قالت اللادى ايلتون بشئ من الارياح :

— يخيل إلى أنى أعرف وجهك فهو تذكر أننى قابلتك قبل الآن .

فأجاب لوسيو بصوته العذب ، ورقة الساحرة . . .

— ربنا كنا قد تقابلنا يا سيدى العزيزة . . . فإني أذكر الآن كاذكر الحلم العذب أننى رأيت في عهد الشباب والسعادة من هيلين قويروى قبل أن تصبح اللادى ايلتون ففجعت اللادى وهى تبتسم : لابد أنك كنت لازال طفلاً في ذلك العهد .

— كلا . لأنك مازلت في مقبل العمر يا سيدى . أما أنا فقد بلغت من السن عتيماً . إنك تظرين إلى نظرة ارتياش كأنك لاصدقين ما أقول . ولكن من دواعي أسف حقاً أن منظري لا يدل على سف . إنني أعرف كثيراً من الرجال يهتمون بأن يعلم الناس أنهم أصغر سناً مما هم عليه حقيقة . بل أعرف رجالاً في الحسين يخرون بأن منظري يدل على أنهم لا يزالوا في التاسعة والتلاتين . أما أنا فعلى تقدير هؤلاء الرجال . وكان يهمي أن ترك السنين بصماتها على وجهي . . . ولكن الشيخوخة تأتي للأسف أن تشرف تقاطيع وجهي . وأؤكده لك أن ذلك مما يؤلمني أشد الألم .

نم سكت قليلاً . . . وتحول إلى اللادى ايلتون وقال ليغير محى الحديث :

— أتوووك الوسيق يا سيدى ؟

فابتسمت اللادى وأطرقت برأسها علامه الایجاب .

وكانت ديانا شيرنى قد دخلت في هذه اللحظة وفتحت سؤال لوسيو فقالت له وهي تضع يدها على ساعده بطفف : أتريد العرف على اليانو بآسدي الأمير ؟

فأجاب : إنى أعزف على اليانو كما لا يعزف البشر . لأننى تعلمت الوسيق من الطبيعة تعلمتها من أصوات البلايل . وهدير الأمواج . وزفير الرياح . وأنين الشر . هل أسمعك شيئاً مما تعلمت ؟

حق جلس ومر بسرعة على جميع الأوتار بأصابعه قبل أن يعزف .

لم أسمعه بلا يعزف . بل لم أكن أعرف أنه يعزف إلى الموسيقى . فكل ما عرف من صفاته حق ذلك الوقت أنه رجل غنى يحب البشر ويقاوم نادراً ويريح دائماً ويجيد دركوب الخيل . لذلك كنت أعظم الموجودين شوقاً إلى صاع موسيقاه .

على أنك مأكلاً لأسمع الأنعام الأولى حتى ملكتى الدهشة . وسألت فهى أى يمكن أن تصدر هذه الأصوات جميعاً من آلة واحدة كذلك اليانو أم أن الرجل ساحر يستطيع بسحره أن يفعل مالاً يفعل البشر .

أجلت الطرف حولي . فرأيت يدى الآنسة شارلوت فيتزروى تداخيان على ركبتيها . ورأيت ديانا شيرنى تغض عينيهما كمن يريد أن يستمع بعلم آذى . رأيت اللورد ايلتون يحملن خوه لوسيو بعينين واسعتين ، أما سيبيل فانها تهالكت على مقعد يحوار أنها وندامت على لونها ، وأما اللادى ايلتون فقد ارتسم على وجهها مزاج عجيب من الألم والسرور وراح الموسيقى ترتفع وتتدوى فهى قصف الرعد وخففت وترق فهى تغريد الطيور وغتبط وتعلاق فيسمع فيها لالطم الأمواج وقرع النواقيس وأغاني الحب وصيحات الغضب وأنين الألم ..

وخليل إلى وأنا أسمع هذا المزاج من الأنعام الخففة والأصوات التختبرجة إن مسحة مظللة قد غشيت بصرى وأنها زالت جائة لتكتشف عن ضخمة يتغير منها اللعب ، وإن وجوهاً حية وبشعة تطل على من بين آلسنة النيران

وتنقل رأسى وأحسست بدوران وشعرت بأنى أختنق . وأنى يجب أن أتكلم . . . وأمسح .. وأرجو وقف هذه الموسيقى الجهنمية قبل أن تصرعنى أنقامها الخففة

— ولا أنا.. إنها في الحق موسيقى رائعة .. ولكن هل تعلم أنها أخافتني
فأجاب لوسيو بلهمجة الشادم :

— أنا آسف لذلك أشد الأسف وليني ما عرفت ، فقد كنت أعلم سلفاً بأنني
موسيقى فاشل .. فهتف اللورد إيلتون :

— موسيقى فاشل ! مَاذا تقول ؟ إنك تستطيع أن تخسر شهرة واسعة إذا عزف للجمهور
وهنا قالت ديانا شيرنلي : وهل تجيد الغنا يا سيدي الأمير ؟ أرجو أن تنشدنا هنا
يهدى نورة أعنابنا بعد هذه الموسيقى العجيبة الخفية .. أو كذاك أنت في أشد حالات
الاعمال ، ولكنني أغفر لك إذا أنشدتنا هنا . — صرفاً وطاعة .

وتحول إلى البيانو مرة أخرى وأخذ يعزف عليه بعض الأنماط المادحة ثم راح يغني
بنبرات رنانة أنشودة لم أسمعها قبلاً ، أنشودة عاشقين ضاقت بهما الدنيا على سمعها فآتارا
الرحيل منها سواها . وكان في صوته المدادي الحزن ما أنوار في فرسنا اليأس والحزن ،
وما إن فرغ من الغنا حتى انطلقت كفتا بالتصفيق ، وهتفت ديانا شيرنلي :

— يا لها من أنشودة رائعة !!

فأجاب لوسيو ببروده العادي : لست أرى فيها شيئاً من الروعة ، فهي أنشودة حب
وموت .. والحب والموت من الأشياء العادية في هذه الحياة .

وما كاد ينطق بالكلمة الأخيرة حتى سمعت صوتاً حاداً صادراً من أحد أركان الغرفة
يتقول : أين قرأت هذه الأنشودة ؟

الفصل العاشر — النوبة

ألفت اللادى إيلتون الريضة هذا السؤال ، ولكن صوتها الحاد الثاقب جعلنا نحول
أنظارنا إليها .. رأيناها تحاول أن تعتدل بين الوسائل ، وقد ارتسما على وجهها رعب
شديد .. شف البهار زوجها في الحال ، وأسرعت إليها كذلك آخرها شارلوت ، ولكن
الladى كانت في حالة انفعال شديد ، فصاحت بصرجر : دعوني .. إنني لست مريضة ..
إنني أحسن حالاً ما كنت منه شهور .. لقد أفادتني الموسيقى .

ثم نظرت إلى زوجها وقالت له : سل مديرك أن يجلس إلى جانبي فاني أريد أن
تحمّل إليه .. إن صوته عجيب .. وأنا .. وأنا أعرف الأنشودة التي عندها .. وأذكر

وخفّة .. اختتمت تلك الأنماط الشيطانية بهدوء كهدوء الأمواج ، نمـ ساد السكون
لم يتكلـم أحد ، وأـ كـرـلـنـ لـنـ أنـ الـوـجـوـدـيـنـ كـانـواـ يـشـمـرونـ بـثـلـ ماـشـعـرـتـ بـهـ وـقـتـ

من دوار ونورة أعصاب وخفقان قلب بتأثير تلك العاصفة من الأنماط العجيبة ..
وقد كانت ديانا شيرنلي أول من بدأ الصمت فخفّت قائلة : هذا أربع ماقصـعـتـ فـحـيـاـيـ

أـمـاـنـاـنـاـلـمـ آـنـطـقـ بـيـنـتـ شـفـةـ ،ـ ذـلـكـ لـأـنـ شـيـئـاـ فـ تـلـكـ الـأـنـعـامـ أـنـارـ دـمـ وـحـرـكـ فـ

أـعـمـاقـ غـرـائزـ وـحـشـيـةـ قـيـمـةـ

نظرت إلى اللادى سـيـيلـ فـأـنـفـيـتـاـ مـنـتـقـعـةـ الـوـجـهـ ،ـ شـاحـجـةـ الـلـوـنـ مـطـرـقـةـ بـرـأسـهاـ إـلـىـ

الـأـرـضـ ..ـ وـرـأـتـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ يـدـمـهاـ تـرـجـفـانـ بـشـدـةـ ..

وـخـفـقـنـ عـاـمـلـ خـفـقـنـ حـقـيـقـةـ لـأـنـ أـعـبـرـ عـنـ رـأـيـ فـهـنـيـتـ مـنـ مـكـانـ

وـاقـرـبـتـ مـنـ لوـسـبـوـ حيثـ كانـ لـإـرـالـ جـالـسـ أـمـامـ الـبـيـانـوـ وـوقـلـتـ لـهـ :

ـ إـنـكـ أـسـتـادـ عـظـيمـ وـعـازـفـ بـارـعـ ..ـ وـلـكـ هـلـ تـعـرـفـ بـعـادـاـ توـحـيـ أـنـعـامـكـ ..

ـ خـفـقـنـ فـ وجـهـ طـوـيـلـ ..ـ نـمـ هـزـ كـفـيـهـ وـرـأـسـهـ ..

ـ هـمـسـ :ـ إـنـ موـسـيـقـاـكـ توـحـيـ بـالـاـتـ وـتـدـفـعـ إـلـىـ الـحـرـيـعـ ..ـ وـلـقـدـ سـرـكـتـ فـ غـرـائزـ

ـ شـرـبـرـةـ لـمـ يـغـطـرـ يـالـيـ أـنـ شـيـرـهـ هـذـاـ الـقـنـ الـلـائـكـ الـجـيلـ ..

ـ فـايـتـمـ وـلـعـتـ عـيـنـاهـ لـمـانـ النـجـمـ فـ لـلـيـلـةـ الشـتـاءـ وـقـلـ :ـ إـنـ الـفـنـ يـتـحـذـلـ لـوـنـ الـفـرـاـزـ

ـ الـخـفـيـقـةـ الـكـامـنـةـ فـ أـعـمـاقـ الـأـنـسـانـ فـاـذـاـ كـانـ موـسـيـقـاـيـ قـدـ سـرـكـتـ فـ غـرـائزـ

ـ خـبـيـثـةـ شـرـبـرـةـ فـعـنـيـتـ ذـلـكـ أـنـ هـذـهـ الـفـرـاـزـ كـامـنـةـ فـ أـعـمـاقـاتـ معـ الـأـسـفـ

ـ فـأـجـيـهـ بـسـرـعـةـ :ـ أـوـ فيـ أـعـمـاقـكـ أـنـتـ ..

ـ فـقـالـ بـبـرـودـ :ـ أـوـ فيـ أـعـمـاقـ ..ـ وـأـذـكـرـ أـنـيـ قـلـتـ لـكـ مـرـارـاـ إـنـيـ لـسـتـ قـدـيـساـ

ـ نـظـرـتـ إـلـيـهـ مـتـرـدـداـ مـرـتـابـاـ ..ـ وـخـلـ إـلـىـ لـسـبـ أـجـهـلـهـ أـنـ وـرـاءـ هـذـاـ الـمـبـكـلـ الـجـيلـ

ـ هـنـ هـيـاـكـ الـرـجـوـلـةـ الـكـامـلـةـ شـيـئـاـ بـشـعـمـقـيـتـ لـأـعـرـفـ كـنـهـ ..

ـ ثـمـ زـالـ هـذـاـ الشـعـورـ مـنـ نـفـسـ بـالـتـدـريـجـ وـحلـ مـحـلـهـ ذـلـكـ الشـعـورـ بـالـأـعـجـابـ الـعـيـقـ

ـ قـلـتـ لـصـاحـبـيـ مـعـتـدـلـاـ :ـ عـفـواـ يـاـ لـوـسـبـوـ ..ـ لـقـدـ كـنـتـ مـتـسـرـعاـ ..ـ وـلـوـاقـعـ أـنـ موـسـيـقـاـكـ

ـ رـوـعـنـيـ فـأـنـاـلـمـ أـسـمـعـ مـثـلـهـ فـ حـيـاـيـ

ـ قـفـاتـ الـلـادـىـ سـيـيلـ وـكـانـ قـدـ نـهـضـتـ مـنـ مـكـانـهـ وـاقـرـبـتـ مـنـ الـبـيـانـوـ :

أني فرأنها متن أعوا .. وآريد أن أعرف أين فرأنها ..

فنهض لوسيو من مكانه وعلى شفتيه ابتسامة خيّنة ، ومتى نجو اللادى خطوات متسلدة ، فوضع اللورد مقعداً لجلوسه بجانب الفراش وقال له :

— إإنك تفعل العجائب يا ريمانز ، فأعنتك تدأثرت على زوجي تانيا هيفا ..
نـم تركـه مع زوجـته واتـربـ منـ حـيـثـ كـنـتـ آـمـحـاذـبـ آـطـرـافـ الـحـدـبـ معـ الـلـادـى
سـيـبـيلـ وـدـيـاناـ شـيرـنـىـ ..

قلـتـ لـهـ : كـنـتـ آـخـدـتـ آـلـآنـ إـلـىـ الـلـادـىـ سـيـبـيلـ وـأـعـبـرـ لـهـ عـنـ رـجـائـيـ فـيـ آـنـ تـشـفـيـ
معـكـ بـزـيـلـةـ قـصـرـ وـبـلـوزـمـيرـ ..

فقطـبـ الـلـورـدـ إـلـتـونـ حاجـيـهـ ، ثـمـ قـالـ وـعـلـىـ شـفـتـهـ اـبـتـسـامـةـ مـفـتـصـبـةـ :

— إـنـ مـنـ دـوـاعـىـ سـرـورـنـاـ آـنـ تـجـمـعـ بـكـ فـيـ ذـكـرـ الـقـصـرـ .. فـيـ تـنـقـلـ مـلـكـيـتـ الـلـكـ ..

— بـعـدـ الـفـرـاغـ مـنـ الـأـجـرـاءـاتـ الـرـبـيـةـ الـعـنـادـةـ ..

فـصـمـتـ لـحظـةـ ثـمـ قـالـ كـأـهـلـاـ بـحـولـ مـجـرـىـ الـحـدـبـ : وـكـتابـكـ مـقـىـ بـصـدرـ ؟

— الـأـسـبـوعـ الـقـادـمـ .. فـقـالـ وـهـوـ يـظـاهـرـ بـالـأـهـمـ :

— لـابـدـ أـنـ تـقـرـأـهـ . أـرجـوـ أـنـ تـذـكـرـيـ ذـكـرـ يـاسـيـبـيلـ . وـأـنـ تـسـجـلـ اـسـمـ الـكـتـابـ
فـقـائـمـةـ الـكـتـبـ الـتـيـ سـتـظـلـيـنـاـ فـيـ الـأـسـبـوعـ الـقـادـمـ ..

فـأـخـدـتـ رـأـسـهـ عـلـامـةـ عـلـىـ الـمـوـافـقـةـ . وـأـنـاـ بـشـىـ ، مـنـ قـةـ الـأـهـمـ

قلـتـ : بـلـ عـلـىـ الـعـكـسـ .. يـحـبـ أـنـ تـسـمـحـ لـيـ فـأـهـدـيـكـ نـسـخـةـ مـنـ الـكـتـابـ ..

فـأـجـابـ سـيـبـيلـ : شـكـرـاـكـ .. وـلـكـنـ ثـقـ أـنـ باـعـ الـكـتـبـ الـلـديـ أـعـاملـ مـعـهـ
سـيـرـسـلـ إـلـىـ نـسـخـةـ مـنـ الـكـتـابـ حـالـ ظـهـورـهـ . فـهـوـ يـعـلمـ أـنـ أـمـيلـ إـلـىـ اـقـنـاءـ جـمـعـ
الـكـتـبـ وـأـنـ كـنـتـ لـاـ أـفـرـأـ غـيرـ مـؤـلـفـاتـ مـاـفـرـ كـلـيرـ ..

ضاـيـقـ هـذـاـ اـسـمـ وـلـكـنـ قـلـتـ مـدـاعـيـاـ : إـنـيـ بـدـأـتـ أـشـعـرـ بـالـغـيـرـ مـنـ مـاـفـرـ كـلـيرـ ..

فـأـجـابـ بـهـدـوـهـ : أـكـثـرـ الـكـتـابـ يـغـارـوـنـ مـهـاـ ..

فـقـلـتـ فـيـ شـىـ : أـرـىـ أـنـجـيـ شـدـيدـةـ الـحـاسـيـةـ ؟

— هـذـاـ حـقـيقـ . فـانـيـ بـعـجـبـيـ أـنـ أـرـىـ إـحـدىـ بـنـاتـ جـنـىـ تـسـلـكـ هـذـاـ السـيـلـ
الـسـيـلـ الـلـديـ سـلـكـتـهـ مـاـفـرـ .. وـأـنـاـ شـخـصـيـاـ لـاـ أـعـتـقـ بـوـهـةـ مـعـيـنـةـ مـنـ الـوـاـهـبـ الـتـيـ تـعـزـ

صـاحـبـهاـ . وـلـعـلـ ذـاكـ هوـ السـبـبـ فـيـ أـنـ أـفـدـرـ مـواـهـبـ غـيـرـ مـنـ النـسـاءـ .
وـقـبـلـ أـنـ أـفـتحـ فـيـ لـأـجـبـهاـ . دـوـتـ فـيـ أـنـخـاءـ الـفـرـقـةـ صـيـحةـ فـزـعـ مـخـفـفـةـ صـيـحةـ كـتـكـ
الـقـيـ نـصـرـ عـنـ وـحـشـ يـاتـمـ أـبـغـ الـأـمـ ..

حـولـ وـجـهـيـ عنـ سـيـبـيلـ فـيـ الـحـالـ . وـرـأـيـتـ رـيـانـزـ يـقـرـبـ مـاـ بـخـطـوـاتـ سـريـعةـ
وـعـلـ وـجـهـهـ عـلامـاتـ الـحـزـنـ وـالـأـهـمـ .. قـالـ بـصـوتـ حـافـ ..

— أـخـىـ أـنـ تـكـوـنـ الـلـادـىـ إـلـتـونـ عـلـيـ غـيرـ مـاـيـرـامـ .. أـرـجـوـ أـنـ تـسـفـوـهـاـ بـالـعـنـاءـ
وـفـيـ هـذـهـ الـلـاحـظـةـ سـدـرـتـ مـنـ الـلـادـىـ إـلـتـونـ صـيـحةـ أـخـرىـ جـعـلـتـنـاـ خـمـدـقـ مـوـاضـعـناـ .
وـأـكـنـتـنـاـ رـأـيـنـاـ تـضـرـبـ الـمـوـاءـ يـدـهـاـ بـقـوـةـ كـأـعـاـ لـتـدـفعـ عـدـواـ خـفـياـ ..

وـمـاـهـيـ إـلـاـ لـحـظـةـ حـتـىـ تـجـمـعـ وـجـهـهـ وـلـعـضـنـ بـهـيـةـ مـخـفـفـةـ جـمـلـ اـسـحـنـهاـ شـكـلـ لـابـثـ
أـشـكـالـ الـآـدـمـيـنـ فـيـ شـىـ ، وـسـعـنـاـهـاـ تـصـبـحـ بـصـوتـ مـخـتـنـقـ مـيـحـاتـ وـحـشـيـةـ وـتـهـفـ ..

— عـفـواـ .. عـفـواـ يـاـ إـلـهـيـ .. قـولـواـ لـسـيـبـيلـ قـولـواـ لـهـاـ أـنـ تـبـنـيـ إـلـىـ الـلـهـ .. إـلـتـنـواـ ..
وـقـبـلـ أـنـ تـفـصـحـ حـمـاـتـرـيـدـ . سـفـطـ رـأـسـهـ إـلـىـ الـحـلـفـ وـأـغـمـيـ عـلـيـهـ ..

وـأـعـقـبـ هـذـاـ الـحـادـثـ الشـادـقـةـ اـضـطـرـابـ قـالـمـرـعـتـ سـيـبـيلـ إـلـىـ أـمـهـ .. وـتـعـنـهـ
شـارـلـوتـ . أـمـاـ دـيـانـاـ شـيرـنـىـ فـانـهـاـ تـخـلـفـ فـيـ مـكـانـهـاـ . وـظـلـتـ تـحـمـلـ نـجـوـ الـلـادـىـ وـتـرـعـفـ
مـنـ قـةـ رـأـسـهـ إـلـىـ أـخـصـ قـدـمـهـ ..

وـدـقـ الـلـورـدـ الـجـرسـ بـقـوـةـ وـصـاحـ فـيـ وـجـهـ الـخـادـمـ : اـدـعـ الـطـيـبـ حـلاـ . لـقـدـ أـصـبـيـتـ
الـلـادـىـ بـنـوـيـةـ جـدـيـدةـ . وـيـبـ أـنـ تـقـلـ إـلـىـ غـرـفـهـ فـيـ الـحـالـ ..

وـهـنـاـ نـظـرـتـ إـلـىـ رـيـانـزـ فـرـأـيـتـهـ مـنـتـجـيـاـ نـاحـيـةـ وـعـلـ وـجـهـهـ عـلامـاتـ الـهـدوـءـ
قـلـتـ لـلـورـدـ : هـلـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـتـاـوـنـكـ بـشـىـ ؟

ضـفـطـ الـلـورـدـ عـلـ سـاعـدـيـ وـقـلـ بـلـهـيـةـ الـامـتـانـ وـالـشـكـرـ :
— كـلاـ .. كـلاـ .. شـكـرـاـكـ . كـانـ يـجـدـرـ بـهـاـ الـأـتـرـكـ غـرـفـهـ .. سـيـبـيلـ ..

لـأـنـتـرـيـ إـلـىـ أـمـكـ هـكـنـاـ قـدـ يـؤـنـرـ مـنـظـرـهـ عـلـ أـعـصـابـكـ ، وـأـنـتـ يـاـ آـنـسـ هـبـنـىـ أـرـجـوـ
أـنـ تـدـهـيـ إـلـىـ غـرـفـكـ .. إـنـ شـارـلـوتـ هـنـاـ ، وـهـيـ تـعـرـفـ مـاـيـبـ صـنـعـهـ ..

وـدـخـلـ خـادـمـانـ ، وـحـلـاـ فـرـاشـ الـلـادـىـ ، وـمـدـ أـحـدـهـاـ يـدـهـ . فـأـسـدـلـ عـلـ وـجـهـ الـلـادـىـ
قـنـاعـ ، وـلـكـنـيـ كـنـتـ قـدـ رـأـيـتـ سـعـنـهاـ ، وـمـ أـتـمـلـكـ مـنـ الـأـرـجـافـ عـنـدـمـاـ شـهـدـتـ الـأـقـلـابـ

الخيف الذي طرأ على ساحتها ، فقد كان مرتباعاً على وجهها من علام الرعب والفزع
ما لم أر له مثيلاً في حياتي ، وما لم يمكن أن يتصوره غير رسام ما هر تغلق في أحماق
النفس البشرية وعرف تأثير أشد أنواع الرعب ..

رأيت عينيها وقد ثبتت في حجر حمراً وقد ندلت البريق الذي تمتاز به عيون الأحياء
ورأيت وجهها متلصساً وقد ترك عليه الرعب طابعاً لا يشك من يراه في أن السيدة
للسكينة قد رأت الشيطان بما فهمها منظره ، وأوقع في نفسها كل هذا الرعب الذي
لو تسمت أماراته على ملامح وجهها ..

راغبى منظرها فأشتقت بوجهها ، وسرني بعد ذلك بليل أن أرى ريمانز يستأنف
مضيفنا في الانصراف ، وعبر له عن آسفه لما وقع ، فنهض واقترب من اللادى سيل ،
وتلاولت بدها الباردة المرجفة في يدي وقبلتها باحترام ، وهمست :
— يؤلمني جداً ما حديث ، وأتعنى لو أستطيع أن أفعل شيئاً لعزتك وتحفيف وقع
الحادث عليك . فنظرت إلى يدها وقلت :

— شكر لك .. ولكن أذكر أن الأطباء قالوا إن أى تصاب بصلة تفقدها
النطق وهو في الواقع أمر محزن ، ولا يبعد أن تعيس السكينة عدة أيام بهذه الحال .
فغيرت لها عن عطقي مرة أخرى ، وألتها :

— هل أستطيع أن أمر بك غداً لاستئناف عنها ؟
فأجاب بدهوه أيضاً : أكون شاكراً لو فعلت ..
— طبعاً .. إذا شئت
قتل هاماً : وهل أستطيع رؤيتك إذا حضرت ؟
— وقابلت عيوننا .. وشعرت بالغرابة أنها أدركت ما يحول عاطري .

شدت على يدها قلم يدللي أنها استاءت .. نمودعها وودعت الورد ايلتون والآلة
شيرنى التي كانت لا تزال في حالة رعب شديد ..

وكانت الآلة شارلوت فيزروى قد تبعت فراس أختها ولم تعد تعودنا ..
وتخلف ريمانز لحظة ليحدث إلى الورد ، ثم تمعن وعلى شفتيه ابتسامة عجيبة ..
وما كادت الركبة تبتعد عن القصر حتى قال : يا لها من حانية عجيبة .. تلك التي
اختتمت بها حياة هيلين الحسناً زوجة الورد ايلتون !! إن الشلل هو يغير شكل أسوأ

عقوبة بدنية يمكن أن تصيب امرأة أسرفت في اللذات والشهوات .
خملت في وجهه بدهشة وسألت : لماذا تعى ؟
فأجاب ببروده النائل : أتعى ما قلت ، والاسراف في اللذات والشهوات الدنيوية هو
أقل ما يمكن أن أصف به حياة اللادى ايلتون .. إن هذه السيدة تبلغ الحسين من
عمرها الآن .. ولكنها عندما كانت في رباعان سباهما كانت تقدم على أسوأ ما يمكن أن
تقدّم عليه امرأة ، وكانت تتبدل في ذلك تبذلاً ينافي الكرامة ..
كان لها عشرات العشاق ، وأعتقد أن أحد عشاقها قد سدد الديون التي تورط فيها
زوجها بسبب إسرافه في المقامرة ، وأعتقد أن الورد سره كثيراً أن يسدى إليه عشيق
امرأته لهذا المعروف ..
لم أصدق ما سمعت ، ولم أتمالك أن هتفت : يا لها من أخلاق محفلة !

فنظر إلى نظرة تهم سخرية وقال :
— أنتن ذلك ؟ إن أكثر الليزرين من أفراد الطبقه التي صفوتها بالرق يفعلون
اليوم ما فعل الورد ايلتون .. بل إن بينهم من يغتر بأن زوجته عشاقاً .
أطرقت برأسى ولم أجرب . وأشعل لوسيو لفافة تبغ ومضى في حديثه فقال :
— إنني ارتكت هذا المساء غلطه بيته . وكان يحدري ألا أتعى تلك الأنسودة
التي غبتها . فالواقع أن واضح ألفاظ هذه الأنسودة هو عشيق قديم من عشاق اللادى
ايلتون . عشيق يغدو إلى فرض الشعر كما لا يدأن تكون قد لاحظت من ألفاظ أنسودة
وكانت اللادى تتوهم أنها الوحيدة التي قرأت هذه الأنسودة فسألتني عمإذا كنت أعرف
واضعها فأجبتها بالإيجاب وأضفت إلى ذلك أنه كان من أعز أصدقائي . وأنه كان يطلعني
على جميع أسراره ..

وبينما كنت أسرح لها ظروف صداقتي بذلك الرجل . أصابتها تلك النوبة الخيفة ،
فانقطع الحديث . فلت : لقد كان منظرها عيناً .
فأجاب : صدقـت .. إن عقوبة النكـير ترك وجه الجـيل كـارـأـت . وما رأـت
هو أـلـعـ بـظـهـرـ من مـظـاهـرـ اـنـقـاصـ الـطـبـيعـةـ منـ الجـسـدـ الآـنـمـ . وـانـقـاصـ اللهـ منـ الروـحـ
الـشـرـبـرـةـ أـلـعـ منـ هـذـاـ وـأـعـظـمـ . فـقـلـتـ لهـ بـاسـماـ :

— وما أدركك، إن تخيلاتك العجيبة عن الأرواح هي الأثر الوحيد من آثار الجنون في معتقداتك ولكن أغفر لك آراءك الغريبة واعتقادك الشاذ من أجل صوتك . إنني لا أحارك بإطراوك بالوسو ولكن أقول الحق . فأنت تفني كل لائمة .

— هذه مقارنة مستحيلة . هل سمعت في حياتك ملاكاً خي؟ فأجبت وأنا أبكي : نعم . سمعت . الليلة .

فامتع وجهه في الحال . وقال على شفتيه ابتسامة مختصة : هذه عاملة سافرة .

— تم أسرع فتح نافذة المركبة على الرغم من بروادة الجو في ذلك المساء وقال :

— إن الجو في جوف هذه المركبة خانق .. فلتتشم هواء الليل . تأمل كيف تتألق النجوم كأنها الجواهر في أحد التيجان ! وانظر في الأفق البعيد ترتجحاً صغيراً دقيقاً لا يظهر العين الحبردة إلا بصعوبة . هذا النجم الذي يتألق تارة كأنه قطعة من فرس الشمس وقاربة كأنه لحة من البرق هو النجم الجوال الذي يعتقد للشائمون أنه يجلب الحسن . والشقاء .. إنني أحب هذا النجم لاكتئبي إلا لشهره القية . وأكبر ظني أنه معبون . ومن يدرى فربما كان هذا النجم جزءاً متجلداً من أجزاء جهنم حيث تحيط الأرواح الآئمة في صفيح من دموعها المتجلدة وربما كان إحدى الدرجات المؤدية إلى الفردوس .

تم انظر إلى هذا النجم التالق الكبير .. إنه الزهرة . إنه يعزى حسبي . إنه زهرة . إنه ينبع حسبي . فأنت عاشق .. أليس كذلك . ألا تعرف بأنك غرفت في الحب إلى أذنك ؟ فأجبت بهدوء :

— لا أعلم بالوسو .. ولا أستطيع أن أؤكد بأن الشعور الذي يعمد الآن في نفسي يصح أن يوصف بأنه حب .

قال وهو يلتفت شيئاً من أرمن المركبة : هذه سقطت منك .

وابتسم . ومدى يده فإذا فيها زهرة النفسج التي كانت تزين صدر سيبيل . ولا أعلم كيف سقطت مني هذه الزهرة . ولذلك ولا شك قد فهم الشيء الكبير من وجودها معى .

قال بللحجة جديدة وبصوت ينطوي على الرقة والعلف :

— لا تحاول أن تskتم مرآتيك عن أخلص أصدقائك . إنك ترغب في الاقتران من

بابته الوردة . وما دامت هذه هي رغبتك الصادقة ثق أنها ستتحقق .. اعتمد على ..

فأسألك كل ما يوسي تحقيق أحلامك .

قلت بسرور لم أستطع كثيـه : أقول الحق ؟

— إنـي أعدك وأؤكـد لك مـرة أخـرى إنـي مـا سـأـلـكـ كلـ ماـ أـسـتـطـعـ .

الفصل الحادي عشر — الخطوة الأولى

ألفت بعد تلك الليلة غـشـانـ بـيـتـ الـورـدـ اـيـلـتوـنـ . وـكـنـتـ أـقـابـلـ فـيـ دـائـماـ بـالـتـرحـبـ .

وـمـاـ هـيـ إـلـاـ بـعـضـ زـيـاراتـ جـقـ تـوقـتـ أـوـاصـرـ الصـدـافـةـ بـيـنـ وـبـيـنـ أـفـرـادـ الـأـسـرـةـ .

وـلـمـ يـكـنـ مـنـ الصـعـبـ أـنـ الـاحـظـ أـنـ الـقـوـمـ فـهـمـواـ غـرـضـيـ مـنـ التـرـددـ عـلـيـهـمـ . وـمـعـ إنـيـ مـنـ الـلـادـيـ سـيـبـيلـ نـفـسـهـاـ مـاـ يـشـجـعـيـ إـلـاـ إنـيـ مـعـتـ مـنـ الـورـدـ اـيـلـتوـنـ أـنـ لـاـ يـرـىـ مـاـ نـعـاـ مـنـ أـنـ أـصـاهـرـ . بـلـ إـنـ مـنـ دـوـاعـيـ سـرـورـهـ أـنـ أـصـاهـرـهـ .

وـلـمـ يـرـافـقـنـ لـوـسـيـوـ فـيـ زـيـارـاتـ لـهـارـ الـورـدـ اـيـلـتوـنـ إـلـاـ تـادـرـاـ . وـكـانـ فـيـ أـغـلـبـ الـأـوـقـاتـ يـعـتـدـ بـكـثـرـةـ أـعـمـالـهـ . أـوـ بـارـتـاطـهـ بـعـاـبـيـدـ وـكـنـتـ فـيـ أـعـمـاـقـ نـفـسـيـ أـرـنـاحـ إـلـىـ هـذـهـ الـأـعـنـدـارـاتـ . ذـكـ أـنـيـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ إـنـجـاجـيـ بـهـ وـإـكـارـيـ لـهـ . كـنـتـ أـرـىـ فـيـ سـجـالـ وـجـهـ وـقـنـاطـيـعـهـ وـبـلـ طـبـاهـ وـسـحـرـ أـحـادـيـهـ خـطـرـاـهـ لـرـجـلـ عـادـيـ مـثـلـ . وـأـعـتـدـ أـنـ يـسـتـجـيلـ مـلـ اـمـرـأـةـ يـتـرـكـ هـاـ الـخـيـارـ أـنـ تـفـضـلـيـ عـلـيـهـ .

وـلـكـنـيـ مـنـ جـمـهـةـ أـخـرىـ كـنـتـ مـطـعـتـاـ إـلـىـ أـنـ لـنـ يـصـبـحـ غـرـمـيـ فـيـ يـوـمـ مـاـ لـأـسـابـ

آمـهـاـ أـنـ كـانـ مـخـلـصـاـ فـيـ حـقـدـهـ عـلـىـ النـسـاءـ . وـفـيـ اـحـتـقـارـهـ هـنـ . وـالـوـاقـعـ أـنـهـ لـمـ يـتـرـكـ فـرـصـةـ دـوـنـ أـنـ يـسـرـ فـيـاـعـنـ هـذـاـ الـفـدـ الـكـمـنـ الـتـأـصـلـ فـيـ فـرـارـةـ نـفـسـهـ . حـتـىـ إنـيـ كـثـيرـاـ

مـاـ تـسـاءـلـ كـيـفـ يـكـنـ أـنـ يـنـبـيـبـ عـنـ الـغـانـيـاتـ الـلـاـئـيـ كـنـ غـطـيـنـ وـدـهـ مـلـاحـظـةـ الـبـرـودـ وـالـبـلـودـ

الـذـيـنـ يـخـالـطـانـ حـرـكـاتـهـ حـيـنـ يـتـحدـثـ . الـبـيـنـ . وـكـيـفـ لـاـ يـفـهـمـتـ شـعـورـهـ نـخـوـهـ مـنـ

الـلـلـاحـظـاتـ السـاحـرـةـ الـرـبـرـةـ الـتـىـ تـخـالـطـ جـمـالـاتـهـ . وـلـاـ يـرـىـ شـعـلـةـ الـلـقـدـ الـتـىـ تـتـأـلـقـ فـيـ

عـيـنـهـ الـلـامـعـيـنـ كـمـاـ أـنـيـ لـيـقـبـلـ يـدـ يـحـداـهـ .

أـعـرـفـ إـلـىـ الـعـمـلـ جـلـىـ إـرـاضـ الـوـرـدـ اـيـلـتوـنـ وـعـمـلـتـ عـلـىـ إـعـلاـ شـأـنـ فـيـ نـظـرـهـ

كـرـجـلـ وـكـلـوـنـرـ . فـدـافـعـتـ عـنـهـ بـعـضـ الـدـيـوـنـ الـلـمـحةـ . وـأـفـرـضـتـ مـبـلـغاـ طـاـلـاـ مـأـسـأـلـهـ عـنـهـ

رـبـحـاـلـ وـلـمـ يـحـدـدـهـ مـوـعـدـاـ لـسـادـهـ . وـبـذـلـكـ فـزـتـ بـنـفـسـهـ إـلـىـ حدـ أـنـهـ كـانـ يـتـأـبـطـ

سـاءـرـيـ . وـيـدـعـرـيـ أـمـامـ النـاسـ «ـ وـلـدـ الـعـزـيزـ »

وعلى الرغم من زيارة المعاقة لبيت اللورد إيلتون . فإن الفرصة لم تنج لرؤية اللادى المرئية . ولكنها علمت أنها صارت بعد تلك النوبة المماثلة عاجزة عن الحراك . وأنها كانت فقط تعيش وتنفس ولا شيء أكثر من ذلك . وقد قال لى اللورد أن أسوأ ما في مرضها بالنسبة إلى ذويها والمحبين بها كان ذلك التطور النشج الذى طرأ على تعاطيها وجهاها . قال اللورد : « إن منظرها أصبح مخيفاً . ومخيفاً جداً . إذ لا شبه بين وبين منظر أي مخلوق آدمي . لقد كانت في أحد الأيام على جانب عظيم من الجمال . أما الآن فوجهها بشع . وعيتها عجلان باستمراً كأنها ترى الشيطان بحسناً أمامها . ومن العجيب أن منظرها هذا لا يتغير ولا يبدل وقد عجز الأطباء عن عمل شيء . فوجودها بهذه الحال مزعج لنا جميعاً ولسييل على الأخرين » فأطرفت برأسى موافقاً .

وقد أدركت أن بيتابا كيت اللورد يضم بين جدرانه هيكل الموت كهيكل اللادى إيلتون لابد أن تكون الاقامة فيه مداعنة لغير واقباض فتاة في متبل العمر كاللادى سينيل لذلك لم أترك وسيلة لتسللها وإدخال السرور على نفسها إلا حلات منها . فمن باتات زهر إلى مقصورات في دار الأوبرا وغيرها من المسارح إلى غير هنا وذاك مما تواجه إليه نفس فتاة مثلها .

وسار كل شيء على ما أريد فافتتحت إلى ملكية قصر ويلزمير .. وكانت الصحف عن ذلك باسهاب .. وهنائي وكلامي على هذه الصنفة بعد أن زاروا القصر وأعجبا به واختار ويعانى بعض المهندسين البارزين لفميده ورخافت حقاً لإقامته في فصل الصيف حيث أستطيع إقامة الحفلات واللادب .

الفصل الثاني عشر - حديث

حدث بعد أيام أن دار بيبي وبين اللادى سينيل الحديث العجيب الذى سأرويه فيما يلى .. وهو حديث توشك في نفسي أثراً سيناً وكان يجب أن يكون لي ذهراً بما يتضمن من متعاب وآلام ولكن كنت في ذلك الوقت رجلاً أعممه الأنانية والحياة المحمومة التي يحيىها عن تفهم الحقائق البارزة ولو لا ذلك لاعتبرت بذلك الحديث أو قل ذلك

الحادي .. وقعت من آمالى بالخروج من المعمدة سالماً خالى البال من أسوأ ما يمكن أن يلقي الإنسان من متعاب وهموم وخيبة أمل في هذه الحياة . دعشت لزيارة بيت اللورد إيلتون في مساء أحد الأيام وصعدت نواً إلى قاعة الاستقبال كالعادة وأرسلت إلى اللادى سبيل من ينتها بوجهى وما هي إلا دقائق حتى أقبلت وعلى وجهها الجيل من دلائل القبح ما زادها جمالاً في ناظرى كانت ترتدي ثوباً أبيضاً كعادتها في كل مساء يمتاز عن أي ثوب آخر من ثيابها بأنه صنع ليكشف عن جمال تكونها وتعاطيها جسمها .. ولم تكن قد عنيت بقص شعرها فأنسقت بعض خصلاته على جبهتها العريضة الناعمة أما وجهها فكان متقعاً جداً .. حتى بدت عيناهما أrouسعاً وأجمل مما رأيتهما في أي وقت مضى .. دخلت الترفة وهي تشي متذكرة .. مشبة الشخص الذى اعتاد أن يسير وهو نائم .. ومدت إلى يدها فقبلتها باحترام وشفف ..

وقالت وعلى سفتها ابتسامة مهيبة : لقد خرج ألى .. فأخبرت : أعلم ذلك .. ولكن جئت لأراك .. فهل أسمحين لي بالبقاء قليلاً ؟ فضفت شيئاً فيه معنى للواقعة .. ثم تھالكت على أحد القاعد وراحت تعثى بعض الزهور في آنية على مائدة قربة ..

فقلت لها : تبدو عليك أمارات التعب باللادى .. فهل أنت متوعكة ؟ فأجبت : إننى على خير حال .. ولكنك على حق في قوله إننى منعة .. نعم .. إننى منعة ومكرودة حقاً ..

ـ لعلك أجهدت نفسك في عمل ما .. كالمغایبة باللادى والمدحى مثلاً ؟

فسحكت ببرارة وقالت : العناية باللادى .. باش .. لا تتوهم في كل هذا الاخلاص والبر .. أنا لا أعني أبداً باللادى ولا أستطيع أن أعني بها .. ولعل السبب في ذلك خوف ورعى لأن وجهها يخيف فلا أستطيع أن أدنو منها .. وهى كلام رأى حاروت أن تتكلم وبذلك في سبيل ذلك جهداً مخفياً بزيد تعاطيها وجهها هولاً وبشاشة ، وإنق ليختللى آهى الموت رعباً إذا رأيتها مرة أخرى فقد حاولت مرتبين أن أدنو منها .. وكنت في كل لفترة أهدى صوابي رعباً .. وأنزى كذلك أننى لا أملك من الارتفاع والشعور بالانحراف

لا نصارحنى كما صارت أنت بالسبب الذى من أجله تتردد على هذه الدار ؟ لماذا لا نصارحنى
كما صارتنه بأن اختيارك السائى قد وقع على وبأنى المرأة الوحيدة دون نساء العالم الذى
وقع اختيارك عليها لتكون زوجتك ؟ انظر إلى « وبسطت فراعها قصافت كالفراشة
الوديعة المتألة » وأردفت : انظر إلى ، وتأملنى جيدا .. هل نجد عيبا في الساعة التى
تتوى ابقياعها ؟ إن هذا الوجه الذى ترى جديرا بعنابة للمسورين ، وحقيقة بأن تزين
صورته إطارات الصالونات كوجه ملائكة من ملائكة الحال فى اختلافها ... وهذا العوام
الذى ترى كان أفضل قوام وقع عليه اختيار مخرجى الأزياء الحديثة لاستظهار حسان
أزياتهم ، فكانوا يدعون صاحبته ماشاء بنصف الثمن مقابل أن تقول لصديقاتها إنها
واسطاع ثيابها من محاطم .. وهانان العينان ، وهانان الشفتان ، كل ذلك لك ضمن الساعة
التي ستبتاع .. فماذا تحقرنى بترددك في الاقدام على الشراء ودفع الثمن ؟ لم نطمئن بعد
لى أننى أستحق الثمن الذى ستدفعه ١١٩

كانت تتكلم بلهجتها من أسباب بنيوية عصبية ، وكان جسدها - كما قالت - يرتجف
بشدة وعنف ، فتملأكتنى دهشة شديدة مفرونة بحزن وأسى ، ووبيت إليها فى الحال ،
وأنمسكت يدها بين يدي وهتفت قائلا :

- سبيل ، سبيل ، أسمى ، أسمى ، لقد أثر التعب على أعصابك . أنت لا تتفقين
ما تقولين بغير شك .. أيتها العزيزة ، من تظنبنت ؟ وما هذا الجنون الذى علا ذهنك ؟
وقيم الحديث عن البيع والشراء ؟ أنت تعدين أنك أحبك ، وأنقى لم أعمل على إخفا ، هذه
العاطفة قوى تبدو على وجهى . وأنت تربينا في جميع حركاتي وسكناتي وإذا كنت قد
ترددت حتى الآن في مصارحتك لما ذاك إلا لأنك أختى صدك . وأشفق ألا يقع على
من نفسك موقع القبول . أبك أكثر مما أستحق يا سبيل . وأكثر مما يستحق أى
رجل على ظهر الأرض . فانا لست بك جديرا ولست خلائنا بأن أحذكر لنفسى كل هنا
الحال وهذه الطهارة . أيتها الحبيبة .. ماذا أصابك ؟

ذلك لأنها نالكت بين ساعدى فجأة . وأحاطت عنق بذراعها ، وهتفت :
— مادا لا تستطيع أن أقول لك أنك أحبك من كل قلبي وبكل قوائى . وأنك أشفع
من هذا الحب على فمى وعلى حياتى . وسعادق .

كما فسرت فى أن هذه المخنوقة الضيفة هي أى ..
وارجعت فعلا .. وفر لوون شفتها الرفيقتين .. فأخذتى الشقة بـ .. وقلت لها
وأنا أدنونها بعمرى : إن مقامك هنا يؤثر على صحتك أسوأ تأثير ، فهو ليس فى مقدورك
القيام برحلة ما تبديلا للهوا ، واتجاهًا للصحة وبخسا عن النسلة والسلوى ؟
فنظرت إلى في هدوء ، ثم عمدت إلى تغيير موضوع الحديث .. قالت فجأة :
— أين صاحبك ؟ ولماذا لا يرافقك في زيارتكم لنا إلا نادرا ؟
فأجبت : تعنين رباني ؟ إنه رجل غريب الأطوار وكثيراً ما ينتمى بالمجتمعات ،
ولكنه يقابل والدك في التندى في أكثر الأيام ، وفي اعتقادى أن ملسب فى عالم
حضوره أنه يكره النساء ..

فسألت وعلى شفتها ابتسامة : يكره جميع النساء ؟

- جميع النساء بلا استثناء .. - إذن هو يكرهنى ؟

فأجابت بسرعة : أنا لا أعني ذلك ، فإنه لا يوجد إنسان يكرهك يا الادى سبيل ،
ولكنى أعتقد أن كره ربانيز للنساء مرض متصل فيه ، ولم أعلم بخى إلا تسعفه ليافقنه
فوقت ما على إخفاء ذلك الكره .. حق عندك أنت ..

- إذن هو لو يترزق ؟

ضحك و أجابت : نعم .. نعم .. لن يترزق ، وأنا أؤكّد لك ذلك عنه ..
فلازمت الصمت العميق ، وظللت تبعث بأسابيعها بأغصان الأزهار ، وقد لاحظت أن
صدرها آخذ برقع وربط بقوه ، كما لو كانت قد عادت لتوها من عوط طويل ، ورأيت
آهادها الطويلة تتذبذب بسرعة ، وخيل لي وأنا أراها كذلك كأنى أرى صورة بدائية
من تصوير أحد مشاهير الرسامين لقديمة طاهرة حسناء ..

وإلى أتمامها باعجبا ، إذا بها تمض واقفة فجأة ، وتحطم يدها بإحدى الأزهار ،
ونصيح بصوت أبشع وعيناها الجميلتان تتألقان وجسدها البديع يرتجف بشدة :

- كلا .. كلا .. لا أتحمل هذا .. لا أتحمل هذا ..

- علمكتى الدهشة وهتفت بها بلهجحة المأخذود : سبيل ١١
فصاحت بمحنة : لماذا لا تتكلم وتنبع كأس المذلة الذى أتعبر عنى ، إلى المأفة ؟ لماذا

الذى أراده والدى . بالله لا تنظر إلى هذه النظرة البائسة الحزينة . وأعلم أننى لا أقول الان غير الحقيقة التي يدل عليها منطق الحوادث والظروف .. إن نساء الطبقة الراقية . أعني النساء غير المتزوجات ، جميعهن معرضات للبيع في سوق الزواج . كما كانت الزنديقات تفرض في سوق النخاسة .. أرى أنك تريد أن تخسخ ، وأن توشكى لى حبك وخلاصك . ولكن ليس ما يدعوك إلى ذلك الآن . فانا واقفة أليك تخسي . وأنا بذلك راضية قاتمة . ولكنك لا تعرفى على حقيقتك .. فأنت لم يختبئك إلى غير جمال وجهي وشفافتي جسمى . ولم يعجبك في غير ما يدو على من أمارات الشباب والطهر . ولكنى لست شابة كما تتوهم . فقد شاخ قلبي وشاخت مشاعرى .

ثم نهضت واقفة .. وراحت تمشي في الغرفة حيث وذهاباً مشية ذكرتني على الرغم من بعثة الحيوان المتوجه في نفسه ..

قالت وهي تنظر إلى نظرة سبحة : لا يجب أن تخسخ في .. وإذا زوجتني فيجب أن تفعل ذلك بعد امعان النظر وأعمال الذكر ، وبعد أن ترتب في ذهنك جميع النتائج التي يحتمل أن تخرج عن هذا الزواج ..

إنك يثروتك هذه الطلاقة تستطيع بطيبة الحال أن تفترن بأحمل فتاة تصبو إليها نفسك .. وتثال اعجابك .. ولست أعني بذلك أنك تستطيع أن تفترن بفتاة أفضل مني .. فتحن بذات هذه الطبقة على شاكلة واحدة وبجميعها لا نعرف لاجهة غير قيمتها المادية .. ونعرفها في أسوأ صورها كما تعرفها بطلات الفصحى المصرية التي تقرأها .. يد أن في مقدورك أن تخد في القرى بين الطبقات المتوسطة والعامدة فتيات أعظم منها طهراً .. وأكثر تمثيل آخر لحياة البرية التي يتخيلها الكتاب والشعراء .. ولكنك متوجهين إلى جانب ذلك لا يصلحن للحياة التي تخياها

إن الصفة الوحيدة التي أمتاز بها هي أننى جميلة .. ولعلك رأى ذلك كما يراه سواك ولست من الزياء والتفاق بحيث أني عملى لا أعرف في نفسي هذه الصفة .. وكذلك مظاهرى لا يغيب فيها .. خصلات الشعر القى ترى حقيقة وليس مستعاره .. وقوامى طبيعى وليس من صنع للشدات والأحزنة .. وأهدىنى هذا لونها الطبيعى فهى ليست (م - ٦ - أحزان الشيطان)

وصفت ، وشعرت كأن جسمى قد انتصت إليه عدوى الارجاف .
وعندما أحسست بذراعيها الناعتين حول عنق فقدت سلطانى على نفسى ، فلائعت شعرها . وعندئذ رفعت رأسها . ونظرت إلى بعينين فيما من الخوف والتزعزع أكثر مما فيها من الحب .. على أن شعورى بذلك الهيكل البدين من هياكل الجمال والشباب والطهر مستسلاماً خاصها لسلطان . هذا التصور أكتسب ما تبقى من حواجز شريط النفس فقبلت شفتها قبلاً طويلاً خيل إلى أنها مررت حياتنا ..
ولكنها ما أبطأت أن حركت رأسها بعنف . ودفعتها عنها بساعدها .. ووقفت على بعدة وهي لا زالت تخفف بشدة حتى خفت أن تتداعى وتسقط .. فامسكت يدها . لأجلسها على مقعد أمنى . جلست . ثم ابتسمت ابتسامة ذابة . وقالت :

— مني ؟
— الآن .. عندما قبلنى فأجبت :

— شعرت بنعم الجنة وبرمان جهنم في وقت واحد .
فنظرت إلى نظرة عجب وفضول . ثم فطبت حاجبها وقالت :

— هذا عجيب ! أهل تعلم به شعرت ؟
فابتسمت وهزرت رأسى . ورفعت يدها الصغيرة إلى شفتي وقببتها بلطف .
قالت وف عينها نظرة يأس وقنوط : إننى أشعر بشىء .. أو كد لك أنى لم أشعر بشىء على الاطلاق وأكبر طلاقى أن لا أستطيع أن أشعر .. إن مثل فى ذلك مثل جميع النساء في هذا العصر .. فهن لا يشعرن .. ولكنهن يفكرن .. وبالاحظن ففات مداعبها : فكري ولا حظن كاشتلت أنها العززة .. كل ما يهمنى أن تفكري بأنك متكونين سعيدة معى .. ذلك كل هى .. وكل رجائى .
فسألت وهل تكون سعيداً معى ؟ تمهل لحظة .. ولا تذهب حتى أقول لك من أنا ..
أنا مخدوع في ..

وصفت لحظة . كنت خلاطها أرب شفتها بعاقق . ثم قالت يسطه :
— لقد كان هذا مصرى .. نعم .. كان مصرى أن أصبح في أحد الأيام متاع
رجل غنى . وقد حاول كثيرون من الأغنياء أن يباشروننى ولكنهم قصروا في دفع الثمن

محبوبة .. صنوة أقول أذ جللي طيري .. فسكن واقفاً من ذلك .. ولكن لا أزيد
أن أكتبه لأن خلاف نفس جميلة .. بل إن هنا ما أزيد على آن تبره وتفهمه ولا
يخدع نفسي فيه .. واتعلم فسلا من تلك التي عديدة جملة القلب أميل إلى العزلة
والوحدة وأختبر الحياة بصمة عامة

فظرت إليها تزوج من الأعجاب والآنس .. نظرت التوسل إلى الومن الذي لا يزال
يعبه ولم يهدى من فهو لن يؤمن به كلام ..
يد أن جميع ماقالت لم يكن غذاء كثيراً من آرافق دلائل أني في الحياة .. هم
أثربوا على ذلك ..

أنا نفس أختبر الحياة ، وأنيل إلى العزلة ، وأشعر في كثرة من المهمة ، بمقدور
السلطنة ، فكان أحجد فيها فاتت ما يدعوني لليأس والقنوط !
فأخذت في لأنّكم ، وقبل أن أفعل ، الترت متى سيل ، وألقت يدها على كتفه ..
وقالت بلهجة ريفية : يخيل إلىك سرزين يا حبوبوي .. ناس .. قلنا لا زال على
الشامل ، وفي مقدوري أن أعود فيها أعزرت ..
نظرت إلى عينيها الجلجلتين .. فرأيت فيها برقاً عالياً كاملاً ..

— لكن أعود أنا أعزرت يا سيل .. أنا أجدك .. وأصحابك داعم .. ولكنني
أكثراً لزد أن أسمك تصفيق نفسي يا وصفت .. إن آمالك في الحق عحة ولكن ..
قللتني «أنتمان آراني عجية !» دع عنك هذا الاعتقاد فلست أذكر غير المقالق ..
والفضل في ذلك لما نظر من صفت وجعلات ، وإذا كان لا بد أن تخفي على الزوجات على
سر ، (البطلات) الالئ يصورهن كتاب هذا العصر ، فكن سطحها إلى أن أصلح
أن تكون اللال الأخرى لأوكلاك ازوجات ..

ثم تحركت بمراره وأردفت : نعم .. لا توجد نهاية من نوعي الحياة الزاوية
لا أعرفها على الرغم من أني ما أبلغ العشرين بعد .. وقد أخذت أهيف من زهر طول
وأصبحت على استعداد لأن أقسم ضمي روجة كتمة للملك الذي يدفع عننا أضرار .. أما
آرافي والجلجي عن الحب تلك الأكوا ، والإسلام التي كتبت أعمل بها وأنا طلة يربه
أعيش بين الرياض في (ويلز) هذه الأكوا ، والإسلام لم تحدث جميعها منه تلوق

نظم الحياة في المدن .. لقد أفهمون أهمية (الليل) و (الحياة) فالتدبرى بعد ذلك
إذا رأيتها أسف نفسي وأني ملأة معروضة للبيع
إن الزواج بالنسبة إلى منفة توقف أعينها على مقدار ما فيه أى منها .. وبعده أن
تعلم أني مهما أحببت ما هملا إسمح لي بالزواج منك إذا مُنْسِك عيّنا ..
وأغنى من سائر الرجال ..
لزد ذلك أن تشعر أني أعرف معنى هذه الصفتان وأنك تستطيع أن تحصل منها
من يسد امورأة ، إنما روحها وأمامها نسأة أخرى ..
لقطت بلهجة جديدة :
— سهل .. إنك ماضية في حكك على نفسك .. أنا وإن انت أنت قاتلة في ذاك ..
إنك من أولئك الذين يعيشون في الدنيا لا ي يريدون الآخرة ، لها .. وإذا أردت أن
ترى رأي فاك ، فهو أنك ظاهرة الفساد والناس وأني لا أصدق كل من جملة ولا
حرفاً من كل ما تسببن به نفسك وتخوازن به تشوّهك .. وأحب بهذه النابة أن
تجدك لا توقيعي بعد ذلك بالكلام عن تروي ولا إلا اعتبرت هذه الزورة إحدى القمم
وفي أحييك إذا كدت قفراً مثل حي لك وأنا أغنى ، وأني ..

فتعجبت ، ولما دعى عينها ابتسامة غريبة ، نعم ، تستطيع وأنت فهير أن تعيني كما
شاء ولكنك مُنْسِك .. على طلب الأقران .

ست ، فتشكر ، وأرضعت ساعدها حول عنق ياطب .. وقالت :
— هائلاً قد فرست ن عاصري يا جبورى .. وإن أسمك شيئاً منها بعد الآن ..
نعم .. إنني عبرت عـا بحول يعاظرى .. وفدت لك الحقيقة .. من أن قلبي
ليس قلباً .. وليس صاهراً .. ولكن على العموم لست أبداً من سائر بنيات جنـى .. وفي
مقدورك أن تحلى على سارقـا مادمت تحبـى .. وكل ما أطلبـك به الآن أن تطلقـق
إلى أني وتحصدـ معـه الصدقـة .. ومنـ ابـعـتنـى .. لـانـتـلـرـ إلىـ هـكـنـاـ بـخـونـ وـحـبـ .. أـنـوـلـ
وـبـقـ اـبـعـتنـى .. وـرـفـعـتـ أـبـرـقـ التـسـقـىـ قـدـأـ وـأـجـورـ الدـعـونـ حـارـىـ وـتـهـانـىـ .. وـمـنـ سـوـيـتـ
الحسابـ معـ كـلـ اـنـسـانـ فـحـذـىـ بـعـدـاـ عنـ هـذـاـ الزـرـلـ حـىـتـ بـوـعـنـ وـجـهـ أـبـرـ كـلـهـ شـبـحـ
وـبـعـثـ أـسـعـ أـسـوـاـنـ غـرـبـةـ .. وـأـرـىـ أـحـلـامـ مـرـعـةـ .. (وـهـاـ وـجـفـ صـوتـاـ) .. وـأـنـثـلـتـ

فشككت أيضًا وقالت :

— إنه فن دقيق ، وأنا أتحدى أن تصبّع جهودك في تعليمي صياغا .
وعندئذ قيل لها مودعاً وأنا أقول : سوف نرى ..
— إذا أردت .

قالت : هل تخبر صديقك البرنس ريمانز بنبأ زواجنا ؟
— طبعاً أريد .. فأخبره في الحال ، إذ يعجبني أن يعلم .
وعندما بلغت إلى الباب سمعتها تقول برقه واطلب : طاب مساؤك يا جيوفري .
— طاب مساؤك يا سبييل . — لا تنس أن تخبر البرنس ريمانز .
وغادرت الدار وشعروري موزع بين السرور والأم ..
غادرتها وأنا خطيب ابنة أحد الموردات ، وعشيق امرأة تصريح بأنها لا تؤمن
بالحب ، ولا تقيم في الحياة وزناً غير الذهب .

فتـ زيارة قصر ويلوزمير في بداية شهر أبريل بعد أن علمت من القاعدين على زميـعـه
ونائـيـهـ آنـهـمـ بوـشـكـونـ عـلـىـ الفـرـاغـ مـنـ عـلـمـهـ فـبـهـ ، وـأـنـهـ يـسـرـمـ أـنـ يـسـتـبـلـونـ لـقـنـوـاـ عـلـىـ
رأـيـهـ فـهـاـ أـدـخـلـوـاـ عـلـىـ القـصـرـ العـتـيقـ مـنـ إـصـلـاحـاتـ ..
وـعـرـضـتـ عـلـىـ لوـسيـوـ أـنـ يـرـاقـقـ ، قـبـلـ رـاضـيـاـ ، وـبـنـاـ كـانـ القـظـارـ يـخـازـنـ بـنـاـ المـفـولـ
وـالـأـدـغـالـ ، بـعـيـدـاـ عـنـ لـدـنـ الصـاسـبـةـ ، شـعـرـتـ لـأـوـلـ مـرـةـ فـيـ حـيـاتـيـ بـلـدـةـ الـهـدـوـ، وـالـطـمـأـنـيـةـ
وـعـنـدـمـاـ وـقـعـ بـصـرـىـ لـأـوـلـ مـرـةـ عـلـىـ القـصـرـ الـدـىـ اـبـعـثـهـ دـوـنـ أـنـ أـرـاهـ أوـ أـعـرـفـ عـنـهـ
إـلـأـنـهـ لـلـكـانـ الـدـىـ شـهـدـ طـفـولـةـ زـوـجـيـ الـقـبـلـةـ ، اـمـتـلـأـتـ نـفـسـ بـالـسـرـورـ وـالـأـعـجـابـ ..
كـانـ قـصـرـأـ عـظـمـاـ قـدـيـمـاـ ، كـفـلـاـ بـتـوـفـيرـ آـيـابـ السـعـادـ لـلـأـزـوـجـينـ الـتـحـاـيـنـ ، وـقـدـ
أـكـبـهـ مـنـظـرـ الـأـشـجـارـ وـزـهـورـ الـرـبـيعـ جـالـاـ يـلاـ النـفـسـ سـرـورـاـ وـإـعـجـابـاـ .. فـوـقـتـ فـ
حـدـافـهـ أـمـلـاـ رـتـقـ بـالـنـسـيمـ الـعـلـيـلـ ، وـأـنـفـسـ الصـعـادـ كـانـ حـمـلاـ ثـقـيلاـ أـزـيـعـ عـنـ صـدـرـيـ.
قلـتـ لـنـفـسـيـ : هـنـاـ وـلـدـتـ سـبـيـلـ ، وـفـنـتـ طـفـوـلـهـ ، وـسـكـونـ سـعـادـ .. نـعـ ..
سـكـونـ سـعـادـ رـغـمـ كـلـ شـيـ ..

وـوـقـتـ فـيـ غـرـفـةـ الـأـسـتـقـبـالـ الـفـاخـرـةـ ، وـأـطـلـاتـ مـنـ نـانـدـنـيـ عـلـىـ الـأـدـغـالـ التـرـامـيـةـ حـوـلـ
الـقـصـرـ ، وـأـمـتـلـأـ قـلـىـ بـالـسـرـورـ وـالـرـضـيـ وـشـرـتـ بـأـنـيـ مـدـيـنـ بـهـنـهـ الـلـفـظـةـ الـثـيـنةـ إـلـىـ
فـشـكـتـ وـرـاحـتـ أـنـيـ أـغـنـيـةـ قـدـيـةـ مـعـلـمـهـاـ «ـ عـلـىـ أـنـ أـحـبـ فـاحـجـاتـ »ـ

بـنـرـاـنـهـاـ)ـ نـعـ يـاجـيـوـفـرـيـ .ـ إـدـهـبـ بـ مـنـ هـذـاـ لـكـانـ بـأـسـرعـ مـاـ يـكـنـ .ـ وـدـعـنـاـ فـيـشـ
بـعـدـآـ عـنـ لـدـنـ الـقـيـمةـ .ـ فـيـ قـصـرـ وـيـلـوـزـمـ إـمـلـاـ .ـ فـرـعـاـ أـجـدـ هـنـالـ بـعـشـ لـسـرـاتـ الـقـدـيـةـ
الـتـيـ كـنـتـ أـسـتـمـتـعـ بـهـاـ فـيـ سـالـفـ الـأـيـامـ .ـ

وـنـهـالـكـتـ فـوـقـ صـدـرـيـ وـهـيـ تـقـولـ ذـاكـ فـأـخـذـتـيـ الشـفـقـةـ بـهـاـ وـضـعـفـتـهـ إـلـىـ قـلـبـيـ وـأـنـاـ
أشـعـرـ بـأـنـ الـجـهـدـ وـالـتـعبـ قـدـ أـثـرـاـ عـلـىـ أـعـصـابـهـاـ وـجـهـلـاـهـاـ تـقـولـ مـاـ لـاـ تـدـرـيـ .ـ

قـلـتـ هـاـ :ـ سـأـنـزـلـ عـنـدـ رـغـبـتـكـ أـيـهـاـ الـعـرـيـزةـ .ـ وـأـرـىـ أـنـ الـحـيـرـ كـلـ الـحـيـرـ فـيـ الـأـسـرـاجـ .ـ
نـعـ الـآنـ فـيـ نـهاـيـةـ شـهـرـ مـارـسـ فـهـلـ تـوـافـقـنـ عـلـىـ أـنـ يـكـوـنـ زـوـاجـنـاـ فـيـ شـهـرـ يـوـنـيوـ ؟ـ
فـأـجـابـ وـهـيـ لـازـالـ تـخـنـيـ وـجـهـهـاـ فـيـ صـدـرـيـ :ـ نـعـ أـوـاقـ .ـ

قـلـتـ :ـ وـالـآنـ تـذـكـرـيـ يـاـ سـبـيـلـ أـنـ لـاـ يـعـبـ عـلـيـكـ أـنـ تـهـدـيـ عـنـ النـفـودـ وـالـصـفـقـاتـ
وـالـبـيـعـ وـالـشـرـاءـ .ـ بـلـ حـدـيـقـ عـوـضاـ عـنـ ذـاكـ فـيـلـاـ تـتـاـولـهـ أـحـادـيـثـكـ حـقـ الـآنـ .ـ حـدـيـقـيـ
عـنـ الـحـبـ وـقـوـلـيـ لـىـ إـنـكـ تـخـبـيـقـ حـقـ وـلـوـ كـنـتـ فـقـيرـاـ .ـ

فـرـقـعـتـ رـأـسـهـاـ .ـ وـنـظـرـتـ فـيـ رـجـهـ بـحـدـةـ .ـ وـقـالـتـ :ـ
ـ لـأـمـتـطـبـعـ أـنـ أـحـدـنـكـ بـهـذاـ .ـ لـقـدـ قـاتـ لـكـ إـنـيـ لـاـ أـوـمـنـ بـالـحـبـ هـذـاـ أـوـلـاـ .ـ وـتـانـيـاـ

أـنـكـ لـوـكـتـ قـبـرـاـ فـنـ لـلـؤـكـدـ أـنـيـ لـاـ أـقـرـنـ بـكـ .ـ — إـنـكـ سـرـمـعـةـ يـاـ سـبـيـلـ .ـ
فـأـجـابـ وـهـيـ تـقـعـ زـهـرـةـ فـيـ عـرـوـةـ رـدـائـ :ـ أـلـيـسـ مـنـ الـحـيـرـ أـنـ يـكـوـنـ الـأـنـسـانـ
سـرـهـ؟ـ مـاـ فـانـدـهـ الـرـيـاهـ وـالـفـاقـ يـاجـيـوـفـرـيـ؟ـ إـنـكـ تـسـكـرـهـ أـنـ تـكـوـنـ قـيـراـ .ـ وـأـنـاـ
عـذـلـكـ .ـ أـنـاـ الـحـبـ فـانـيـ لـاـ أـفـهـمـهـ .ـ وـمـ أـقـنـعـهـ .ـ يـنـفـقـ فـيـ بـعـضـ الـأـسـيـانـ عـنـدـمـاـ أـقـرـأـ
كـتـابـاـ مـنـ مـوـلـفـاتـ مـاـقـيـزـ كـلـيـرـ أـنـ أـعـتـقـدـ بـأـنـ الـحـبـ مـوـجـودـ حـقـاـ ،ـ وـلـكـنـ لـاـ كـادـأـلـطـويـ
الـكـتـابـ حـقـ يـبـدـدـ هـذـاـ الـاعـقـادـ ..

وـعـلـيـهـ ،ـ فـلـاـ تـأـلـيـ شـيـثـاـ لـيـسـ فـيـ طـبـيـعـيـ ،ـ إـنـ رـأـيـةـ فـيـ أـنـ أـقـرـنـ بـكـ ،ـ هـذـاـ كـلـ
مـاـ يـعـكـكـ أـنـ تـنـتـظـرـهـ مـنـ ..

فـقـلـتـ بـشـيـءـ مـنـ الـأـيـسـ وـالـخـبـبـ ،ـ وـأـنـأـجـيطـ جـسـمـهـاـ الـجـلـيلـ بـسـاعـدـيـ :

ـ هـذـاـ كـلـ مـاـ يـعـكـكـ أـنـ أـتـنـظـرـ هـنـكـ يـاـ وـرـدـةـ الـثـاجـ ١١ـ كـلـاـ ..ـ كـلـاـ ..ـ يـحـبـ أـنـ
تـعـلـيـ مـعـنـيـ الـحـبـ ،ـ وـتـقـ أـنـهـ لـيـسـ فـيـ مـقـدـورـكـ أـنـ تـفـلـقـ مـنـ قـبـصـتـهـ ،ـ أـيـهـاـ الصـفـرـةـ الـجـنـاءـ
فـشـكـتـ وـرـاحـتـ أـنـيـ أـغـنـيـةـ قـدـيـةـ مـعـلـمـهـاـ «ـ عـلـىـ أـنـ أـحـبـ فـاحـجـاتـ »ـ

صديق العزيز الذي دلني عليها .. فتحولت اليه ، وشددت على يده بقعة وأنا أقول :

— إن لك وحدك الفضل في هنا التوفيق ، فأنا عاجز عن شكرك ، وبخسي أن أقول لك ، إنني أعلم أنه لولاك لما قابلت سبييل ، وربما ما صفت عنها كذلك ولا عن تصر ويلوزمير ، فأنا مدين لك بكل ما أشعر بهاليوم من سعادة واغبطة .

سأل ملي شفيه ابتسامة : أنت سعيد معتبر إذن ؟ ! كنت أظن غير ذلك .

قلت : الواقع اتي لم أتوقع أن أصبح سعيداً في أحد الأيام . وأقول لك الحق إن وقوعي جفأة على الثروة الطائلة التي أتعجب بها الآن أرجو في نفسى رد فعل شعرت معه بالشقاء لا بالسعادة وذلك في الحق غريب .

فقططني بقوله :
— ليس هنا من الغرابة في شيء . ولكنه طبيعى . وقد جرت العادة بأن يكون الأغنياء أحسن من الفقراء .

قلت له وأنا أبتسم :
— أنت تحس إذن ؟ ! فنظر إلى بحزن وقال :
— أنت أعني إذا لم تكن قد لاحظت أنني تحس .

هل خطرك يالاك في وقت ما أنت سعيد . وهل هذه الابتسامة التي أصطنعها أو يصنعها مثل غالب الناس لا خدا ، همومهم ومتاعبهم عن العيون الفاسدة تدخل إلى ذهنك أنني حلى البال سعيد !

أما تروني فأنت لا تعلم مقدارها . ولو علمت لاستولت عليك المدحشة وتحركت في نفسك عوامل الفيرة والحسد . إن الخمسة ملايين التي تزعم أنها انحدرت بك إلى الشقاء لا يسكنك تذكر في شيء إلى جانب تروني . فهل تستطيع بمقدارك أن تتصور مقدار شفوق وتماسيق ؟

وقطب حاجبيه . وظهرت على وجهه علامات الاحتقار والغضب .

قلت له : إنك محظوظ بالغموص والأسرار يالوسبيو . وفي اعتقادى أنك فقدت شيئاً عزيزاً لا تمحض عنه تروتك . وإن فقدانك إياه قد جعل منك هذا الإنسان الغريب الذى أرى . وأنا آمل على كل حال أن يأتي يوم تشعر فيه أنني جدير بصيانة اسرارك . فتباوح لي بها . فضحك وأغرق في الضحك ثم دق على كتفي بقعة وقال :
— نعم . سأحدثك عن نفسى يوماً . وأسرد عليك قصى .. أما الآن فهم بنا نتفقد هذا القصر .

إنك تكون صعب الأرضاء إذا لم تشعر الآن بأنك أسعد أهل الأرض . فأنت تلك الآن قسراً فاخرًا وزوجة حسنة وكثيراً جداً من لال . وفي مقدورك وأنت تتمنع بكل هذا أن تشق طريقك إلى الشهرة بسهولة .

— صدقـتـ فـأـنـاـ أـشـعـرـ الآـنـ بـأـنـ فـيـ مـقـدـورـيـ أـنـ أـكـتـبـ كـامـاـ كـتبـ منـ قـلـ .

— أرجو أن يرعاك إلى الشعر .. هل بـناـ الآـنـ نـتـنـاـوـلـ طـعـمـ الـفـداءـ وـبـعـدـ ذـكـ تـفـقـدـ الـقـصـرـ وـالـحـدـيـقـةـ كـاـ نـشـاءـ .

وـفـصـدـنـاـ إـلـىـ قـاعـةـ الـطـعـامـ وـأـدـهـشـنـىـ أـنـ أـجـدـ طـعـامـاـ فـاـخـراـ مـعـداـ لـنـالـآنـ كـنـتـ قـدـنـيـتـ أـنـ آـمـرـ بـأـعـدـادـهـ . وـلـكـنـ الـظـاهـرـ أـنـ لـوـسـبـوـ مـيـسـ . وـأـنـهـ أـبـرـقـ بـذـكـ إـلـىـ طـاهـيـ الـقـصـرـ فـأـعـدـ لـاـ طـعـامـاـ جـلـسـنـاـ سـاـوـلـهـ بـشـهـيـهـ .

قال لي لوسبيو :

أرجو أن تسمى إلى يدا ياجيوفري ، إنك لن تقم في هذا القصر قبل الزواج . لأنك مرتبط في لدن بأعمال واجتماعات كثيرة .

وـقـدـسـعـنـكـ تـذـكـرـ أـنـ فـيـ بـيـتـكـ أـنـ تـقـمـ فـيـ هـذـاـ القـصـرـ عـدـمـاـ دـبـ لـأـمـدـةـ ذـكـ وـلـكـيـ لـآـرـىـ مـوـجـبـاـ لـذـكـ . لـأـنـكـ سـتـضـطـرـ إـلـىـ اـسـتـخـدـمـ جـيـشـ مـنـ الـحـدـنـ تـضـطـرـ إـلـىـ إـعـالـةـ هـذـاـ جـيـشـ وـأـنـتـ فـيـ رـحـلـةـ شـهـرـ الـعـلـ وـعـلـيـهـ فـأـنـيـ أـفـتـرـحـ عـلـيـكـ أـنـ تـقـعـ مـنـ ذـكـ كـاـهـ هـذـاـ جـيـشـ وـأـنـتـ فـيـ رـحـلـةـ شـهـرـ مـاـيـوـ قـبـلـ زـوـاجـكـ اـحـفـالـاـ يـقـدـ خـطـبـكـ عـلـىـ الـلـادـيـ سـيـيلـ وـالـيدـ الـقـيـ أـرـجـوكـ فـيـ أـنـ تـسـدـيـهـ إـلـىـ هـيـ أـنـ تـرـكـ لـىـ حـرـيـةـ تـنـظـمـ هـذـهـ الـمـادـيـةـ لـأـجـلـ مـنـهـ حـدـيـثـ النـاسـ فـيـ مـشـارـقـ الـأـرـضـ وـمـنـارـبـهـ .

فارأيك ؟ !

فأجابت : إن أوانق بكل سرور وأترك لك حرية الصرف والعمل ولكن مني توقي اقامة هذه المأدبة الفذة ؟ !

— هل تختم بـزـفـافـكـ فـيـ شـهـرـ يـوـنـيـهـ ؟

— نـعـمـ فـيـ الـأـبـوـعـ الثـانـيـ منهـ .

— حـسـأـ .. تـقـمـ الـمـادـيـةـ إـذـنـ فـيـ الـبـوـمـ الثـانـيـ وـالـشـرـبـنـ مـنـ شـهـرـ مـاـيـوـ لـكـ تـرـكـ للـدـعـوـنـ فـرـسـةـ يـسـتـرـدـونـ فـيـاـ حـوـاسـهـمـ قـبـلـ أـنـ يـدـعـواـ إـلـىـ حـفـلـةـ الـزـفـافـ .

الفصل الثالث عشر — مافز كلير

تفقدنا القصر والحدائق بعد الطعام وعرض على لوسبيو أن زور المقطة المجاورة للقصر وكانت كلها حدائق وحقولاً قد تبعثرت فيها مازل صغيرة وأكواخ أية نسخها

الطبيعة الهدامة المزدهرة جحلاً لا يحمد له الإنسان أثراً في أنحر قصور لندن الساخنة .
وكلت منصرة إلى تأمل نهر آفون حين وقف في لوسيو جلأه : أمام كوخ قديم
جبل يكاد أن يكون مدفوناً في دغل مزدهر بين عشب الربيع الفق . وقال :
— أرجو أن تضبط عواطفك وتملك مشورتك بجاوفري .
إن في هذا التصرع تقم المرأة الوحيدة في هذا العالم التي تكره أنت اسماها وتغار
من شهرتها .. هنا تعيش مايفز كلير الكتابة المعروفة .
وما اقتربنا من حدائق الكوخ حتى دوت في النساء صحفة موسيقية عذبة ، وسمعا
صوتاً طربوبا يقول :

— ماذا تفعل يا زيكى ! يالك من ما كر ! يجب أن تعيدها وتعذر في الحال .
فأهل لوسيو فوق السياج الذي يحيط بالكوخ ثم هتف :
— هاهي في الحديقة يا جاوفري .. وأواما بأصبعه . فنظرت إلى حيث أشار ..
رأيت امرأة شقراء في ثوب أبيض فضفاض جالسة على مقعد من القش وعلى
ركبتها كلب صغير وتحت قدمها قطعة من القساط الذي يصنع خصيصاً للكلاب .
وعلى مقربة منها كان يوجد كلب كبير من نوع سان برنار . مشدوداً إلى جبل . وقد
أخذ هذا الكلب يروح ويحيى ، أمام سيدته ببراءة وعيناه لا تتحولان عن قطعة القساط
كان الموقف جلياً . فالكلب الصغير قد غافل زميله النائم واحتطف طعامه .
لم أصدق أن الق أرى هي مايفز كلير الحالية فذلك الرأس الصغير القائم بين كتفيه
لم يكن «الرأس الذي يصلح لا كليل الخلوة بقدر ما يصلح لا كليل من الزهر تضعه عليه
يد زوج عاشق ..
كلا .. ولا كانت هذه الخلوقات الصغيرة بقادرة في نظري على أن تخرج كتاباً كالذى
يحمل اسم مايفز كلير .

قلت محدثاً لوسيو : هذه ليست مايفز كلير وأكبرظن أنها إحدى الزائرات . أما
مايفز كلير فيجب أن تكون خلوقات أخرى غير هذه الصبية الأنانية الرثيبة البربرية
المتدنم . التي يلوح أنها لا تجد ما يجعله غير أن تسل غسها مع الكلاب .
ساحت الفتاة بصوتها الرنان خدمة الكلب الصغير :

— تريكى .. أعد الطعام لصاحبه في الحال واعذر .
فنظر الكلب الصغير حوله كأنه لم يفهم شيئاً مما قال سيدته . وعندئذ أشارت
السيدة مرة أخرى إلى البساطة وقالت بهجة الأمر : تريكى .. أعدها واعذر
فتراحت أذنا الكلب في خضوع ومذلة .. ووتب عن ركب سيدته . وتناول
البساطة في قهوة . ووضعها أمام الكلب الكبير ونبح ثلاثة .
وهنا نهض الكلب الكبير . وأدار نظره بين تريكى وبين البساطة كأنه لا يدرى
أيها البساطة وأيهمما الكلب .

وكان السكبان يمثلان هذه الهرولة حين خمول لوسيو عن السياج وسار إلى الباب
ودق الجرس . فأقبلت خادمة رشاقة وفتحت الباب .
وسألها لوسيو : هل من مايفز كلير في دارها ؟
— نعم يا سيدى ، ولكن لا أعلم إذا كانت تستقبل أحداً الآن .. اللهم إلا إذا
كنت على موعد معها .. فأجاب لوسيو :
— كلا .. لست على موعد معها .. ولكن إذا تكررت وحملت إليها بطاقتينا ..
ثم التفت إلى وقال : تأولها بطلاقتك يا جاوفري .
فعملت ، وقالت الخادمة : تحضلا بالدخول ..

ووجدت نفسها بالرغم من أتباع لوسيو في طريق بين أشجار الحديقة وزهور الياسين ،
وهي يدور بخليق وفتى أن هذا الكوخ الذي دخلته مكرها يصبح في أحد الأيام الحنة
التي لا أجد لها مدو ، والطمأنينة إلا بها ..

وكان الكوخ في الواقع أكبر وأرجح مما يدل ظاهره ، وقد غطيت جدراته حتى
لتتصف بأواحة حجيـلة من خشب السنديان ، ومررنا في طريقنا بين الترف بكثير من
أواني الزهر ودوايب الكتب وأواني الحرف وغير ذلك من الأشياء الدقيقة الأنثوية التي
لا تتعي بها غير امرأة كاملة الدوق . وكانت أكثر الجدران مغطاة بصورة لشهير الرجال
في أوروبا موقعاً عليها باسماء أصحابها ، واتهينا أخيراً إلى قاعة الاستقبال ..
وما استقر بنا المقام حتى فتح باب القاعة ودخلت المرأة التي رأيناها في الحديقة وعلى
ساعدتها الكلب الصغير .

وفي هذه اللحظة أقبلت الحادمة تحمل الشاي فوضعت ما في كلها الصغير على الأرض وسارت إلى الائدة لتعد الشاي ..
وهنا وقع حادث تافه ولكنك عجيب ..
ذلك أن الكلب الصغير (تريكي) وتب بفأة .. ووقف أمام لوسيو .. ورفع أنه في الماء ثم أخذ يتبخ بشدة بباحثاً مرتفعاً لا يتصور إنسان أنه يمكن أن يصدر من حيوان صغير مثله .. فدهشت سيدته وهتفت : تريكي .. ماذا حدث ؟ ..
وتاتوه بين ساعديها .. فأخفي وجهه في صدرها وهو يتبخ وينبع ونظرت ما في كل وجه لوسيو بحيرة وقالت :
ـ لم أسمعه أبداً يتبخ هكذا .. فهل أنت لاتحب الكلب يا سيدي الرنس ؟
فأجاب لوسيو : أظن أن الكلب لا تجني باآلة كلير ..
فغمضت : إذن معدنة لحظة ..
وغادرت الغرفة وعادت بعد لحظة بدون كلها الصغير المحبوب ولكن لاحظت بعد ذلك أنها كانت تنظر إلى لوسيو من وقت آخر وفي عينيها الزرقاءين ما يدل على الحيرة والارتياب .. كأنها وجدت في وجهه التحيل ما يدعى إلى الشك والريبة ..

دار الحديث بينما حول الأدب والأدباء .. والتنقد والتقاديم إلى أن نظر لوسيو في ساعته وقال : لقد كان في بيتك أن تغنى في زيارتك بقية هذا النهار ولكن قطارات السكة الحديد لا تستطيع أن تنتظرنا ولا بد لنا من المودة إلى لندن فأجاب : إذن لا أزعوكما من السفر ..
ورافقها ما في كلير إلى الحديقة غير أنتم س ked نمير بعض خطوات حتى وقع حادث كان يحمل أن يعود إلى ما لا تحمد عقباه ..
ذلك أن الكلب الكبير نهض من مكانه عندما اقتربت سيدته ومثلث نحورها ليحيها ولكنه لم يقدر أن يراها حتى راح يتبخ بباحثاً عجيناً ، أشبعه بعوا الدثار .. ووتب على هل لوسيو وته قصمت السلسلة الحديدية التي كان مشدوداً بها .. وخيل إلى في الحال أن الكلب سيمزق صديق أرها ..

خطا لوسيو إلى الأمام في تواضع عجيب لم أجهذه فيه وقال :
ـ أرجو العذر عن فضولي يا آلة كلير ، ولكن تصادف أن مررتنا بدارك فلم نستطع أن ندفع الشعور الذي ينادي كل إنسان بمحاورة روبيتك والتعرف إليك ..
أنا أدعى ربانيز ..
وتردد لحظة ثم استطرد : وهذا صديق مستر جيوفري ثبت للزلف .
فرفعت الصبية عينيها إلى وارتسعت على شفتيها ابتسامة ضئيلة ، وأاحت رأسها قليلاً .
ومضى لوسيو : إنه .. كلامك قد عملت - أصبح صاحب قصر ويلوزمير ، وعليه فاتحة حيران ، وآمل أن تصبحا من خير الأصدقاء . وإذا كان في حوالتنا العرف بك بهذه الطرفة خرق للتقاليد والآدلة فأنرجوك الصفع والفران .. ذلك لأن من الصعب بل من المستحيل بالنسبة إلى على الأقل ، أن أمر بيت عظيم من العظلاء دون أن أقدم له احترازي ، وأعبر له عن تقديري لنبوغه وعقربيته .
وبناء على كأن ما في كلير لم تلاحظ هذه الجاملة المصطنعة لأنها قالت ببساطة وهي تندد بذاتها إلى كل هنا بدوره :

ـ أهلا بكما وسهلا ، لقد تعودت أن أتلقى زيارات الغرباء ، ولكنني أعرف اسم مستر ثبت حق العرفة .. تفضل بالجلوس .
وأشارت إلى مقعدين يجانب نافذة تطل على الحديقة ، ودفت الجرس فأقبلت الحادمة فقالت لها : أحضرني الشاي يا جانيت .
وبعد أن أصدرت هذا الأمر ، جلست على مقربة منها والكلب بين يديها أشهي بكرة من الحريم ،

قال لوسيو : إن مستر ثبت سيفتن بابنة صاحب ويلوزمير القديم ، ولا شك أنك قرأت عن ذلك في الصحف .
فأجاب وهي تبتسم :
ـ نعم .. قرأت البال في الصحف ، وأظن أن مستر ثبت سيفتن حقيق بالتهلة ..
إن الالادي سيبيل فتاة طريفة حسناء ، ولا زلت أذكرها منذ كانت طفلة جميلة وكانت طفلة مثلها .. وقد رأيتها مراراً ولكنني لم أتحدث إليها قط ، ولا شك أن من دراعي سرورها أن تعود عروساً إلى القصر الذي قضت فيه عهد الطفولة ..

يد أن لوسيو كان حاضر الذهن . فقبض على عنق الكلب بشدة ، وجدنيه إلى الوراء
وعندما رأت ما في هذا الشهد امتنع لونها حتى يحاكي وجوه الملوى وصاحت :
— دعني أمسك به .. أاه يطعن ..

وأنحاطت عنق الكلب بساعدها النحيف وهتفت : إلى الوراء ، كيف تجسر على هذا !
فأترى الكلب تحت قدمها طاغياً دليلاً ولكنه كان يلهم بشدة ، ويرتجف بقوته
وأنسكت ما في بطوقه ونظرت إلى لوسيو الذي ظل محتفظاً بهدوه وسكنته رغم
أن عينيه كانتا تلماعان لعاماً عيناً وغممت : يوسفى جداً ما حدث يا سيدى .. إنى نسيت
أنك قلت إن الكلاب تذكر هكذا .. ولكن ما أتعجب هذه الكراهة .. ! أنا لأفهم
معناها وهذا الكتاب هادىء في العادة فما سبب نورته الآن ! أمهما يكن من أمر فاني
أغتصد لك عنه وأأمل لا يكون قد خدشك .

قال لوسيو وهو يتسنم ببرود : كلا .. أنا أرجو ألا تكون قد خدشته
فلم يحب وابتعدت بالكلب وغابت عن أيسارنا بعض دقائق
وفي هذه الأثناء ، نظرت إلى لوسيو فرأيت وجهه متجمماً
سألت حلاة : ما رأيك فيها ؟

فأجابت وأنا شارد اللب : لا أستطيع أن أكون فيها رأياً .. إنها على طرق تشخيص
مع ما كنت أتصور .. يد أن كلبي لا يحسنان استقبال الناس .. أليس كذلك ؟
فأجاب : إنها كمان أميكان ، ولا شك أنها ألفاً الصرامة في سيدتها .. فهما
يعantan الأكاذيب الخمسة ..

قالت متربما : تكلم عن نفسك .. إن الكلبين هاججاك أنت ..

فأجاب : أعلم ذلك ، وأنا أتكلم عن نفسي ، وهل يدور بخديك أنت بللت من
القطاظة والتشرك لتفايل الياقة والأدب أن أصفك بأنك كذبة مجسمة .. حق ولو كان
الوصف في محله ؟ إنك أنا السكذبة الجسمة ، وأنا أعلم ذلك وأعترف به ، وباعتراض هذا
أدلل على أنك أصدق من غيري من الرجال ، فلا عجب إذا اشتهرت وأصبحت في عداد
الحالدين ..

لم أحب لأن ما فيك كلبر عادت في تلكلحظة وحالات وهي تسير بما في جميع

مسالك الحديقة أن تنسبنا بابتسامتها العذبة ورقة حديثها ما فرط من كلبيها ، فكانت
تحديثي تارة وتحديث لوسيو تارة أخرى ، ولتكن لاحظت أنها كانت تغضه بنظراتها
وتتأمله في شيء كثير من الفضول .

قلت أحدهما : يجب أن أتهز هذه الفرصة لأقول لك إن سيديل .. أعلى الأدب
سييل أيانتون .. هي من أشد العجيزين بك .

فقال يوسفى : أليس جميع الناس من أشد العجيزين بك ! ! أعتقد أن خصومك
وناقديك إذا عرفوك حطموا الأفلام التي شهرواها في وجهك . أقول لك مختصاراً إنك من
طينة أفضل وأنبل من طينة من عرفت من الكتاب والأدباء .

— يسرني أن تجذبني كذلك ، وأن تراني كما لا ترى سائر الأدباء والمصنفين ..
و الواقع أن الكتاب في هذا الزمن يعطون أنفسهم أهمية أكثر مما يستحقون ،
ويحاولون دائماً أن يفرضوا مكانتهم على الناس فرضاً . وهذا دون غيره لا يغيل الناس
باليهم ، فيصفعونهم بالصلف والكبرياء . وأنا شخصياً لا يهمي أن يقدري الناس طلباً
أعرف قدر ثقفي وقدر عملي ، وأنها تكفي في الحياة غرفة هادئة وطعام يسيط لكي
أواسل عملي وأشعر بالاعتباط ..

إنى كنت في قعر مدفع ، يد أنى لا أملك الآن ثروة واسعة ، وأشتفى إذا أثيرت
أن أصبح خاملة مبتلة مهملة ، وأن بعض الشيطان أحبه في حياتي فيسو ، مصري ..

قال لوسيو وهو ينظر إليها بحدة :

— أعتقد أن ذلك من قوة الإرادة ما يفتك العبرات ويدفع عنك غرابة الشيطان .
فابتسمت وقالت : أنا لا أتفق بنفسي من هذه الناحية ، وأعتقد أن الشيطان لا بد
أن يكون مغريراً خطيراً . أنا لا أتفق وره علوفاً ذا حوافر وفرون وزنب كما كنت
أتصوره وأنا طنلة لأنه إنما كان كذلك حتى أنه لا يملك الجاذبية التي تساعدك على إغراء
الناس وإيقاعهم في حبائله ، وفي اعتقادى أن الشاعر ميلتون فهو الوحيدة الذى استطاع
أن يصف الشيطان الوصف الخالق به ، فقد قال عنه « إنه ملاك مقتدر طرد من الجنة
ونجح أن يأسف الناس باسمه »

و هنا ماد الصمت حفاة .. وهب نسم على .. حرك أغصان البنفسج .

وقال لوسيو في هدوء واطاف : وداعا يامس كلبر .
وكان صوته مرغضا . ووجهه هنئما . فنظرت اليه ما في كلبر بشي من المدهنة
ومدت اليه يدها الصبرة وغمضت : وداعا .

وأنمسك يدها في يده لحظة . ولشدها كانت دهشتي أنا الذي أعرف كرهه للنساء
واحتقاره لهن حين رأيتها يتحقق باحترام ويقبل يدها .

حمد السم إلى وجهتها فصيغها بلوون ورد جميل .

وقال لوسيو بطف : أتيق داعما كما أنت يامس كلبر . وخذار أن تغيري من طباعك
 شيئاً أتيق كأنت صريحة طروا . قاعدة . لكي تشعرى بالشهرة تكل جينك كأنها
نافة من الورد لاقفة من الوسق .

إنني أعرف الكثير من شؤون هذا العلم . فقد سافرت كثيراً وقابلت كثيرين من
مشاهير النساء والرجال . قابلت الملوك والملكات . والشيوخ والواب . والشعراء
والفلسفه . تجاري كثيرة مختلفة . وهذا أعتقد أنك أتكلم عن علم حين ذكر لك
أن الشيطان الذي سمعتك الآن تذكرني بعطف وإشفاق وتصفيه بالقوة والجبروت
لainsطيس بحال أن يعكر صفوف نفس مظاهره قاعدة .

فشكأن الطيور على أشكالها تقع .. كذلك يبحث الشيطان .. ذلك الملائكة الطربيه .
عن أشيائه من تطلب لهم عشراته . ويعطوه لهم نصائح .

وعفوا إذا كنت أطلت الكلام فانا أعتقد أنني رأيت من الأعوام وعركت من
مخرب الحياة أكثر مما رأيت وعركت .

فنظرت اليه في صمت . وفي عينها مزدوج من المذهبة والخوف .

الفصل الرابع عشر — هدية

أخذنا بعد العدد للزواج بنشاط عظيم وراحت المدايا تهال على وعلي مسييل وهو
هذا ما لم ترجي وامتنا كأثرت احتقاري لتفاق هذا المجتمع البشري .

ذلك لأن أولئك الذين انتوا في اختيار المدايا المفيدة الآية وراحوا يتراحمون على
ابناء كانوا جميعاً يملدون عن ثروتى الواسعة ، وبشرودن بأنني وزوجي القبلة لسا يحباجة
لى تلك المدايا التي تنافسوا في تقديمها الينا .

ولو أنا كما شاهين فقيرين قد ربط الحب بينا بروابط الزواج القدس لما فكر
أحدم في أن يقدم اليانا شيئاً من المدايا . وإذا قدموا فانها تكون هدايا تافهة لا قيمة
لها ولا فائدة . . . أما الآن ناهم راحو يقدمون لنا الأحجار الكريمة والأطباق الذهبية .
والكتب الغنية وكتت في الواقع أعرف معنى هذا السخاء . وأعلم أنه لم يقصد به إلا أن
يكون رشوة لنا لكي نخل أصحابه بحال من اعتبارنا فندعوهم إلى حفلة الزفاف ونسجل
أصحابهم في سجل الزائرين الدائمين ليتنا وتركميف حفلاتنا وما علينا . وندعهم بصطalon
في حرارة شهرتنا ومركتنا في المبشرة الاجتماعية وبلغاؤن إلى مساعدتنا المالية إذا سل
بعض الضيق .

لذلك كلامي لم أشكرا أحداً على هديته بخلاص وكان ذلك يعنيه هو رأى سبيلاً في
تلك المدايا . ولطالما فاجأتها تنظر إلى ما أحاطها به أصدقاؤنا المزعومون من كرم
وسخاء نظرة احتقار وملالة ، ولكنها تفتح في كبرائي وخيانى حين صرحتلي بأنها
لائق وزنا لائق من تلك المدايا ، كما تقيم للمجوهرات والأحجار الكريمة التي أهديتها
إليها والخامس البديع المرصع الذي قدمته لها عزيزون بالخطوبة .

كذلك قالت لي إنها معجبة الاعجاب كله بالطاق الذي أهداه إليها لوسيو . وهو
نطق من الذهب مرصع بالأحجار الكريمة له شكل الثعبان وقد بلغ من دقة صنعه ومرصعه
أن كان يخيل للناظر أنه ثعبان من ذهب يتحرك في خمر سبيلاً .

أما أنا شخصياً فلم أتعجب بذلك النطاق واعتبره هدية غير خلقة بمرس ولكي
سمت الجميع بعرون عن إعجابهم به وبدقه صنعه فلم يسعني إلا أن أشاطرهم إعجابهم .
ولم أكن أرى رعائين في ذلك الوقت إلا نادرآ لأنني كنت مهتماً بتربية أعمالي للالية
مع محامي (بتهمة وايليس) .

ولم يكن من رأي هذين الرجلين أن أتفقد الفكرة التي اخترت في رأسي ، من
حيث التزول لزوجي القبلة عن نصف ثروتى بلا قيد ولا شرط . ولكنني لم أعبأ
باعتراضهما . وأفهمتـما بصريح القول أنني حر في توزيع ثروتى كما أشاء . وقد وقعت
فعلاً عقد التناول وسجنته .

وقد حار اللورڈ ايلتون كيف يصف سخاف الذى لا مثيل له . وكيف يشيد بليل

خلق وطيباً فلم يحضر مجلساً إلا وصفي فيه بأنّي أكرم الشباب خلقاً.

وأما هو من ناحيته فإنه بدأ ينظر إلى الحياة نظرة جديدة فراح يغازل ديانا شيرنى علانية، ونسى تماماً أو تلاهى زوجته للرقة ذات النظرات الحسنة. بل إنني لم أتعه بعد ذلك بشير إليها، أو يتحدث عنها.

وأما سبيل فقد انتصرت للاهتمام بثباتها، فلم يكن تفرغ من متجر إلا لزور متجر آخر، وكنا بذلك لا نجتمع إلا نادراً، ولا يستمر اجتماعنا إلا دقائق تحدث فيها أو تبادل الرأى على عجل، وقد كنت في هذه الاجتماعات القصيرة أراها على عهدي بها آية من آيات الرشاقة والجمال. وعلى الرغم من إعجابي وشغفي بها، فإنني كنت أشعر بأنني أمتلكها كأملاك عبداً، وأنها إذا سمحت لي بتبليها فهي تفعل لأنها تعلم أن من حق أن أقبلها لأشيء إلا أنني دفعت الثمن. كما كنت أشعر بأن تاطفهم في معاملتي وابتسامتها كل ذلك صادر عن تفكير وترولا عن غرزة طبيعية.

وند حاولت جهدي أن أخلص من هذا الشعور القيت ولكن Σ أولئي ذهبت أدرج أرياح وظل هذا الشعور يشوه معاذني.

وفي هذه الأثناء كانت الضجة التي أثارتها الصحف وأثارها الناقدون حول كتابي قد هبطت، وتقدم إلى (مورجسون) الناشر بقاعة النقوس فدفعت البليغ الباهظ دون أن أنطق بكلمة واحدة.

الفصل الخامس عشر — الرواج

تركت لصديق لوسيو إعداد تلك الحلقة التي وعد باعدادها، فوفق في ذلك إلى أبعد حدود التوفيق،

وند انتهت إحدى الفراس بين فصول الرواية التي كانت تمثل على مسرح أقامه لوسيو في جديقة الفخر وهي في أذن سبييل:

— فلنذهب إلى التهر.. بودي أن أختلي بك لحظة.

فواقفت في الحال على هذا الاقتراح، وتابعت مساعدتها وشققت طريق معها إلى دغل قريب من شاطئ نهر (آفون) وهناك شعرت أنا في خلوة فاحتضن خضرها الرشيق بساعدى وقلتها،

قلت لها وأنا أبتسم: حدثني.. أنت تعنت الحب بعد؟

غرفت إلى عينين برؤتين عجيتين وقالت: نعم تعنت..

هفت: أنت قولهن الحق؟

ونظرت إلى وجهها الجليل بامتعان واستطردت: وكيف تعنت؟

الآخر وجهها ثم امتنع، وتعاقبت في ساعدي بقوة وأحياناً بالهجمة المفجعة:

— تعنت بقاؤه.. وكان الدروس مهلاً..

وخلقت في عيني وأردفت: — سأحدثك كيف تعنت الحب.. ولكن ليس الآن.. سأصارحك يوماً ما..

وصحكت منك عصبية ومضت تقول: نعم.. سأصارحك.. بعد زواج..

وأجالت عينيها حولها بعنق ثم ضربت عرض الأفق فجأة براتتها واحتضانها..

وطبعت على شفقي قبة طويلاً جعلت رأمي يدور غبطة ونشوة..

ضممتها إلى صدرى بقوة، وغمضت سبييل.. سبييل.. أيها العزيزة إنك تحبيني

هانت تعترفين أخيراً بأنك تحبيني..

٤ فقلت وهي تهمت: صه.. صه يجب أن تنسى هذه القبلة.. إنها قبلة جريئة..

قبلة خطأة.. إنني كنت أذكر.. كنت أذكر.. في شيء آخر..

وغضبت على يدي بقوة وقالت: ليني لم أتعلم الحب يا جيوفري.. لقد كنت سعيدة قبل أن أتعلمه..

وتعصّن جيوبها الناسع، ومضت تقول بتلك اللهمحة المحمومة:

— إنني أريد الحب.. إنني عطشت إليه

فهمست في أدتها: أم أقل لك يا سبييل إنك سوف تتعلمين الحب؟

إن مجردك وفتورك وبرود عاطفك كل هذه كانت عوارض شاذة.. وكان لابد

هذا أن زول وتذوب تحت حرارة الحب.. وقد صدق مأمونقت.. أليس كذلك أيتها الحسنية؟

تفقالت وفي صوتها رنة سخرية لم أفهم معناها: إنك صادق النبوة.. على أنك لم تعرف

حق الآن كيف تعنت الحب.. ولكنني سأحدثك فيما بعد.. فيما بعد..

وخلقت من بين ساعدي بقوة.. ثم تناولت زهرة بريّة وراحت تتأملها وتقول:

— انظر إلى هذه الزهرة الطاهرة التي تحني في سلام على صفاف التهر..

إنها تذكرني ب نفسها .. عندما كنت أعيش في هذه البقعة منذ سنوات عديدة ..
كنت وقتند سعيدة .. وكانت طاهرة كهذه الزهرة .. نعم كنت في ذلك العهد كما أعني
أن أصبح الآن ..

ارتسست على محياتها فزادتها جمالا : إنك لا زلت مثال الطهر والجمال ..

— هذا ما تستطيع أن تقوله أنت كرجل بهذه أن يقنع نفسه بحسن اختياره لزوجه
ولكنني أعرف بنفسى منك ..

أنت تستطيع أن تصفى بأنك جميلة ، ولكنك لا تستطيع أن تصفى بأنك طاهرة
طيبة القلب ، لأنك في الواقع لست كذلك .. بل إن الحب الذى حدثتك عنه الآن ..
وكفت عن الكلام ثم ابتسمت وقالت بعد لحظة : لو عرفت الحقيقة لو فر علينا
ذلك كثيراً من الجدل ولكنك لا تعرف قدر الكلام في هذا الآن .. وهلم بنا نعود
إلى الجماعة قبيل أن يهز بعض الناس رؤوسهم ويقولون إن سلوكنا في الحفلة كان شأننا
ثم أرسلت بصرها إلى كوخ مافيز كلير واستطردت :

— أرأيت هذا الكوخ ؟ إنه كوخ مافيز كلير الشهورة ..

فأجبت : أعلم ذلك وقد زرتها مع صديق ريانيز .. وهي ليست فيه الآن .. ولو لا
ذلك ل كانت يتنا في هذه الحفلة ..

فأشارت : ما رأيك فيها ؟

— إنها دمية الخلق على جانب كبير من البخل

— وما رأى البرنس ريانيز ؟

فأجبت وأنا أبضم : أعتقد أنه يقدرها كala يقدر امرأة أخرى في الوجود . وقد
أظهر لها من دلائل الاحترام والاعتبار ما لم يظهر لأية شخصية من الشخصيات البارزة
التي قابلناها سويا .. هل تشعرين بودي يا ميشيل ؟

ذلك أني رأيتها ترتجف بشدة ورأيت وجهها ينبعج خائفا ، فاستطردت بسرعة :

— حبر لك أن تبتعدى عن النهر .. فلنذهب من هذا المكان .. فالهواء في ظل

الأشجار رطيب ..

فأجابـت وهي شاردة البـلـ والبـصـرـ :

— نـعم .. هـلم بـنا نـعود إـلـى الحـدـيـقـةـ حيثـ الضـوءـ والـدـفـاءـ ..

ثم استطردت : وإذاـ فـصـاحـبـ البرـنسـ رـيانـيزـ الـدىـ يـعـقـدـ فـيـ مـافـيزـ كلـيرـ

ما يثير إعجابـهـ ؟ـ هذهـ المرأةـ لاـ بدـ أنـ تكونـ سـعيدـةـ ..ـ فـهيـ حـرـةـ وـشـهـرـةـ ..ـ وـنـؤـمنـ
بـكـلـ شـىـ ..ـ طـبـ فـهـذـةـ الـحـيـاةـ ..ـ أوـ إـنـ ذـلـكـ عـلـىـ الـأـقـلـ مـاـ يـعـسـهـ الـقـارـىـءـ بـيـنـ السـطـورـ
فـجـيـعـ مـوـلـفـاتـهـ ..

فـقـلـتـ إـنـ الـحـيـاةـ عـلـىـ الـعـوـمـ الـدـيـنـةـ مـيـمـيـتـةـ ..ـ فـلـمـ يـجـبـ ..

وـعـدـنـاـ إـلـىـ الـحـدـيـقـةـ حـيـثـ كـانـ الدـعـوـنـ يـتـاـلـوـنـ الشـائـىـ نـهـتـ خـلـالـ الـأـشـجـارـ ،
وـحـيـثـ كـانـ الـمـوـسـيـقـ تـرـسلـ أـنـغـامـهـ الـهـادـيـةـ الـدـيـنـةـ ..

عقدـ قـرـائـيـ عـلـىـ سـبـيلـ فـيـ الـيـوـمـ الـمـحـدـدـ مـنـ شـهـرـ يـوـنـيـوـ فـيـ اـحـتـفالـ مـنـقـطـعـ الطـيرـ مـنـ
حـيـثـ الـعـظـمـةـ وـالـفـخـامـةـ ..ـ وـقـدـ اـحـتـشـدـ عـلـىـ جـوـانـبـ الـطـرـيقـ إـلـىـ الـكـتبـيـةـ جـمـورـ عـقـيرـ قـلـ

أـرـىـ أـنـ يـحـتـشـدـ فـيـ غـيـرـ أـفـرـاجـ الـلـوـلـ وـالـأـمـرـاءـ ..ـ وـلـمـ يـتـخـلـ الـاحـتـفالـ الـبـدـيـعـ غـيـرـ حـادـثـ وـاحـدـ

أـرـىـ أـنـ أـسـرـدـ تـفـاصـيـلـ لـأـنـهـ كـانـ أـمـ مـاـ عـلـقـ بـدـهـىـ مـنـ حـوـادـثـ دـلـكـ الـيـوـمـ الـحـالـ ..

عـنـدـ مـاـ وـقـتـ سـبـيلـ عـلـىـ سـجـلـ الـزـوـاجـ ،ـ وـاـنـتـنـ فـيـ تـيـاـبـاـ الـبـيـضـاءـ الـقـىـ جـعـتـهـ أـبـهـ

ـ بـعـلاـكـ مـنـهـ بـمـرـوسـ ،ـ تـقـدـمـ مـنـهـ لـوـسـيـوـ وـأـنـهـىـ أـمـامـهـ بـاحـتـرامـ ،ـ وـقـالـ بـصـوتـ رـقـيقـ وـعـلـىـ

ـ شـفـقـةـ اـبـسـامـةـ خـلـابـةـ :ـ إـنـ لـىـ كـاسـدـقـ أـصـدـقـ الـطـرـفـيـنـ حـقاـ تـقـضـىـ بـهـ التـقـالـيدـ الـعـيـقـةـ ..

ـ تـمـ طـبـعـ عـلـىـ خـدـهـ قـبـلـ طـقـيـفـةـ سـرـيـعـةـ ..ـ فـاحـرـ وـجـهـاـ ..ـ ثـمـ اـمـتـقـعـ حـقـ صـارـ يـحاـكـ

ـ وـجـوهـ الـأـمـوـاتـ ،ـ وـبـدـرـتـ مـنـ فـيـهاـ مـيـسـحةـ مـخـيـثـةـ ،ـ وـأـنـهـىـ عـلـيـهاـ بـيـنـ أـيـدىـ تـابـعـاتـهـ ..

ـ وـسـادـ الـهـرـجـ وـالـرـجـ لـحـظـةـ ،ـ وـلـكـنـهاـ عـادـتـ إـلـىـ رـشـدـهـ بـسـرـعـةـ ،ـ وـقـالـ لـنـاـ وـهـىـ

ـ تـبـقـمـ :ـ إـنـ مـاـ أـصـابـهـ هـوـ مـنـ تـأـثـيرـ الـحـرـ وـالـأـغـالـ ..

ـ وـنـشـدـتـ وـنـهـضـتـ وـاقـفـةـ مـرـفـعـةـ أـرـأـسـ ،ـ وـلـكـنـ لـاـ حـلـطـتـ وـهـىـ نـسـنـدـ إـلـىـ سـاعـدـىـ

ـ أـنـهـاـ تـرـجـعـ بـشـدـةـ ..

ـ سـارـتـ إـلـىـ جـانـبـ تـهـادـىـ عـلـىـ أـنـعـامـ الـمـوـسـيـقـ الـقـىـ كـانـ تـعـزـفـ فـيـ الـخـارـجـ ،ـ وـرـاحـتـ

ـ تـطـأـ مـعـذـانـهـ الـحـرـبـرـيـ آـلـافـ الـزـهـورـ الـبـرـيـةـ الـقـىـ تـهـتـ فـيـ طـرـيقـهـ ..ـ زـهـورـ كـانـ وـلـاـكـ

ـ أـحـبـ إـلـىـ اللهـ مـنـ الـخـلـوقـةـ الـقـىـ تـدـوـسـهـ بـقـدـمـهـ ..ـ وـلـكـنـ كـتـ يـوـمـنـدـ مـنـ الـعـرـورـ بـحـيثـ

ـ حـسـبـتـ هـذـهـ الـزـهـورـ أـسـدـ مـصـيرـاـ مـنـ غـيـرـهـ ..ـ لـأـنـهـاـ هـلـكـتـ تـحـتـ قـدـمـيـ عـلـوـقـةـ مـاـحـرـةـ

ـ كـيـيلـ ..

وخرجنا من الكنيسة الى بيت اللورد ايتون ، حيث أعدت لنا مأدبة فاخرة حضرها أكتر ضيوف (ويوزمير) .. وقبل أن ترفع الموائد ددعتم زوجي ضيفنا وانطلقنا في رحلة شهر العسل ..

وكان لوسيو آخر من ودعنا ، فإنه رافقنا الى باب الراكة ، وكان شعورى بالحزن لفراقه أعظم من أن تعب عنه الألفاظ ، ذلك لأنه لا زمني منذ ابتسام لحظة كنا الصديقين الذين لا يفتران ، ثم ساعدنى كالميسارى انسان آخر حتى شقت طريق في الحياة ، واحتللت مكانى في الهيئة الاجتماعية (الراقية) ، فهو كما كنت أعتقد مصدر نعمى ، وإليه يرجع الفضل في أنني اقترنت بزوجي الحسناء . على أن زمامه هذه الزوجة لم تغنى عن زمامه ، ووجودها إلى جانبى لم يرفه من ألى لفراقه الوقت .

أطل علينا من باب الراكة ، وقال وهو يتسم لنا :

— إن روحي ترافقكما في رحلتكما ، ومقعدنا فساؤون أول من يرحب بعودتكم .. إنكم حددتما شهر سبتمبر موعداً للعودة على ما أعتقد ..
فأحببت وأنا أشد على يده بقوه :

— نعم .. ويسرتنا أن تكون أول من نرى عقب عودتنا .

ولم تقل سبيلاً شيئاً . ولكن عينيه لم تحولا عن وجهه النبيل الجميل .. وقد لاحظت أنها شاحبة اللون خلافاً للعادة
قال لوسيو :

— إلى اللقاء يا لادى سبييل . أتمنى لكارحة بعيدة . إن غيابكم سيكون بالنسبةلينا طويلاً . ولكنه بالنسبة إليكما .. آه .. إن الحب بولي الوقت أجنحة . وما يراه الشخص العادى شهراً طويلاً كالاسوف ترباته دقائق معدودات . إدھيا في حرارة الله .
واذكرنى في بعض الأوقات . وإلى اللقاء .

وانطلق المركبة في طريقها بين هناف القوم وتحت وابل من الزهور .

نعم اشتقت بنا في شارع آخر فعابت عنا الوجوه الباسمة . وشعرت كأشعرت سبييل أنا تركنا لأنفسنا . والمستقبل . التجاذب بتجارب الحياة . وتنقل ما قسم لنا من دروس الحب . أو الكراهة .

الفصل السادس عشر - زوجي

لأنذر كر الآن كل م الواقع لي في الأيام والأسابيع التي انقضت عقب الزواج بسرعة أو ببطء . وانتهت بي أخيراً إلى وقت وجدت نفسى فيه أسرى كسر القلب كاسف الحال على شاطئ بحيرة صغيرة بزرقة في سويسرا .

نظرت إلى لقاء الصافي بعينين تائدين لازيان شيئاً . ولم استطع أن أرفع عيني إلى الجبال الشاهقة الغطاء بالثابوج البيضاء الناصعة التي تحبس تلك البحيرة . لأن مظاهر المظلمة والنقاوة كانت تؤلم قلبي العذب .

كم كنت جاهلاً بين نصورت أن في الحياة شيئاً يقال له السعادة .
لقد كان الشفاء يتحقق في وجهى . الشفاء الطويل الأبدى الذى لا يخلص منه إلا بالموت .

جئت أسائل نفسى أى جرم شنيع اقرفت حتى يكون عذاباً لهذا الشفاء الذى
لأنزيله ثروة مهما عظمت !
كنت كغيرى من البشر في عجز تام عن فهم العلاقة التي وضعت عني فيها مختاراً
راضياً فذهبت ألوم الأقدار وأخذت عن ظلمها وقسواتها لا لشيء ، إلا أننى أتعذب
 وأنفاني وحدى .

نعم ... لم يكن ثمة معنى للحياة بعد أن عرفت ما عرفت . وعلمت أن تلك التي أحبتها
وكنت لا أزال أشعر نحوها بنوع من الحب مقربت إلى نفسى لم تسكن إلا الاختوقة وضيعة
أحقر بكثير من أية امرأة تبيع نفسها لأول غابر سبيل لقاء درام معدودات .. وإن
ذلك الجسم البدين وتلك اللامع الساحرة لم تسكن في الواقع إلا غشاء فالنفس خبيرة أنيمة
كانت تمر في لحظات أنظر فيها إلا ما لزوجنى من جمال جذافى كما أنظر إلى شئ
مقرب ذلك لأننى عرفتها على حقيقتها فلم تعد للظاهر الخارجية تهديد في سر نفسها
الحيثية المتمردة .

وكان أعظم ما يدهشنى منها تفاها الذى لانهاية له . وقابليتها العجيبة للاكاذيب ..
فأنت إذا نظرت إليها . أو سمعتها تتكلم . خيل إليك أنها في طهارة الملائكة ، وأنها
محلوقة رقيقة مرهفة تخدشها السکامة الحافة . وأنها الأنوثة الخلوة مجسعة . كلها عطف

السعادة لا بد أن تتمكن في أحد الأيام من التأثير على سبييل .. فتحتف هذه الأخيرة من خلوتها وتسكت عن استقرار ما هو بيل وترى في هذه الحياة ..
وقد اتتني أول فرصة .. وصحت سبييل إلى بيت مايير كيل ..

استقبلت مايير بذلك الوجه الباسم المنسط الأمير .. ونظرت إلى سبييل بتعجب
وفاحت سبييل هذه الظاهرة بيتها .. ولكن رأيت على وجهها علامات المرض والاعصاب
فات وهي غارب عنها : من ذا الذي يظن حين يراها أنك ماينر كيل الشهوره ..
لقد قيل لي إن مظاهرها لا يدل على أنك من لسلسلات الأدب ، ولكن لم أكن آتني
آن لحذف في مثل هذه الصورة ..

قالت مايير وهي تبتسم : إن من يعي بالظهور في مظهر الأدياء قد أن ينجح ..
يد أني مسروقة تعاقبتك يلاادي سبييل ، هل تعلمين أنك كنت أقربك وأنت مقلدة
صغيرة تعيش في حديقة وبيلزمير ؟

فأجاب سبييل : وانا كنت بدورى أربكت ، ولذلك قد ذكرت أنك كنت تصطحبين
من الزهور عموداً وكانت تشنرين جل وشك على صدف هذا النهر ..
ومن دواعي سروري أنا سيران ويعنى الآنه أن أراك تزوريني في بيلزمير ..
فأنا بـ مايير في الحال واهتمامت سكب الشاي في الأقداح فلا يلاحظ سبييل شيئاً
يعطيه سمعة من حدة المعن وصرحة الخطأ والهاره في تحليل نعية محنثها وقال :
ـ سـ زـوـرـ أـلـيـسـ كـلـذـكـ ؟ـ وـ تـزـورـيـنـيـ غالـيـاـ ،ـ كـلـ محـجـ وـقـكـ يـذـكـ ..ـ آـ

فنظرت إليها مايير وهي تخففها ابتسامة عدية صريحة وسألت : أنتولين الحق ؟ـ
ـ الحق ؟ـ طبعـاـ ..ـ وـ قـلتـ بـدورـيـ :ـ وهـلـ عـندـكـ شـكـ فيـ ذـكـ ؟ـ
ـ مـلـجـاتـ مـقـرـ وـهـ لـأـرـزـالـ تـبـسـمـ ؟ـ أـرـجـوـ لـعـزـرـهـ عـنـ هـذـاـ السـؤـالـ ..ـ وـ لـكـ كـماـ
ـ الآـنـ مـعـطـاءـ الـلـاـكـ وـعـطـاءـ الـلـاـكـ يـعـتـرـفـ أـنـهـمـ ثـوقـ مـسـتـرىـ الـؤـئـينـ وـالـكـتابـ

ـ وـ لـمـ عـيـنـاهـ الـرـقاـونـ سـرـورـ وـأـرـدـفـ :ـ
ـ إـنـ يـعـنـ العـطـاءـ يـنـظـرـونـ إـلـىـ الـكـتبـ يـنـظـرـهـ إـلـىـ الـثـانـيـ ..ـ

ـ ثـمـ قـالـتـ ثـيـرـ عـرـىـ الـحـدـيثـ :

ورثة ويل ، بل إن كل إنسان كان ينظفها كتمان ، وهي خدعة كبيرة وخطأ فاحش ..
ذلك لأنها كانت امرأة بلا قلب .. وقد سكنت في هذه المقبرة بعد يومين من
وفاتها ، فقد كنا في باريس وختمال ، فجاءتنا رفيقة من الأسود أبتوون معونة وفاة والدة
سبيل ، والظاهر أن الراوي للرضا توفيت فجأة في ليلة رفاتها ، فاشتق الأسود أن
يمكر سفو سفروتنا ، وغرت مغان وأربعين ملة ، ثم بعث تلك البرقية وعاب عليها
برقية مقتضبة إلى انتبه يتصفح لها فيها بالآخرة نيل الحسداء في شهر العسل ، لأن
وفاة الراوي كانت مشقرة في كل وقت . ولا داعي لأن تخوزن بيل ، وهي تحمل بعد
نيل المرس ،

وكانت سبييل على استعداد عظام لقبول هذه النصيحة فلم تخلع ثيابها أبداً ، أو ذات
الألوان الزاهية ولم تقصد فالبهرج .. ولم تحسب حساباً لما ذكرت بقولها وإنها
باتت رغم رأوها في تلك الأيام وتلك الريبة غداة وفاة أمها ..
ولم تسع من شفتها كلة حزن على والدتها .. ولا رأت في عينها دمعة وكانت كل
ما قاله : يسرى أنها تحصلت من آلامها ..
ثم أردفت وعل شفتها ابتسامة ساخرة : ترى مقتنعاً بطاقة الدعوة لمقد فران
والدى على ديانا شيرن ؟

ـ لم أجيء ..ـ وشعرت بالألم والحزن لما بدا من تساوتها ..ـ واعتبرها إلى الدوق
الحسن في مثل ذلك اللوق ..ـ أسف إلى ذلك لأنني شعرت بالتشاؤم لوفاة والدتها في
ليلة الرفاف بالدلت ..ـ

ـ ومـمـاـ يـكـنـ منـ أـنـ فـنـدـ أـقـدـ شـهـرـ عـلـ هـذـاـ الحـادـتـ ،ـ وـ خـلـالـ هـذـاـ الشـهـرـ ثـرـفـتـ
ـ آـمـلـ وـأـنـحـلـاسـ جـمـيـعـاـ سـرـ عـزـقـ ..ـ وـ وـجـدـنـ مـضـطـرـاـ إـلـىـ الـاـنـتـرـافـ بـأـنـيـ تـزـوـجـ مـنـ
ـ حـيـوانـ جـيـعـلـ ذـيـ نـفـسـ وـمـيـولـ أـنـيـةـ ..ـ

ـ الفـصلـ السـابـعـ عـشـرـ زـيـلـةـ
ـ عـدـتـ إـلـىـ وـيـلـزـيـعـ فـيـ مـنـصـفـ شـهـرـ أغـسطـسـ ..ـ وـ قـدـ سـرـىـ أـنـ أـعـودـ إـلـىـ بـيلـزـميرـ
ـ لـكـ أـعـلـىـ تـوـطـيـدـ لـوـاءـ الـصـادـقـ بـيـنـ زـوـجـنـ وـعـاـيـرـ كـلـرـ وـقـدـ خـطـرـ لـيـ أـنـ هـذـهـ
ـ الـصـادـقـ لـأـبـدـ أـنـ غـيـرـ زـوـجـيـ ..ـ وـ إـنـ مـاـيـرـ كـلـيرـ تـلـكـ الـثـانـيـ الـرـفـعـةـ الـطـاهـرـةـ الـرـشـةـ

— وأين صديقك البرنس ريانير .. الذي زارني معاك هنا ؟
فأجابت : إنه الآن في سان بطرسبرج ، ولكننا متوقع عودته بعد أسبوعين أو
ثلاثة ، وقد يقضى في ضيافتي وبلوزمير بضعة أيام .
فقالت مافيز وهي وجها علامات التفكير العميق : لاشك أنه رجل غريب الأطوار
أوند كر كيف هاجمه الكتاب ! إن الكتاب الكبير ظل مضطربا غاضبا طيلة ذلك اليوم
تم نصت على سيل باختصار قصة لوسيو والكلبين ، قالت سيل :
— إن بعض الناس يعتقدون الكلاب بالمرارة ، والكلاب يشعر بذلك ، يد أنني لم
أكن أحب البرنس ريانير يكره من المخلوقات غير النساء ،
وضحكت ، ولاحظت أن في ضحكتها شيئا من المرارة .

قالت مافيز بدھة : غير النساء ! هل يكره البرنس ريانير النساء ، يجب أن
يكون إدن كثلا بارعا ، لانه قابلني بكل احترام ولطف .

فنظرت إليها سيل بحدة ، ثم قالت بعد صمت قصير : لا بد أنه لاحظ أنك لست
كسائر النساء .. إنه على العموم يقابل أفراد الجنس الاطيف بكثير من الاحترام
والاعتبار .. ولكن أظن أن هذا الاحترام يستشعره غير الذي يندو في حركاته
قللت وعلى شفقة إنسامة طفيفة : هل لاحظت ذلك أيضا يا سيل ؟
فأجابت : إنني لست عميماء حق لا لألاحظ ذلك .. يد أنق لا أؤمِّ على هنا السلوك
بل العكس ، هنا الشذوذ يجعل منه إسانا فذا مدهشا .

فنظرت إلى مافيز بحدة وسألت : هل هو من أخلص أصدقائك ؟
فأجابت بسوعة : إنه أعز أصدقاءي وأكرمه على ، وأنا أدين له بكل شيء ، حق
بزوجي فهو الذي قدمني إليها ..

نظمت بهذه الكلمات على سيل الدعابة ، ولكنها لم تقدر تتفق حتى شعرت
بهزة أثرت على أعصامي .. هزة ذكري مؤلمة ..
نعم ، إنني كنت أدين للوسيو بكل ما أتعانى من بؤس وخوف وعار وخجل من
هذه المرأة التي ربطتني بها حتى لوت رابطة الزواج ..
شعرت باضطراب ودوار ف تركت مقعدي وارتحت على مقعد آخر قریب من النافذة

التي تطل على الحديقة ، وزركت المرأتين تتحدثان فيما يروقهما ، ثم رأيتهما تمضان
وتعادان الغرفة ، فراقبتهما وهما يسبران ..

كانت زوجي طوبيلة القامة بدبيعة القوام ترتدي زيا على آخر طراز ، وكانت مافيز
قصيرة القامة ضئيلة الجسم ترتدي ثوبا أبيض بسيطا خاليا من الزركشة والزينة ..
كانت الأولى صرحا شاهقا من صروح الحال الجماني ، يضم فساتين ريرة أنيمة ..
وكانت الثانية عنانا حبا المساطحة والظهور والصراحة ..
كانت الأولى حيوانا جميلا ، وكانت الثانية مخلوقه تعتمل في أعماقها أسمى أنواع
العواطف الإنسانية .

ضمممت ثبضقي بفوة وحنق عندما شعرت بسو ، حظى وسوه اختياري ولو أنني
عرفت قبل الزواج ما عرفت بعده .. ولو أنني خبرت قبل الزواج بين هاتين المخلوقتين
التنافضتين لاخترت الثانية بغير تردد .



كنت أستعرض في ذهني حوادث الشهور الأخيرة وأمسارع البأس ويقاد اليأس أن
يصرعي حين عادت المرأتان بعد أن فقدت زوجي المدار . وكان أول ما فعلته سيل
أنها فاتت لي وعلى شفتها ابتسامة مهيبة :

— إن الآلة مافيز بعض آراء غابة في العراة والشذوذ .. فهي مثلا لا تطمئن
إلى البرنس ريانير ولا ترى فيه ما يراه سائر الناس من أنه مثال الطرف والخلق الكريم
بل لقد صارتني بأنها تشعر خوفه بكراه لا تعلم بيده .

فاحجر وجه مافيز ولكنها نظرت إلى في غير جا ، وقالت بلسان متلعم :
— أعلم أن من الخطأ أن ي Finch الانسان عن رأيه وشعوره في كل الأوقات ، لذا
أرجو للقدرة يامسترك بحسبت . إنك ذكرت لي أن البرنس ريانير من أعز أصدقائك
وأكرمه عليك وآ الواقع أن مظاهره تركت في نفس أثرا طيبا في أول الأمر ، ولكن
مالبثت بعد أن تحدثت إليه وعنت بدراسة مظاهره أن تأكيدت من أنه يظهر غير
ما يبطن . وأنه ليس حقيقة كما يبدو للناظر إليه .
فقلت وأنا أضحك : إنه يقول ذلك عن نفسه .

فأجابت في هدوء وهي تصدئ بعينيها :

- لاستطيع أن تفهمي . ولم يخطر بالي أبداً أنك تستطيع في أحد الأيام أن تفهمي . وأنا لا أؤمك على قلة فهمك . لأنني شخصياً لم أفهم نفسي إلا بعد جهد طويل . وبخيل إلى أنني ما تسكن حتى الآن من أن أسر غور نفسي .
أما فيما يتعلق بالآنسة مايفيز فإن موقفي منها موقف الشر من الخبر وعلمك أن الشر يفت الخبر .. والباطل يكره الحق .. والجحيد يخدع على الطيب .
نقال لها : مادام لم يكن في بيتك حنا أن تخرص على صداقتها . فماذا لم تنصار حبيبك ؟
- اطمئن يا جيوفري . فهي امرأة ذكية . وسوف تتمكن من معرفة شعورها بخوها دون أي تصريح .

نظرت إليها من قمة رأسها إلى أخمص قدماها .

قلت :
أصبح جمالها الفائق قد ذهب إلى عيني ورمادي في حلق .
- لقد كنت أرجو أن تتوثق بيتنا وبين مايفيز أواصر الصداقة فهي فتاة دمنة الخلوقات آراء وزرارات ظاهرة ببريقها كانت خلية بأن يجعل منك خلوة أخرى .
فأجابت وهي تضحك ضحكة فاسية : إن العصفور لا يصادق السفر .

وكنا قد وصلنا إلى القصر فصعدنا إلى غرفة الاستقبال وكان في بيته أن أوائل الحديث معها لأسر غور نفسها .

ولكتنا لم سك ندخل الغرفة ويستقر نا القاع فيها حتى صمت صونا وننانا أعرف .

ببراته حق العرقه يقول :

- هل أستطيع بالي من دالة الصداقة أن أدخل عليك دون استئذان ؟ !
خولت رأسي إلى الباب وهتفت : ريمانير .

ووبيت إليه . وشددت على يده بقوة وحرارة ولكن مخالص بيده من قبضي بسرعة وقال : أرجو للعذر .. فهناك من يجب أن أقدم له أعمى عبارات احترافي أولاً .
وسار إلى حيث كانت سبييل وقال لها في لطف :

- لادى سبييل . أرجو لا تكون قد أزعجتكم في هذه الوحدة السعيدة ،
فأجابت بصوت ساحر لا أثر فيه لتلك الحشونة التي كانت تتكلم بها منذ ثوان :

- وأنا من ناحيتي أعتقد أن له سرا وقد وعدني أن يكشف لي عن هذا السر في أحد الأيام . ومهمها يكن من أمر فاني بؤسفني جد الأسف أن يكون هذا شعورك نحو ريمانير . لأنك يليل اليك ويفدرك .

فأجابت مايفيز :

- ربما أغير رأي فيه إذا قابلته مرة أخرى . والآن دعنا نتحدث في أمر آخر لأنني يخجلني أن أكون قد أصدرت حكمًا طائشاً على شخص تحبه واللادي سبييل المخل الأول من الاعتبار والتقدير ، ولكن الواقع أن قوته لم تستطع لها ودادا دفعني إلى التعبير عمّا يختلج في نفسي .
ورافقتنا مايفيز أخيرا إلى الباب الخارجي . وكلها الكبير يتبعها .

وعندما همّنا بالانصراف . مدت سبييل يدها إلى مايفيز وقالت لها وهي تتظر إليها بحدة نظرة التأمل الحسود : لاشك أنك سعيدة في حياتك يا آنسة مايفيز .

فأجابت مايفيز وهي تبتسم : شكر الله .. إنني أنعمت بالسعادة الكاملة . وكل ما أرجوه أن أموت في سلام كما عشت في سلام .

نقال لها في الحال : بعد عمر مديد .

فأجابت بلطف وهي تمحقق في وجهي بعينيهما الصافيتين : أشكرك .. ولكن لا يمكنني أن يخترني للوت في أي وقت .. مادمت على استعداد .
ولوحت يدها تودعا . وسررت مع سبييل في صمت وسكون إلى أن ابتعدنا عن بيته مايفيز . وعندئذ قالت سبييل : إنني أفهم الآن لماذا يخفت بعض الناس هذه المرأة .. أنا شخصياً أشعر أنني بدأت أمقتها .

- تمقتها ؟ أنت ؟ ولماذا ؟
فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة خبيثة :

- لا تعلم لماذا ؟ أنا أمقتها لأنها سعيدة . أمقتها لأن حياتها حالية من الناعم والفضائح . ولأنها تجسر أن تقول إنها سعيدة . وأصارحتك بأنني أشعر برغبة خبيثة في أن أجعلها تعيسة . ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟ !
فقلت ممزوجا :

- ما أعجب أطوارك يا سبييل . إنك تعجبين بعواليات مايفيز . وكنت منذ دقائق تخطبين ودها . وتعملين على توثيق أواصر الصداقة بيتك وبيتها . ومع ذلك لا تجتمعين الآن عن القول بأنك تريدين لها النعامة والشفاء . في الحق أن لا تستطيع أن أفهمك

— أبها .. على الأطلاق . إنما ترحب بك في كل وقت .
ومدت اليه كلاديها . فتناولها وقبل يعنها .

قال : أنت لا تستطيع أن تصور كم كنت أتوق إلى رؤيتها .
تحول إلى وقال : أرجو المغفرة عن ظهورى الفجأة يا جيوفرى ، لقد شعرت أن
من أول واجبه بعد عودتي إلى إنجلترا أن أزوركما . وفكرة في أن أهاجمكما بهذه
الزيارة وكل رجائي ألا تكون أزعجتكما .

يدأتني جد مقتطع لما أرى عليك من مظاهر السعادة والطمأنينة فأبها ولا ذلك
أشعر زوجين في الوجود ولو أني من الذين يخسرون الغير على ما يستمتعون به من نعم
 Divine لكتئم أول من أحسد .

فضضت على شفق . وقلت لأحول عرى الحديث : هل تناولت طعام العشاء ؟
— شكر لك .. لقد تناولت قليلاً من الخبز واللبن في منتصف المخطة . وأذك لك
أني لم أنهم بطعمكم كما نعمت بهذا الطعام على يساطته . الواقع أني سنت الأطعمة الفاخرة
إنك تتمن بسحة جيدة يا جيوفرى . وأخشى أن أخذ شعورك إذا قلت لك إنك
جدأت تتمن بالسمنة والضخامة اللتين يمتاز بها كبار الملوك في الأقاليم .

ابتسمت . ولكنني لم أشعر في الواقع بشيء من الارتجاع لهذه الملاحظة لأنه ليس
من الدوق في شيء أن يوصف الإنسان بالسمنة في حضرة زوجته الحسنة التي افتتن بها
منذ شهور فلائل .

قلت له : ولكنك أنت لا تزال كعمرك بك لم يطرأ على منظرك أي تعجب ؟
فأجاب وهو يجلس على مقعد قوي :

— كلا .. فأنا لا أطبق السمنة ولو خبرت لاخترت أن تكون هيكلًا من العظم أو
قبضة من الماء ..

نم تحول إلى سيبيل فجأة وقال : كم لا يهمنك الحياة الزوجية يا لادى سيبيل !!
ونظر إليها باستغراب ظاهر ، فاحمر وجهها ، وظهرت عليها علامات الارتباك .

سألته : متى عدت إلى إنجلترا ؟
فأجاب : اليوم
— وهل استطاعت معك خادمك (إميل) ؟

— كلا .. بل تركته في البخت .. وأعتقد أنني أستطيع أن أخدم نفسي بما أو بومين
فهنت سيبيل : يوماً أو يومين ! لا شك أنك تنوى أن تغادرنا بهذه السرعة
أنت وعدت أن تتفقى في ضيافتنا مدورة طوال الليلة .

فنظر إليها بحدة : ثم قال وفي عينيه بريق الاعجاب :

— نعم وعدت بذلك ، ولكن يا عزيزى لادى سيبيل .. إن الزمن يرغم الناس
على تعبير آرائهم ، وأنا على يقين من أنك وزوجك المحترم لا تزالان على رأيكما الأول
الذى أبديتهما قبل رحلتكما ، ومن المحتتم أن تكونا الآن راغبين عن إقامتكما .
فأجبت على الفور : محن لا نسامم عشرتك أبداً بالوسوء .. ثم إنك أعز أصدقائنا ،
بل أنت الصديق الوحيد الذى يهمنى الاحتفاظ بصداقته .

فنظر إلى نظرة غريبة ، ثم تحول إلى الزوجى وقال بهجة رقيقة :

— وما قول اللادى سيبيل ؟

فأجابت سيبيل وعلى شفتها ابتسامة ، ووجهها يمحى تارة ويعتنق أخرى :
— إن اللادى سيبيل تقرر أن من دواعي خفتها وسرورها أن تعتبر (ويلوزمير)
دارك ، فقدم لها ما طابت لك الإقامة ، كما أنها ترجوك وأنت المعروف بكراهيتك النساء ،
(وهنا رفعت عينيها الجميلتين وحدقت في وجهه بحدة) أن ترفه من كراهيتك لمضيفتك
وتركتنا والغرفت بعد أن ودعت لوسيو بابنامه وشقة ، ونزلت في الحال إلى
الحقيقة ، وأخذت تهادى بين الأشجار والنسم يبعث بتوها الحريرى فيكشف عن
تفاطيع جسمها اليديع .

وراقها لوسيو من الثانية لحظة ، ثم انتهى إلى ، وألقى يده على كتفي بقوه ، وقال
في لطف : بحق الله ، إنها امرأة كاملة ، ومن الخشنونة أن أرفض دعوتها ودعوك ..
ثم نظر إلى بحدة وأردف : إنني عشت عيشة الآبالسة منذ رحيلك ، وأعتقد أن
الوقت قد حان لاصلاح حياتي وال搬迁 بالمدودة في ظل حياتكما الزوجية السعيدة ..
ارسل إلى الخطة من يأتي بمحفائي ، فسأقيم معكم ما طلب لكما إيلان .

الفصل الثامن عشر — مفاجأة

افتقدت بعد ذلك فترة هدوء لم أعرف وتقىد أنه المدودة الذي يمتاز به الطيعة قبيل

العامنة ، والامتنار الذى يبدو ظواهره على الحياة البشرية قبل السكوارت . طرحت جانباً آلامي وأفكارى السوداء ، وصرت لا أهتم لغير الاستئناع بصدارة لوسيو وزملائه ، فسكننا تربض سواها وترك الجياد معاً ، وقضى أكثر الأوقات في تحاذب الحديث ..

وعلى الرغم من الصلة الوثيقة التي كانت تربطني به ، فقد حرصت على الابتعاد عن يأس في حيائني الزوجية ، ولا عن اشتراكى من أخلاق سيل وآرائها كما عرفتها بعد الزواج . ولم أتعذر السكتان حرساً على كرامته زوجي ، ولا إبقاء على مكانتها في نظر صديق .. وإنما لأنى كنت أعرف سلفاً أن الشكوى لن تثير في نفس لوسيو شيئاً من الشفقة ، وأن فلسنته الساخرة سوف تتغلب على صداقته فيقول لي إن من الآنانية أن أطلب السكال في زوجي وأنا أبعد ما أكون عن السكال !!

ذلك لأنى كغيرى من الرجال أشعر بأننى حرف أن أكون وحشاً متلافاً ، وفي أن أحيا الحياة الفاجرة التي تطيب لي ، ولiskن ذلك لا يعنى من أن أطالب زوجي بأن تكون مثل الطهر والسكال ، وهو ما يصفه لوسيو بغيرشك بأنه الآنانية بكل معناها وعليه فقد آثرت أن أحفظ لنفسى بالآلامى على أن أكاشفه بها ، فلا ألقى منه غير السخرية والتهكم ، والفلسفة التي تخدى عوامتنى ..

ولهذا حرصت على أن أعمل سيل في حضرته معاملة الزوج الحب للزوجة السامة الحبوبة ، يد أن سيل نفسها كانت تتبرم بهذه المعاملة وكانت أحواها في حضرة لوسيو غابة في الترابية والشذوذ .. فهى تارة سعيدة مغبطة حادة النعن حاضرة النكلة .. وتارة حزينة باشة كثيرة الصمت والوجوم .. ولكتها كانت دائمة غاية في اللطف والدعة والرشاقة ..

وانتصف شهر اكتوبر .. وكان الحر الشديد يلتجأنا في أكثر الأحيان إلى تناول الطعام أو الشاي في القصورة الطلة على الحديقة ..

في ليلة عادية رق نسيعها .. تناولنا الطعام في تلك التصوره مع طافقة قليلاً من الدعوين .. وكانت ما فيه كلير بين ضيوفنا .. لأنها ابرت بوعدها وصارت تتردد على وبوزمير في بعض الأحيان ..

وفي تلك الليلة شهدت منظراً عجيباً كان من المستحيل أن أعتقد في امكان وقوعه لولا أنى شهدته بعيني رأسي ..

حدث بعد أن تناولنا الطعام والقهوة .. وجلسنا نعم بأحاديث ما فيه أن اقترح أحد الدعوين أن نعرض قليلاً في الحديقة .. فاقسمنا جماعات وسار بعضنا في أثر بعض تم ما لبتنا أن تفرقنا .. ووجدت نفسي في لحظة ما وحيداً منفرد آنظرت إلى أن أعود إلى مقصورة الفسر لاستحضر علبة التبغ التي تركتها هناك ..

وفها أنا أمر بين الأشجار وأمتنع الطرف عننظر الحديقة تحت ضوء القمر الفضى فإذا في أسمع نبرات صوتين أعرف صاحبها حق المعرفة .. كان أحدهما صوتاً حادتاً مغرياً ، هو صوت لوسيو ، الآخر مرتحفاً حزيناً هو صوت ما فيه كلير ..

ودفعتي المعشة والضفول إلى أن أقف وأنست وأتساءل وعلى شفتي ابتسامة : ترى هل وقع لوسيو أخيراً في حبائل الحب ؟ وهل وجد عدو النساء الخلوقه التي استطاعت أخيراً أن تروض وتكبح جاج كراهيتها ؟ وهل هذه الخلوقه هي ما فيه كلير التي وإن لم تكن مثلاً أعلى للجبل الجبلى إلا أنها تتمتع بشخصية جذابة مغوية تعوض عليها افتقارها إلى المجال السكال ١١

وشعرت وأنا أفك فى ذلك بشىء من التيرة ..

لماذا وقع اختيار لوسيو على ما فيه من دون نساء العالم أجمع ! أم يمكن من الصواب أن يدركها وشأنها في حياتها السعيدة لهاادة لتهاده لتهاده وكتها وأزاهيرها ١٢

وشعرت بعامل آخر أقوى من الضفول يدفعنى إلى الامساك .. فتواريت خلف إحدى الأشجار الضخمة .. وأرسلت بصرى إلى مصدر الحديث فرأيت رعنائز وانفاساً يفامتنا الرشيقه المهزباء .. وقد عقد مساعديه فوق صدره .. وراح يحملق بعينيه الساحرتين إلى الفتاة التي وقفت على مقربة منه .. وراحت بدورها تنظر إليه بزيف من الحروف والاعجاب قال لها ببطء : لقد سألكت يا ما فيه كلير أن تسمحى لي فأضع نفسى في خدمتك .. إنك امرأة موهوبة .. والمغرية صفة نادر في النساء .. فإذا سمحت فاني أعمل على مضاعفه

زروتك وسعادتك .. إنك أست غنية وفي مقدوري أن أرشدك إلى طريق التروء
أنت مشهورة دائمة الصيت .. هذا حقيقة .. ولكن لك إلى جانب ذلك أكتمن
عدو واحد .. وأعداؤك يعملون باستمرار على النيل منك واسقاطك عن العرش الذي
رفعتك إليه عبقريلك .. أما أنا في مقدوري أن أرغم أعدائك جميعاً على التراغ تحت
قدميك فلا تخدين فيهم غير العبيد الأذلاء ..

إنني أستطيع بفضل مالك من عبرية فذة وذكاء خارق وبفضل دعائة خلقك ومسعة
صدرك أن أجعل منك - إذا أسلمت لى قيادك - أوسع النساء، فنونا في هذا الجيل ..
أنا لا أزعم لنفسي نوة لا أملكها .. ولكنني في الواقع أستطيع أن أفعل كل هذا
الذي أعدك به وأكثر منه .. ولا أطلب منك إلا أن تعملي بتصحي .. وتنزلي على إراداتي
ولأن أصح لك بدئ، عبر لاتستطيعه فشكل نصائحى سهلة ميسورة وأكثر الناس
لا يجدون فيها صعوبة ..



وقد تخلص وجهه وهو يتكلم تخلصاً مدهشاً ..

كانت تبدو على ملامحها الناجحة علامات الألم والحمد حتى ليخيل للناظر إليه أنه يقول
ما يقول على الرغم منه ويقدم عروضاً ومقترحات مفيدة إلى نفسه وكان لا يعرض على عداته
عملاء من أعمال الخير يعود عليها بالثروة والشهرة ..
انتظرت بفارغ الصبر رد ماقيق ..
أما هي فاتتها صمت لحظة ثم قالت :

- إنك رجل طيب القلب يا سيدي البرنس .. وليس أدل على ذلك من أنك تذكر
في تردد الخير لي .. ولكنني في الواقع لا أدرى لماذا .. فأننا لا أمت اليك بأية صلة ..
إنني سمعت من مسيرة تجربتي عن سعة زروتك وعظم غودك .. ولست أشك لحظة
واحدة في حسن نواياك .. ولكنني لا أدين بشيء لأحد .. لأن أحداً من الناس لم يأخذ
يدى .. بل أخذت يد نفسى ولا زلت أفضل ذلك .. أضعف إلى هذا أنني لا أطمع في
شيء إلا أن أمور سعيدة كما عشت ..



وصفت وهناما حمت صوت غصن جاف يتعطم فارسلت بصري إلى حيث وقف
الاثنان ووجدت لوسيير قد تقدم من ماقفر خطوة وارتسمت على متفقته ابتسامة طفيفة
ساحرة أكسبت طلةه الجليلة مزيداً من الجمال والسر ..

قال لها : أيتها الفيلسوفة الحسنة ، إنك لازلت امرأة على الرغم من فلسفتك وتوة
حياتك وما دمت امرأة فلا يزال ينفصل شئ ، لتتوسيع سعادتك وهذا الشئ هو الحب
حب رجل يعبدك ويتفاني في الأخلاص لك ..
نعم اذا كنت قد فترت بالشهرة والحكمة فلا ينفصل الفور بالحب لتم لك السعادة
المدنية ..

أنت لا تجدين الآن ذلك القلب الذي يخفق مع فليبك ، والسعداء الذين يخطبانك
في عطف ورفق ، فأنت وحيدة في هذا العالم وأكثر الرجال يخافون النساء اللائي على
شباك لأن الرجال قساة حمق وهم يريدون زوجات فاسيات باهارات وشنون على
من كانت مثلث في ذكائها واستقلالها ، ولكن أحدهما أحب إلى المرأة ، إعجاب وحسن
جهال أو الوحيدة للفضية الثالثة ؟

*
فكري في ذلك ، إن الأعوام عمر سراها ، ولا بد أن تفتحم الشيخوخة صرح
شيابك في يوم ما ومع الشيخوخة تزداد وطأة الوحدة ومرارتها ..

أنت تتصرين إلى الآن في ذلك وارتياط ودهشة ، ولكن أعلى أنني أستطيع حقاً
أن أقدم لك الحب ... ليس حبي ... لأنني لا أحب أحداً .. وإنما سب من ترميمه من
عيشه، أى يلد في هذا العام ، نعم .. أستطيع أن أجعل أعظم الرجل يتمرسون تحت
قدميك فت تكون لك الحرية في الاختيار ، فمن راق لك أن تفترق به أصبح زوجك
حينما ترميم ، ماداً .. ما الذي أصابك حتى تهتفلي مني هكذا !!

ذلك لأنها تراجعت بعض خطوات وراحت تتظر اليه في رعب وفزع
أحابت صوت مرتجف ورأيتها تحت ضوء القمر وقد امتنع لونها وارتجفت وصالها:
ـ إنك تحيقنى .. هذه وعود مستحيلة لا يصدقها انسان ، إنك تتكلم كما لو كنت
أقوى من سائر البشر ، أنا لا أفهمك يا سيدي الأمير ، فأنت تختلف عن جميع من
صادفت من الرجال ، وهافت يهتف في أن أحذرك .. فلن أنت ؟ وما أنت ؟ ولماذا

تخدعني هذا الحديث العجيب ؟ أرجو المغفرة إذا رأيت مني ما يدل على الجحود ونكران المعروف . . هل هنا تتطلق من هذا السكان ، لقد طال اقراطنا وأناأشعر ببرد . .
وارجفت بعنف ، وتعاسكت بغير شجرة قرية لتفتح نفسها من السقوط .
أما رعائين فإنه خل متضاها كالمبار ، ولكنك كان ينظر إليها في حزن وأسى
مضت تقول في صوت سافت يدل على الحزن :

— تقول إني وحيدة ، وأني أعيش عيشة عزلة قامة ، وتصف الحب والزواج
بأنهما لسراة البرية التي لا تستطيع للرأة أن تنعم بها وتكون سعيدة . . وقد تكون
صبيةً فما تقول ، فالوقت لا يتسع للجدل في هذا الموضوع ، ولكنني أقول لك أن لي
صديقات كثيرات مزوجات لو خيرت بين حظن وحظهن لجنوت على ركبتي وشكرت الله
عز وجل على السعادة التي أنعم بها وأنا وحيدة ولا ينعم بها مئات من المزوجات . .

إني كنت أحلم بالحب ، ولن يؤثر على مسعادتي وأغتابطني ، إن أحلاي لم تتحقق ،
وإذا كان الله قد أراد لي أن أعيش منفردة وحيدة فاني أحق الرأس في خضوع
لارادته ، وأنا بعد است وحيدة بمعنى السكامة فالعمل خير زميل وعندي غير العمل ،
كتبي ، وأزهاري ، وطبوري ، أما أحلاي في الحب فأنا واثقة أنها ستحقق في أحد
الأيام ، وإن لم يكن على الأرض في السماء ، وفي مقدوري أن أستظر .

وعندما نطقت بالكلمات الأخيرة ، رفعت عينها إلى السماء ، وعندئذ رأيت على
وجهها تحت أشعة القمر علامات الثقة والحضور والطمأنينة وراحة الصدر .

وتقصد منها رعائين خطوة أو خطوتين ، وقال بصوت رنان خلو من الآسى :
— صدقت يا مافيز كلير ... صدقت إن في مقدوري أن تنتظري ، نعم .. إن في
مقدوري الانتظار .

فكري لحظة يا مافيز كلير ... وحدتني ... هل تذكرني ؟ وهل تذكرن وتنا
رأيت فيه وجهي ، ليس هنا ، بل هناك ، في السماء !
فكري .. فكري ... هل رأيت وجهي منذ زمن بعيد في أفق جميل مضيق
متراى الأطراف ، حين كنت أنت يا مافيز ملاكاً وكنت أنا غير من أنا الآن !

لماذا ترجعين ألسنت بمحاجة لأن تخافي لأنه لا توجد قوة تستطيع أن تحملني على
الاضرار بك . .

أعلم أنني أتكلم كلاماً غريباً في بعض الأحيان ، عند ما أفكر في أشياء مضت منذ
زمن بعيد ، وبعد جداً ، وأنا حين أفكر في هذه الأشياءأشعر بالأسف بحرق نفس
كأنه النار .

وإذن ليست للزوجة ، والفنود ، والحب ، وغيرها من المتع الدينية أى تأثير عليك
يا مافيز ؟ وأنت بعد ذلك امرأة .. في الحق أنت معجزة حية بين الآدميين ..
تعتقدين أنني لا أستطيع أن أفيك بثني ، فترفضي مساعدتي وخدماتي ؟
ما دام ذلك كذلك فساعدني أنت .

ووجنا على ركبتيه أمامها وتناول يدها وطبع عليها قبلة احترام واستطرد :
— إني أطالبك بشيء هو أن تصلي من أجلى ..

أنا أعلم أنك تصلين دائعاً ، فلن يزعجك أن تصلي شمنا من أجلى ..
أنت تعقددين أنت الله يسمع سلوانك ، وأنا كلاماً نظرت إلى وجهك اعتدت
ذلك أيضاً .

إن المرأة التقية الطاهرة هي وحدها التي تستطيع أن تبشر الإيمان في نفس الرجل ،
لاصل من أجلى أذن ، كما تصلين من أجل رجل هبط من سموه ، رجل يرث حنف
بمثل عقاب أبيه ، رجل يحاول الوصول إلى السماء ولكنه لا يستطيع ، لأن الإنسان
اللعون يختذله إلى جهنم .

صل من أجلى يا مافيز كلير .. عدبيك بأن تصلي من أجلى .. فإن صلاتك ترقعنى
خطوة إلى الحمد الذي فقدت .. وإلى الجنة التي منها انحدرت

أصفقتك إليه في دهشة وجمود .. أيمكن أن يكون هذا لوسيو ؟

أيمكن أن يكون صديق الساخر المازى ، الفليل إلا كتراث بالحياة هو نفس هذا
الرجل الذي يهبط من كبرياته ويشوّ كالآثم النائب ويُفرجهاته تحت قدمي امرأة !!
رأيت ما فيك تجذب يدها بالطبع من بين يديه .. وتنظر إليه في دهشة مقرفة
بالسيرة والفرع ..
تكلمت أخيراً هفالت بصوت رقيق منزحف :

— ما دامت هذه رغبتك .. فاني أعدك بأن أصرع إلى الله أن يزيل عنك هذا الحزن الغريب المثير الذي يعكر صفو حياتك ..

وهذا فاطعها بأن وتب واقفآ على قدميه وهتف : الحزن ١١ أيتها المرأة .. أيها المخلوقة الوهيبة .. أيها لللاك لا تقولي أن هناك حزناً واحداً يحطم كياني .. إن لي آلاف الأحزان .. بل ملايين الأحزان .. كلها تحيط بقلبي كأنها الشاعل وكلها مستقرة فيه استقرارها في مركز الخليقة ..

إن جرائم الرجال وقادوراتهم .. وقساوة النساء وخداعهن .. وعقوق الأبناء وجودهم .. وكفران البشر وأنانائهم واحتقارهم كل ما هو شريف وظاهر ونيل .. هذه كلها أحزان التي لا نهاية لها .. والتي تنتادي إلى الجحيم كل سلة من النار كما حاولت الخلاص والعودة إلى تعصي المفقود

هذه هي الأحزان التي تعدني عذاباً لا نهاية له .. ونشرى بثيران جهنم تصليق .. وتنشق عن المودة إلى كيان الحقيقة ، ومع ذلك فالله يعلم أنت لست أسوأ من كثيرين من البشر ، فأنا قد أغري على الشر ولكنني لا ألح في الاغراء ، وأنا أدل بعزم الناس على الطريق ولكنني أترك لهم حرية السير فيها ..

وهنا صرت لوميو لحظة ثم عاد يقول بصوت هادئ : يلوح لي أنك حاجة مني ، ولكن بيقي أنه لا يوجد بالنسبة إليك ما يبرر هذا الحدف ، فأنت صادقة طاهرة ، وأنا أبعد هاتين الصفتين .. وما دمت لا تريدين لصائحك ومساعدك فلنفترق الآية .. لكيلا نلتقي بعد الآية على الأرض ..

نعم لن نلتقي بعد الآية على الأرض بما فيه كلير ، ولن أذكر بعد الآية صفو جانك السعيدة الهادئة وأشهد السماء على ذلك ..

قالت ما فيه بلطف وهي تقترب منه وتضع يدها على كتفه في رفق : ولكن لماذا تتحدث عن نفسك فتنفسوا عليها هذه الفساد ؟ ! ولماذا تستند إلى نفسك آخر غيرك ؟ وما هذه السعادية العادمة التي تنشى عقلك ألا هي أنت رجل نبيل .. وانني أنسأت الظن بك فأغفر لى .. فقد كنت أرتاب فيك ..

فأجاب : إياك نحيين صنعاً بالارتياح في ..

قال ذلك ، ثم قبض على ساعديها بقوة ، وأرددف وهو ينظر إليها بعينين تتألقان كنجمتين : إن شعورك الغريزي بهديك إلى سوا السبيل .. وكم أتعنى أن يوجد في العالم كثرين مثلك يرتابون ويفرزعنون من ويتمردون على إرادتي !! ثم كلة أخرى : إذا فكرت في بعد ذهابي فاذكري فاني أحق بالشفقة والرحمة من العينين المفلوج والشقيق الذي يتضور جوعاً ويزحف على الأرض على أربع قدمان كل منها يرجو ويأمل .. أما أنا فلا أمل لي ولا رجاء ..

ومع صلات من أجل ، وأنا وافق أنك ستبررين بوعدك فصلـلي من أجل علائق لا يستطيع أن يسلـي من أجل نفسه ..

والآن وداعاً ، لن أراك في الحياة ، أما بعد الموت ، فاني لبـيت نداء الكثرين ومـمـ على فراش الموت ، ولكنـي لـأـقـفـ إـلـىـ جـابـ فـراـشـ سـاعـةـ موـتـكـ .. وـمـنـ المـخـطـلـ حـيـنـ تـمـ رـوـحـكـ بـيـنـ الـظـلـامـ وـالـتـورـ .. أـقـولـ مـنـ الـخـتـمـ وـقـدـ زـادـكـ أـنـ تـعـرـفـ مـنـ أـنـاـ وـعـدـتـ تـشـكـرـيـنـ اللـهـ بـأـنـقـاسـكـ الـأـخـيـرـةـ عـلـىـ أـنـاـ اـفـرـقـنـاـ الـآنـ إـلـىـ الـأـبـدـ .

وزـكـ ساعـديـهاـ ، فـرـاجـعـتـ إـلـىـ الـوـرـاـ ، وـهـيـ مـنـقـعـةـ الـلـوـرـ ، مـرـخـفـةـ الـأـوـسـالـ ..

ذلك لأنـ وجهـهـ اـكـتـسـبـ وـهـيـ يـقـولـ كـانـهـ الـأـخـيـرـةـ جـمـالـ عـجـيـاـ غـيرـ طـبـيعـيـ ..

وـتـعـدـ جـيـبـهـ وـابـعـتـ مـنـ عـيـنـهـ وـهـجـ غـرـبـ ، وـارـتـسـتـ عـلـىـ شـفـتـيـهـ اـبـسـامـةـ قـاسـيـةـ عـيـنةـ .

وـقـدـ شـعـرـتـ وـأـنـاـ فـيـ خـبـيـ خـلـوفـ وـقـزـعـ وـمـرـتـ فـيـ جـسـدـيـ قـشـرـةـ شـدـيدـةـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ دـفـءـ الـجـوـ ..

وـأـخـدـتـ مـاـفـيـزـ تـرـاجـعـ يـطـهـ وـخـوـلـ يـصـرـهـاـ إـلـيـ بـيـنـ الـفـيـنـيـةـ وـالـفـيـنـيـةـ ، وـتـنـظـرـ نـعـوهـ فـرـعـ وـخـوـفـ .. وـمـاـهـيـ إـلـاـ ثـوانـ حـتـىـ اـخـفـتـ بـيـنـ الـأـشـجـارـ .

وـوـقـتـ أـنـاـ مـرـدـدـاـ لـأـعـلـمـ مـاـذاـ أـقـلـ ، ثـمـ قـرـتـ فـيـ التـهـاـيـةـ أـنـ أـعـوـدـ إـلـىـ الـقـصـرـ دـونـ أـنـ يـرـأـيـ لـوـمـيـوـ .. يـدـ أـنـيـ لـمـ أـكـدـ أـخـطـوـ الـخـطـوـةـ الـأـوـلـىـ حـتـىـ سـعـتـ يـقـولـ مـوـجـهاـ

كـالـهـ إـلـىـ : مـلـاـذـاـ لـمـ تـخـرـجـ مـنـ عـيـنـكـ وـتـقـرـبـ لـيـتـسـيـ لـكـ شـهـودـ هـذـهـ قـطـعـةـ الـجـيـشـيـةـ ١٩ـ دـهـشـتـ وـاضـطـربـتـ ، وـعـلـكـتـيـ الـحـيـرـةـ ، وـخـرـجـتـ إـلـيـهـ مـنـ مـبـيـتـيـ وـأـنـاـ أـعـتـمـ عـلـىـ سـبـيلـ

الـاعـتـنـارـ أـلـفـاظـاـ غـيرـ مـفـهـومـةـ ..

قالـ وهوـ يـشـعـلـ لـقـافـةـ بـعـثـ وـيـتـظـرـ إـلـىـ فـهـدـ وـبـرـودـ عـيـنـاءـ تـبـرـقـانـ فـيـ سـخـرـيـةـ وـتـهـمـ :

والواقع أني أحب أن أصبح أى مخلوق آخر غير من أنا . أنظر إلى الأنوار التي تأتُّق
في قصرك يا جيوفرى . إن اللادى سيدل تنتظرك في غرفة الاستقبال . هاهى امرأة حسنة
لا تعيش إلا بك ولن يراك من رجل سعيد ! إن الإنسان لا يعلم إلا أن يحصدك
جيوفرى .

إن الحب حور السعادة ولا أعتقد أنه يوجد من يستطيع أن يعيش بغير الحب سوى
فقطي أستطيع أن أحب أحدا . — أني تستطيع إذا أردت .

— كلا . لا أستطيع . فاتالم آخلى للحب . ولعلك سمعتني أول شيئاً بهذا المعنى
لما فز كلير . إن فى مقدورى أن أجعل الناس يتحابون ، ولكن الحب فى هذا العالم -
بالنسبة إلى نى ، نانه سريع الروال .
هل بنا تدخل الفصر : إن ملائكت الحارس يربونك وينتظرون عودتك .

الفصل التاسع عشر — الصاعقة

في الليلة التالية بالذات بعد تلك الليلة التي شهدت فيها ذلك الموقف الغريب بين لوسيو
ومافيز كلير . اتفقت الصاعقة التي هدمت حياتى وسعادتى . وأطاحت بكل رامى . وهو مت
انقضت فجأة وغير انذار . وكان انقضاضها فى
وقت كانت أعتقد فيه أنى أسعد أهل الأرض طرأ .

ومن عجب أن سيدل استحالات فى اليوم الذى وقعت فيه الكارنة إلى علوقة على
حاجب عظيم من الدغة ودمانة الخلق . وقد زادها هذا التحول جلاً وسحرًا فكانت
كتلة من اللطف تتجلى الرقة في حركاتها وسكناتها وأحاديثها . وغيل للالسان أن شبابها
ذاتـا تلتـصـق بـجسمـها البـديـع بـداعـقـ منـ الجـاذـيـة إـلـى ذـلـكـ المـبـكـلـ السـاحـرـ .
وقد كان ذلك النهار من أمنع ما مر في حياتي فقضينا ثلاثة أيام — أنا وسيدل ولوسيو —
ساعاته الذهبية في أدغال ويلوزمير . وتناولنا طعام النساء في الخلاء . وشفت لوسيو أيام
ذلك أسماعنا بـصـورـه العـذـبـ السـاحـرـ . وفي السـاءـ رجـتناـ إـلـىـ الفـصـرـ حيثـ تـنـارـتـ اـطـامـ
الـشـاءـ معـاـ . ثمـ انـصـرـفـناـ للـنـومـ .

وكـتـ فيـ اللـيـلـةـ الـآـخـيـرـ أـنـامـ توـماـ عمـيـقاـ . فـنـيـ تـلـكـ اللـيـلـةـ اـسـتـغـرـقـتـ فـىـ النـومـ كـعـادـ

— إنك شهدت منظراً تحليلاً بدعاً ، ولملك تعرف نظريـقـ فيـ أنـ الرـجـالـ وـالـنـسـاءـ
جـمـيعـاـ عـكـسـ اـبـيـاعـ بـالـمـالـ ، وـقـدـ أـرـدـتـ أـنـ أـجـربـ مـاـفـيزـ كـلـيرـ فـرـفـضـتـ كـلـ مـاـعـرـضـهـ
عـلـيـهـ كـمـاـ قـدـ مـعـتـ وـلـاـ دـيـبـ ، وـأـخـبـرـاـ أـرـدـتـ تـسوـيـةـ الـمـوـقـفـ فـرـجـوـتـهاـ أـنـ تـبـتـلـ مـنـ أـجـلـيـ .
وـلـاـ شـكـ أـنـكـ تـعـرـفـ بـأـنـقـيـ أـجـدـتـ تـمـثـيلـ الـدـورـ ، أـلـيـسـ كـذـكـ ؟ إـنـ النـسـاءـ الـلـاـنـ يـعـشـنـ
فـجـوـ مـنـ الـخـيـالـ وـالـعـبـادـةـ يـسـرـهـنـ أـنـ يـجـدـنـ الرـجـلـ الـدـىـ يـسـأـلـنـ أـنـ يـتـهـلـ مـنـ أـجـلـهـ .

قلـتـ وـأـنـاـ لـأـنـاـ أـشـرـ بالـأـرـتـبـاـ لـأـنـهـ ضـبـطـنـ آـجـسـ عـلـيـهـ :

— وـلـكـنـ كـنـتـ جـادـاـ فـمـوـقـلـكـ .

فـأـجـابـ وـهـوـ يـأـبـاطـ سـاعـدـيـ بـلـطـفـ :

— وـلـمـ لـاـ ؟ لـقـدـ كـانـ هـنـاكـ مـنـ يـرـقـبـ مـوـقـعـ باـهـتـامـ .. نـمـ .. كـانـ هـنـاكـ نـاقـدانـ
يرـقـيانـ تـمـثـيلـ بـدـقـةـ ، سـلـاوـتـ أـنـ أـجـيدـ التـمـثـيلـ بـقـدرـ مـاـ أـسـطـبعـ .

قلـتـ فـحـيـرـةـ : نـاقـدانـ !!

— نـمـ .. أـنـتـ مـنـ نـاحـيـةـ وـالـلـادـىـ سـيـيلـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ ، غـيـرـ أـنـ اللـادـىـ نـهـضـتـ
قـبـ الـنـظـرـ الـخـاتـمـىـ كـعـادـةـ الـقـانـيـاتـ حـيـنـ يـشـمـدـنـ التـمـثـيلـ فـيـ دـارـ الـأـوـبـرـاـ .
وـضـحـكـ ضـحـكـةـ غـرـيـبةـ ، فـشـعـرـ بـالـتـلـقـ وـقـلـتـ : لـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ عـخـطاـنـ يـاـ لوـسـيـوـ .
أـنـاـ أـعـرـفـ بـأـنـقـيـ أـنـصـتـ ، أـمـاـ زـوـجـيـ فـلـاـ أـعـقـدـ أـنـهـ مـنـ الضـعـ وـالـفـضـولـ ..
وـهـنـاـ قـاطـعـيـ بـقـوـلـهـ : إـذـنـ لـاـ بـدـ أـنـ تـكـوـنـ إـحـدىـ غـائـيـاتـ الـفـاسـيـةـ قـبـ أـتـبـلـ تـهـادـيـ
بـيـنـ الـأـشـجـارـ فـيـ ثـيـابـهـ الـطـرـيرـ وـجـواـهـرـهـ النـادـرـ ..

ـ نـمـ أـرـدـ وـهـوـ يـضـحـكـ : لـاـ تـبـدـ هـكـنـاـ حـزـينـاـ حـائـرـاـ يـاـ جـيـوفـرـى~ .. أـنـاـ عـلـىـ الـعـيـوـمـ
قـدـ نـفـضـتـ يـدـىـ مـنـ مـاـفـيزـ كـلـيرـ كـاـنـتـ هـىـ يـدـهـاـ مـنـ .. إـنـيـ لـمـ أـكـنـ أـنـبـهـاـ غـرامـيـ ،
وـكـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـيـ أـرـدـتـ تـسـلـيـةـ ثـقـىـ وـاخـتـبـارـ أـخـلـقـهاـ . وـقـدـ وـجـدـتـ أـنـهاـ أـمـتـنـ خـلـقـاـ
مـاـ كـنـتـ أـظـنـ ..
ـ لـقـدـ اـتـهـتـ الـعـرـكـ ، وـهـىـ لـنـ تـقـفـ فـطـرـقـ وـلـنـ أـنـصـتـ بـدـورـىـ فـطـرـقـهاـ .

ـ أـقـولـ لـكـ الـحـقـ يـاـ لوـسـيـوـ إـنـ أـطـوـارـكـ زـدـادـ غـرـابـةـ بـوـماـ بـعـدـ بـوـمـ ..

ـ أـلـيـسـ كـذـكـ ؟ فـأـنـاـ فـيـ الـوـاـقـعـ عـلـقـ غـيـرـ عـيـبـ بـعـيـبـ ، فـأـنـاـ أـمـلـكـ ثـروـةـ طـائـلـةـ ،
وـلـكـنـ لـاـ أـهـمـ بـهـاـ ، وـلـىـ مـنـ القـوـةـ وـالـفـوـزـ الـكـثـيرـ ، وـلـكـنـ لـاـ أـسـتـمـرـقـوـفـ وـلـفـوـزـ

ثم استيقظت فجأة بعد بضع ساعات وكان من النادر أن أستيقظ ليلًا . وقد استيقظت في تلك الليلة لأن يدا حفنة أقظتني . جلست في فراشي . ورأيت على التور الصبي الذي يعنيه المخدع أن سبيل ليست إلى جانبي . عاص قلب بين جنبي ثم خفق بقوة واس تولى على شعور غامض بأنني على أبواب كثرة غير متطرفة .

أزاحت ستائر الحريرية المزركشة وأجلت البصر في أنحاء المخدع فلم أجد لسييل ثرا نهضت مسرعة . وأقيمت على كتفي معلقاً وسرت نحو الباب فألفيتها معلقاً ولقد لم يكن موصدًا بالفتحان كما تركته قبل النوم .

فتحت دون أن أحدث أية ضجة . وأرسلت بسرى في الرواق الكبير فلم أر أحداً . تسللت في ذلك الرواق حتى بلغت إلى سلم حاروني من الخشب يؤدي إلى الطابق الأول . فنظرت من فوق حاجز السلم . وأنا أسائل نفسي ترى أين ذهبت سبيل في هذا الوقت من الليل ؟ حبست أفلامي لحظة وما لبثت أن سمعت أصواتاً .

دق قلبي بعنف ، وشعرت كأنني أختنق . ولكن ضبطت نفسى وعيطت السلم في حفة الفهد . حتى وصلت إلى الدرجة الأخيرة وعندئذ رأيت مشهراً كاد يصفعنى . فاضطررت أن أستند إلى حاجز السلم . وأن أغض شفق بقوه لا كتم ميحة أوشك أن نفلت من فمي .

كان المسرح الذى وقع فيه ذلك المشهد عبارة عن غرفة واسعة تعد نوافذها وأبوابها بدعة من بدائع فن التجارة . وقد زينت تلك النوافذ بزجاج قديم يعين عليه صور بعض القديسين والشهداء بألوان طيبة جميلة .

فمن خلال هذا الزجاج رأيت زوجي جائسه على ركبتيها . وليس يحيط بمحسدها غير وشاح رقيق من الحرير يكشف عن جميع تفاصيلها عوضاً عن أن يستر بدتها الغضن . وقد عقدت يديها فوق صدرها في توسل وانسدل شعرها التين الجليل على كتفها .

ورأيت قامة لوسيو الطويلة للهيبة متنبضة أمام زوجي الجائسة .

حلقت نحو الاثنين بعينين ملتهتين . . . ترى ما معنى هبنا ؟ .. هل زوجي امرأة خاتمة غاية .. وهل صديق رجل أقيم خاتم ؟ .. قلت لنفسي :

— صبراً . صبراً . هذا مشهد غشلي ولا شك . كذلك المشهد الذى رأيته بين لوسيو وما فى كلير في الليلة السابقة .. صراً . ولنصل إلى هذه الليلة الجديدة ! ! ودفوت من الجدار حتى التصفت به . وحبست أنفاسى . وأخذت أنتظر ساعتين صوتها لأعرف ما يقولون كل ما أريد معرفته .

أ نظرت نحوها . ولم أتعالك على الرغم من ألمى وفراق إلا أن أشعر بالفزع والرهبة فقد رأيت وجه لوسيو متقلصاً بشكل عجيب محبس ورأيت في تعابرات حينه كل معانى الأذلاء والاحتقار وسائل نفسى ترى لماذا أخذ وجهاً هذا النظر الشيطانى المزعج ! ! وأخيراً تكلمت زوجي . . . قالت كل كلامها كلها . . . وسمعت كل ما قال . واحتتبت بسر عجيب فلم أستطع ميتاً منتأثير الصدمة المعاشرة التي حطمته عرضي وحياني قالت : إننى أحبك يا لوسيو . وهذا الحب يقتلني . فكن رحباً واحببني ساعة واحدة .. ساعة واحدة فقط . ثم افلتني بذلك ماتشام . عذبي .. ولو تمتعت أيام الناس كاً تزيد . والعى أيام النساء فكل ذلك لا بهمى . أنا لك جسم وروح . . . وإنما أحبك وأنت حياني .

كانت تتكلم في توسل كاً لو كانت تستطع معبوداً لها .

أصغيت وأنا صامت واجم . وقلت لنفسي : صراً . صراً . فهو هذه مهزلة لم تنته بعد » وانتظرت جواب لوسيو وأعصابي تكاد أن تمزق .

وأجاب وهو يضحك وفي صوته المادى ببرات التerrick والسوچية :

— إنك تسرقين في علني . ويؤسفني أني لا أستطيع أن أقابل بمحامتك بمثلها . وثبت قلبى بين ضلوعى من تأثير الفرح الوحشى الذى شعرت به عندما سمعت هذه الكلمات . وكدت على الرغم مني أن أضحك معه في تهمكم وازدراء . أماهى فانها تحملت على ركبتيها حتى اقتربت منه . ثم راحت تقول :

— لوسيو .. لوسيو .. أليس لك قلب يعطف ويرحم ! ! أصدقى بعد هذا التوسل وهذه القراءة ! ! وبعد أن أقدم لك نفسى وروحي وكل كياني لتفعل بها ما تريده وهل أنا مقيدة إلى نفسك بهذه الدرجة ! ! إن مثاث الرجال على استعداد لأن ينزلوا

حيثما لستك يسمعوا من شفتي بعض مالكت لك الآمن .. ولكن لا أعلم بيات الرحال.
لأنك وسلك سباق ودينبي .. وحور كيان .. أواد يلوسيو .. لا تصدقني .. لا تنسى
أني أحبك جيا ييك على كل متاحري تحول نحوها بعساوة أدهشتني وقال:
وقد طال منظره عند تكلم ، فقد تعمد جيبيه ولرمت عليه علامات التهديد
وأقفلت عيناه السوداء بين احتقار والازدراء .

قال وهو يدخل حديقة هادئاً سائراً :

— لا أستطيع ولا أحذر أفالادا امرأة .. وبسجع امرأة في حرج حادة فشلت
في احتقار الحيوان التي طلته يصلح أيضاً لها .

تحمذين عن الحب .. ثانية حبك .. وما معناه ؟
إن مناه الفضة لم يقيمه والغار لم يؤمن به .

ثم غادرن بحثات ، لأن المرأة تمسك في ذكرها صورة بدالة . ولكن المرة
الثالثة الكذب بذلك . فهي لا تذكر حقيقة نفسك . ولو فعلت لا يشكك هولا ،
ولذلك تمسك فقط بذلك العلاج العفن الجليل الذي يخنوى نفسك الخيشة . وهو
خلاف عرضة في كل وقت كالتمرق . والأخلاق . ومصدر . عهلاً أو آخلاً أن يعود إلى
الدرب ماده الأولى .

حملك . أنا لا أرى لك جمالاً . بل أراك على حقيقتك . أراك مقيدة ومتظلين
ذلك . وأنا أتفلك . وأسائل أنتك إلى الأبد . لأنك أساءت إلى . وأأسفت عني
تملاكي الأذواز التي أعمل .

فقدت منه ميبل وهى باسطة يديها . تزيد استسلامه . فنظر إليها في تسعة وصال
جمدة . — قوى مكانت وارهين كأترهين لأحدى المجرلات .

آواه . أيتها الأندلور القاسية قد كنت بالأمس معتقداً لأنني افترست من الحنة خطوة
أما اليوم فقد جاءت هذه المرأة تهاول اجتنابي تلك الجنم خطوات . وها هنا أسمع
أبواب الجنة تؤصد وتجبرى . في السعادة الشر . أفهم بربون أن تكون آمزان أيامية
قال ذلك ورفع عينيه إلى السماء . ووقفت صوته القمر على وجهه . فرأيت في عينيه
علامات الألم والعناب . . أدهشتني كلاته الأخيرة . ولم أفهم لها معنى .

ولابد أن تكون زوجي النافر قد استولت عليها العصمة والطيرة ولم تفهم معنى
أني أهلاً كذلك لأنها عننت .

شعرت نحو الرجل بالأكلار والأخلال . لأنه وجد الشجاعة على أن يصارح تلك
المخونة الدنسة برأيه ورأى كل إنسان كريم الملحق فيها . دون أن يتم وزايل ركزها في
المهنة الاجتماعية . ولا لاركزها كقصبة

هم . لكن صديقاً صدوقاً كرداً خاصاً لا يضره لي شيئاً من الحياة والغار . دعترت
نحوه باللها . وشعرت في الوقت نفسه وتحت تأثير الانفعال والألم برغبة شديدة في أن
أباك ، وأن أباك الآلام تسيل من عيني دموعاً حرقة

ونظرت إلى زوجي في دعهه وتساءلت ترى أين ذهب كبرؤها حتى تظل جائحة
ذلك تحت قدمي الذي صدقاها : واسمها من قارص الكلام ماسعت

هست وبردت محسانتها في القاعفة الفرجة كأنها فتح الأنف :

— نوسيو .. نوسيو .. قل مافتلةت . قل عن مافتلةت . نأت لاتقول في غير المسدق
أنا امرأة رديه سنا . ولكن ما الماءدة من الطيبة والنصيلة ! وما مائدة الإسلام
تكران الذات ! كلامك سمعت بعد وقت قصير أو طويلاً . ومع الورت يأي النسان
غلا . كرداً أبيب الناس البنا . فلماذا نتعجب فرصة تستطيع أن تستمع فيها بليدانة الحياة !

— أباك أنه ليس من العيب عليك أن تخدع على حبك سامة .. سامة واحدة
الآن .. فستتحقق أن تطر إلى .. وهل لا قيمة في تظرك كرجل لكنك هذا
الجلال الذي أهنتي .. اقتلي بالذللك المعاية الساحرة .. هنا لا يهمني أن أموت . بل
يسرق أن تزير يبطأ حياتي التي لا قيمة لها بدون حبك

ثم نهضت واقفة . ورفعت خصلات الشعر إلى الأسفل على جهتها اهريضة وقربت
من وجهها الجليل وحسدها الساهر ، وقالت له :

— انظر إلى ... إنك لا تستطيع ولا تخسر أن عقر جاكيجي لك
وسلام الصمت حلقة . وانظرت جواب نوسيو بفراغ صدر
— أعلم أنك غبيبي ..

ورأيت علامات الاحتقار والتهكم تختلق من حبته وعينه إلى عفته حين استطرد :

— نعم .. كنت دائماً أعلم أنك تحييني .. وأن روحك الخبيرة قد دانت لي بعد النظرة الأولى ، وأنت قد عرقت منذ البداية سيدك .. نعم .. سيدك .. وفينا بشدة على يديها المعدودتين اليه وأردف :

— أعرف حقيقتك الآن من شخص لا يخاف أن يصرحك بها .. أنت حقاً تحييني ، ويجده روحك رهن إرادتي ، وأنت قد تزوجت والكلذب على شفتيك ، وأقسمت بعمك بين الأخلاص لزوجك وأنت تشعرين له في قلبك الخيانة والغدر ، فأحالت بذلك بركة الزواج لعنة ، فليس عجيباً إذن أن تهبط عليك هذه اللعنة .

إن القبلة التي طبعتها على جبينك يوم زواجك أشعلت النار في دمك وأخضعتك إلى الأبد .. ولو أني طالتك أن تهرب إلى أحضان في الليلة الأولى لما ترددت .. يدك لا أحبك كما تحييني إذا جاز أن أسف الأم الذي علا نفسك حما .. نعم ، إنني لا أحبك ، بل أكرهك وأكره كل امرأة على شاكلتك ، لأنك من خسدن العالم ، وخلعن خيره شرا ، وخلعن الجريمة ، وبفضل أجساد كن الساحرة وعبونكن الكاذبة تحملن الرجال حتى وأنذا ووحوشا .. ومتى احترمك أنك ابنته من أجدادكن الأوائل الفتاكة .. خيانك لا فائدة منها ، وموتكن مجلة للسموم ، وأنا أعتقدك حبيبا .. إنني أقرأ خياباً نفسك كما أقرأ في كتاب مفتوح ، وأرى عليها تلك الوصمة التي تلوث أمثالك من الخاطئات اللائي يتمتنن في الحياة باللعم والسلالة السامية ، ولا يمكن لانسان أن يتسم من الفقر وال الحاجة الملحقة عنة يبرهن أن يعن الشيطان أجسامهن . وكف عن الكلام هناء ، واتي بحركة عنيفة كأنه يهم بأن يقذف بها بعيداً ، ولكنها ظلت مسكة به ، وهتفت :

— لوسيو .. لوسيو .. ماذا فعلت؟ أنا التي لا أريد إلا إرضائك ولا أطمع في غير حبك .. ماذا فعلت لتصب على جام غضبك؟ إنني ما تزوجت جيوفري إلا لأدفو منك . نعم تزوجت صديفك جيا بيك (يا للشفقة!!) ولأنني رأيت من جهله وأنانيته واعتداده بنفسه وبذاته ومن تفته العصباء بي وبك ، أنت أستطيع ولو لفترة صغيرة أن أحذو حذو غيري من النساء العصريات فاتخذتني من دون زوجي صاحبا ، وقد وقع اختياري عليك أنت يا لوسيو ، فإذا كنت تعيقني فإن هذا المقت لا يعنني من أن أحبك بكل قوائ وأحبك حتى الموت ..

فنظر إليها بحدة ، ثم سألاها : وبعد الموت ؟ أتحببوني بعد الموت ، حين تعلمين من أنا؟ أذهبتي لهذا السؤال الغريب ، أما سبيل فانها رفعت اليه ساعديها في ضراعة ، وخيل إلى أنها ترتجف بشدة من قلة رأسها إلى أحسن قدميها ..

قالت لها في دهشة وتساؤل : حين أعلم من أنت أأو لست أعلم ؟ أنت لوسيو .. لوسيو ويعاني .. الرجل الذي أحبه من دون الناس أجمعين .. الرجل الذي أحب في صوته آلام الموسيقى ، وأرى في عينيه السحر ، وأجد في نظراته جنتي ، — وجحيمك ..

وضحك ضحكة حادة ، واستطرد بلهجة الأمر : افترى .. فاقربت منه في الحال وهي تابيل وأشار باصبعه إلى الأرض وقال : — ما دمت تحييني .. فاركعي على الأرض واعبدني .. فركعت في الحال ، وعقدت يديها فوق صدرها .

وهنا ساولت أن آخرك .. وأنكلم .. ولكن قوة قاهرة عقلت لسان ، وجعلتني أجده في مكان ..

سقط ضوء القمر على وجهها الشاحب خالع عليه المزيد من الحال والسرور .. عصمت : إنني أؤمن بك وأعبدك .. وقاوتك لن تزيدني إلا حباً بك .. تستطيع أن تقتناني .. ولكنك لا تستطيع أن تتزعزع جب من قلبي إنني أقدم روحني عندي لكلمة كرامة منك ..

— أنا لن أندلك ، وإن أعدتك أو ألمتك ، وإن أحبك ، وكل ما في الأمر إنني سأدعوك زوجك .. وهذا تحركت في عيني .. وهممت بالسؤال .. ثم عدت قباليك نفسي .. وبقيت في مكان ..

آما هي فانهنت في الحال .. ولم يلح في عينيها بريق العيطة والتضليل وهرفت : — إنك لن تجسر .. لن تجسر على أن تفضحني بهذه الصفة !! فقال في احتقار :

— أفضحك ؟ هذه كلة جاءت بعد الأوان .. لأنك ففتحت ولوت نفسك ولكنها كانت قد ثارت .. واستيقظت في نفسها روح الوحشية والعناد ووقفت

أمامه وهي ترتجف كأنها حيوان جميل محرج وهتفت قائلة في غضب واقعها : إنك تصدق وتحتقرني ، وتهزأ بعنادك ويايسى ، ولكنك تستدفع عن ذلك كله .. إنني ضربتني فلست أقل عنك قوة وعززة .. ولن تجسر على احتقاري مرة أخرى لقد سألتني إن كنت أحبك من عرفت حقيقتك ؟ . وهو سؤال يدل على رغبتك المستمرة في أن تحيط شبك بالأسرار ، أما أنا فلا أعرف التكتم وأجهز بكل شيء إنني أحبك بكل قوتي .. وسأقتل نفسي وأقتلك حتى لأنصر بأني استحدثت حبك فاحترمك وصدقني .. آهسني جشك على غير استعداد ؟ كلا ..

وخلأة استلت من صدرها خبراً ذا قيمة مرسومة عرفت فيه في الحال إحدى الهدایا البدعة التي جاءتها بمناسبة زواجهما وصاحت : أمراًك أن تخبني .. وإلاتلت نفسى تحت قدميك ودعوت جيوفري وأفهمته إنك قتلتني ..

ورفت الخجر في يدها فهممت بالونوب ثم عدلت حين رأيت لوسيو يقبض على يدها بقوة وينزع الخجر من يدها ، ويعطمها بين أصابعه ، ويقذف بقطمه إلى الأرض قال : إنك خلقت للعمل على السرج يا ميرتن لأنك تصليحين لقيام بالأدوار الأولى على أحد المسارح الكبيرة وفي مقدورك أن تجتذب النظارة ، وأن تخترى لنفسك عشرات العشاق .. ذلك هو المستقبل العظيم الذي خلقت له .. والذى يؤهل لك جمالك وخبيثك وغرائزك ..

وكان أثناء زراعه معها على الخجر قد دفع بها بعيداً عنه فوقفت لحظة تستمع إلى كلامه ، ثم عادت فاقتربت منه بلطف ورشاقة وقالت : يا لوسيو ريمانز .. إنني احتملت منك الاتهام عن رضي كأني راسية عن الموت بين يديك .. لاishi .. إلا أني أحبك وأنت تكرهنى كما تقول .. وتلعنى ولكن لا أزال أحبك .. وليس في مقدورك أن تعلمنى شيئاً لك .. و تستطيع أن تخترى أحد أمويين : إما أن تخبني وإما أن تموت سأترك لك فرصة للتفكير .. نعم سأتركك الليلة .. وأسمح لك بالتفكير طول يوم غد تكون صاحبى ، وأوّل كدلك أني أستطيع القيام بهزة الحياة الاجتماعية باتفاقى كغيرى من النساء فلا أدع زوجى يعلم شيئاً

إما إذا صدقتى غداً كما صدقتى الليلة ، فإني لن أتردد في الاتجار .. أنا لا أقوم

الآن بتمثيل دور .. ولكنى أتكلم فى هدوء ، وطمأنينـة وأعرف معنى ما أقول وأنا مصممة على إنفاذ ما اعترضت ..

قال لوسيو يبرود :
— أقولين حقاً ؟ إذن دعوى أهنتك . فإن القليلات جداً من النساء يجدن الشجاعة على الاتجار من أجل الحب . ولكنهما مضت دون أن تعاً بكلامه :
— سأضع حداً لحياتي لأنى لا أستطيع أن أعيش بغير حبك .

ثم أردفت فى استعطاف وضراعة :
— إن عطشى إلى قباتك .. فهل فكرت يوماً فى تأثيرك وقوتك وهلا علت أن لنظراتك وكلماتك وابتساماتك تأثير السحر !! وإنك خلقت لتكون ملاكاً لإنساناً وشجعها صحته فقالت : لوسيو .. قابلنى غداً على مقرية من حيث مافيز كلير .. وهذا رفع لوسيو رأسه فجأة ولكنه ظل صامتاً :

قالت وهي تقرب منه : إنني سمعت مادار يبنك وبينها من الحديث ليلة أمس فقد خلقت وخشيت أن تكون مولاماً بها . ولكنى كنت محظة لحسن الحظ . ولم أكن قد شكرت الله قبل الآن على شيء ، فشكّرته أمس لأنى كنت محظة فما توّهت أنه تحقيق إن مافيز كلير لم يخلق لك . أما أنا فقد خلقت لك . قابلنى غداً على مقرية من بيته . حيث الزهور البرية تنمو في سلام ودعة . انتطف أحدى هذه الزهور فأفهم إذا وأيتها في يدك أنى سأزورك في النساء فأنا منك الحب لا الصد ..

أواه يا لوسيو . عدنى أن تقطف أحدى الزهور فتسكون رمزاً للحب ولو ساعة واحدة .. أموت يدها . ساعة واحدة في حبك هي كل ما أطلب في هذه الحياة . وأنت بحركة فجائية سريعة . رأيت بعدها أنها أفلتت بين يديها فوق صدره . وأحاطت عنقه بساعديها . وراحـت تطلـ في عينـه السـاحـرـين وصـدـورـها يـرـتفـعـ ويـهـبـطـ بـقـوـةـ . على الدـمـ في عـرـوـقـ ، وغـشـيـتـ بـصـرـىـ سـاحـبـةـ حـرـاءـ حـبـيـتـ عنـ عـيـنـيـ دـلـكـ النـظرـ الخـيـتـ . تسـاءـلـتـ : هل يـسـتـسـلمـ لوـسـيـوـ ؟

كـلاـ .. فـلـيـسـ هوـ بـالـرـجـلـ الـذـيـ تـغـرـيـهـ اـمـرـأـ .. خـلـصـ نـفـسـهـ بـنـفـوـ ، وـأـبـعـدـهـ عـنـهـ وـقـالـ لـهـ بـصـوـتـ أـبـجـشـ :
— أـيـهـاـ الـمـرـأـ .. أـيـهـاـ الـمـرـأـ السـكـاـذـيـةـ المـلـعـونـةـ .. إـنـكـ لـاـ تـعـرـفـينـ مـاـ تـنـطـلـيـنـ ..

إن ما تتوفين إليه في الحياة سيكون لك بعد الموت .. فككون على حذر ..
زهرة من شجرة على مقربة من بيت مانيز كلير .. كزهرة من شجرة في جنة
عدن .. كلتاها لم تخلق لي .. أو لك .. وليس لن كان مثلى أو مثلك أن يتمتع بالحب
والسعادة .. فاذهبي عنى ، قبل أن تطفح كأس البغضاء التي أشعر بها نحوك .. اذهبي إلى
الصبر الذي سجلته لنفسك يدك في لوح القدر ، فلن تستطع قوة أن تردهك عن هنا
الضير .. أما أنا الذي تحبين .. أنا الذي سجدت أمامك وعبدتني من دون الله ...
وضحك ضحكة وحشية وأردف : أما أنا فأنا قابل لك عما قررت .. فسرا ..

لم أستطع احتفال أكثر مما احتملت ، فوثبت من مخثى ، ودفعت زوجي بقوه قبل
أن ترتحى على عنقه مرة أخرى ..
ووقفت بيها وبينه ، وقلت وأنا أضحك ضحكة وحشية : دعني أحبك يا صديق
لوسيو من الخلاح هذه الأئمة العادرة .. لقد كنت أحسبها زوجي قبل ساعة ، أما الآن
فلا أرى فيها إلا امرأة ساقطة ببحث نفسها كل يوم عن سيد جديد ..

الفصل المشرون — بعد العاصفة

وقفنا لحظة نظر إلى بعضنا البعض ..
كنت أهث بعنف ويكاد العروض يذهب بعنفي ..
أما لوسيو فكان هادئاً تبدو على وجهه علامات الاختيار والازدراء التي امتازت بهـا
ملائحة طيبة حديثه مع زوجي ..
وأما زوجي فاتها ترددت في مكانها ونمايلت . ودخل إلى أنها ستبالك على الأرض
خوفاً وفرعاً ..

هجمت عليها بعنف وأمسكت ساعدتها وهزتها بعنف وأنا أصبح :
— لقد سمعتك . ورأيتكم وشهدتكم ترکعين أمام صديق الخلص الکريم وتبذلين
ما تستطعهـين من جهد لتهبـي بهـي معـك إلى هـوة الإثم والرذيلة ..
نعم .. سمعـتك ورأـيتـك وشهـدتـك أنا زوجـك الأـحقـ الأـعمـىـ الذي حـاولـتـ الحصولـ
علىـ تقـهـ وخـيانـتـهـ . أنا زوجـكـ الشـقـ الذيـ تـكـبـتـهـ ثـرـونـهـ الشـخـمـةـ بـامـرأـةـ غـادرـةـ متـلكـ ..

سمـنكـ تـكـاجـبـ عنـ الحـبـ !! إـنـكـ تـلوـنـنـ اـسـمـ هـذـهـ الـعـاطـفـةـ الـكـرـبـةـ
يـإـلـهـيـ .. مـنـ آـيـةـ طـلـيـةـ خـلـقـتـنـ آـيـةـ النـسـاءـ !! إـنـكـ تـلـقـيـنـ آـنـفـسـكـنـ فيـ أحـسـانـاـ ، وـتـطـلـنـ
حـمـاـيـتـاـ وـرـعـاـيـتـاـ . وـاحـتـرـامـاـ . وـتـرـنـ مـشـاعـرـاـ . وـتـعـصـمـنـ قـلـوبـنـاـ .. ثـمـ تـجـمـلـنـ مـنـ جـمـيـعـاـ
عـهـرـ الرـجـلـ حـقـيـقـيـ وـمـغـافـلـيـنـ . تـجـمـلـنـ دـوـسـ ضـمـارـنـاـ وـعـقـانـدـنـاـ . وـتـنـتـرـ الشـفـقـةـ مـنـ فـارـسـاـ
أـرـضاـ لـكـ

أـمـاـ الـدـىـ أـحـبـتـكـ . وـكـنـتـ لـأـزـالـ أـحـبـكـ عـلـىـ الرـعـمـ مـاـ تـبـيـنـ لـيـ مـنـ أـمـرـكـ بـعـدـ الزـوـاجـ
أـمـاـ الـدـىـ كـنـتـ عـلـىـ اـسـعـدـادـ لـأـنـ أـبـذـلـ حـيـاتـيـ لـأـدـفعـ عـنـكـ الـرـبـ ١١ـ كـرـونـ أـمـاـ الشـخـصـ
الـذـيـ يـقـعـ عـلـيـ اـخـتـارـكـ دـوـنـ النـاسـ جـمـيـعـاـ لـكـ نـعـطـيـهـ بـخـيـاتـكـ وـغـدـرـكـ
وـتـرـكـتـها .. فـاستـعـادـتـ سـلـطـانـهـاـ عـلـىـ نـفـسـهـاـ بـعـدـ لـأـيـ . وـنـظـرـتـ إـلـىـ يـرـودـ . ثـمـ قـالـتـ :

— مـاـذاـ أـقـرـتـ بـيـ ؟ إـرـضاـ لـيـ أـوـ إـرـضاـ لـنـفـسـكـ ؟

صـمـتـ ، لـأـنـ العـذـقـ خـنـقـيـ فـلـمـ أـسـتـطـعـ الـكـلـامـ . وـكـلـ مـاـفـعـلـهـ أـنـيـ قـبـضـ عـلـىـ يـدـ لوـسـيـوـ
فـشـدـ عـلـىـ أـصـابـعـ بـعـطـفـ .. وـلـكـنـيـ لـاحـظـتـ أـنـهـ يـسـمـ وـهـ يـفـعـلـ ذـلـكـ
وـمـضـتـ سـيـرـلـ قـوـلـ :

— هلـ أـقـرـتـ بـيـ لـأـنـكـ تـحـبـيـ جـاـنـالـاـ وـتـسـمـيـ لـاسـمـاـيـ ؟ أـوـ لـأـنـكـ أـرـدـتـ أـنـ
تـنـصـلـ فـيـ الـفـيـةـ الـاجـتـمـاعـيـ إـلـىـ الـرـكـرـ الـذـيـ لاـ يـرـفـعـكـ إـلـىـ إـلـاـ اـقـرـانـكـ بـاـيـةـ أـحـدـ الـوـرـدـاتـ ..
إـنـ عـمـلـكـ مـاـ يـكـنـ خـالـيـاـ مـنـ الـأـنـابـيـةـ .. وـقـدـ وـقـعـ عـلـىـ اـخـتـارـكـ لـأـنـيـ أـحـدـ الـغـانـيـاتـ
الـلـاـنـيـ تـحـولـ الـبـيـنـ الـأـنـظـارـ فـيـ كـلـ جـمـعـ يـغـشـيـهـ وـلـأـنـكـ أـرـدـتـ أـنـ تـحـبـ لـنـفـسـكـ
مـكـانـةـ بـالـأـقـرـانـ فـيـ
لـقـدـ صـارـحـتـ بـحـقـيـقـهـ أـمـرـيـ قـبـلـ الزـوـاجـ فـلـمـ تـرـدـكـ صـرـاحـتـ إـلـاـ غـرـورـاـ وـأـنـابـيـةـ ..
صـارـحـتـ بـأـنـيـ لـأـحـبـكـ وـلـاـ أـسـتـطـعـ أـنـ أـحـبـكـ ..

نـقـولـ إـنـكـ سـمـعـتـ كـلـ مـاـدـارـ مـنـ الـحـدـيـثـ بـيـ وـبـيـ وـبـيـ لوـسـيـوـ وـمـعـيـ ذـلـكـ إـنـكـ عـلـمـتـ
مـاـذاـ أـقـرـتـ بـكـ . كـمـ عـلـمـتـ بـأـنـيـ أـحـبـ لوـسـيـوـ . وـأـنـاـلـازـلـتـ أـجـهـرـ بـأـنـيـ أـحـبـهـ . وـلـسـتـ
أـجـدـ غـضـاضـةـ فـيـ أـنـ أـكـرـ أـمـامـكـ أـنـيـ أـحـبـهـ . أـمـاـ هـوـ فـلـاـ يـحـبـ .. وـلـاـ يـسـطـعـ أـنـ يـحـبـ
وـمـنـ أـجـلـ ذـلـكـ كـانـ يـسـنـ الـنـظـرـ الـذـيـ شـهـدـتـهـ

فالأمر واضح جلي كاترى ولست بحاجة إلى الأدلة، شرح أو تعليل وأعتقد أنك لا تستطيع أن تطقني . ولكن إذا استطعت فلن أدفع عن نفسى ونحوت لتصرف . أما أنا فوقت مشدوها لأجد مالود به وفاخرها وتكلم لوسيو فوقت في مكتها :

قال بلهف وعلى شفتيه ابتسامة غريبة . هي مزير من الحزن والتشمك :

— هذا في الحق موقف حزن مؤلم . ولكن أحتاج بشدة على فسورة الطلاق ليس خطلا لسمعة الراى سبيل فقط . وإنما حرام على سمعي كذلك . فأنا برأى من الموضوع ولا ذنب لي على الإطلاق . فهنت وأنا أشد على يده سرة أخرى :

— رىءا ! إنك النبل عجماء ، بل إنك الأخلاص بكل معانىه ، وأناأشكر لك شجاعتك ، وأماتتك ونبيل موقعك ، فقد صمت كل ما قلت وأعتقد أنه لم يكن في مقدورك أن تقول أكثر ولا أقسى مما قلت لفهم هذه المرأة معنى الكرامة والشرف ، وتفهم اعوجاجها وميلها الغريزى إلى الدنس واللام و الخيانة ولو لم تسكن ... ففاطئني بأن قال في لطف :

— عفوا .. إنك لا تستطيع أن تصف الراى سبيل بالحياة يا جيوفري .. إنها تعانى .. دعنى نسمى مرضاها « ثورة أعصاب » وهي بدافع من هنا الرحمن قد ارتكبت جريمة الحياة في ذهنها وخالها ، وهذا ما لا يعلم عنه المجتمع شيئاً ولستها في الواقع بريبة ظاهرة كالزهرة ... وعجب ألا يعلم عنها المجتمع إلا أنها كذلك . ولدت عيناه وهو يقول ذلك . أجبته بصوت أحش :

— إنك تشاركتي في أكثر آرائى باللوسيو ، ولعلك تشعر مني الآن بأن وجود فكرة الخيانة لا يقل هولا وشناعة عن الاندماج على الحياة ذاتها ، ولعلك مثل لا تستطيع أن تلمس مبررا لهذه الشناعة ولا لهذا الجحود والسكنان . ونحوت إلى سبيل وأردفت بخشونة :

— لم أتقى عائلتك من أبناء الدين والغاقة ؟ وهل لم أذلك كل ما اشتته نفسك ؟ ألم أحملك بالمجوهرات والأحجار الكريمة ، وأغدق عليك من النعم ما لا تستحق به عادة غير الملكات ! وهل يستوجب منك ذلك وحده شيئاً من الشرك وعراهان الجمل ؟

— فاجابت بحربأة : كلا .. لقد أعطيتكم ما دفعت منه ، وأعن بـ جمالى ومركزى فى الهيئة الاجتماعية ، وهى صفة عادلة ليس فيها غبن على أحدنا ..
فصحت : إنها صفة فاضحة .

— دعا ، ولكنك قلتها ، بل أنت الذى سعيت إليها ، يسد أنك تستطيع أن تغض منها يدك حينما تزيد ..

ثم اقتربت من لوسيو وبسطت إليه ساعديها كأنما تضمه إلى صدرها ، وقالت له وفى عينيها من الضراعة والاستعطاف ما يجعل السم يغلى في عروقى .

— لوسيو .. أبها العزيز .. طلب مسألك ووداعا ..
فوثبت في الحال ووقفت بيدهما وأنا أسيح في وجهها :

— أتعقلين هنا أمماي أبها الرأة الفادرة ؟ ألا تعرفين للخجل معنى ؟
فاجابت وهي تبسم : كلا .. أنا لا أخجل من حبي لهذا الملائكة الكريم ... أنظر

إليه .. ثم أنظر إلى نفسك في أقرب مرآة فترى أى رجل أنت بالنسبة إليه .. بالله كيف تصور لك أنايتهاك أن هناك امرأة تستطيع أن تحبك اذا كان هو قريباً منها .

تح عن طريق .. ولا تحجب الضوء الذى يشعه على معبودى ..
وألفت على لوسيو نظرة أخيرة وقالت : وداعا .

ثم جمعت أطراف ثوبها حول جسمها البدين واختفت .. وتركستى مع صديق وجهها لوجه ..

نظرت إليه وخيل إلى أننى أرى في عينيه معنى بلغا من معنى الشفقة والاعطف ..
وهذا شعرت فجأة كأن يدا حقيقة تقبيض على عنقى ، ومحنت ما يشبه نصف الوعد ، فاختفت في مكانى ، وهنتت بصوت عشقى :

— لوسيو .. لوسيو .. باصدقى إننى أموت ، لقد تحطم قلبي .
وغضبت عيني سحابة سوا كثيفة ، وسقطت فاقد الرشد .

و عند ما فتحت عيني ، وجدت نفسى ممدداً في فرانى وبالقرب منى صديق ريكاردو .
قدم إلى كأساً بها شراب أبيض وقال : هذا شراب يفيك وقتاً . لأنك غدر ويشل

جواهر الذاكرة مؤقتاً ، وأنت الآن بحاجة إلى النسيان وعدم التفكير .

الذى أوقفته عليك يوم زواجه سوف يكمل من الاحتياط بكتاتك بين فريلانك والظهور بالظهور الذى تعتقدين أنه من حقك بحكم مركزك الاستقرارى ..

« لقد قررت أيام برحالة طويلة ، وفى نوى أن أخمد من الاجراءات ما يجعل لقائنا فى مستقبل الأيام مستحلا ، وأبدل من ناحيتك كل ما أستطيع من جهد لاتفاق انحراف فضيحة تحمل عرضي مضغة في الأفواه ..

« إن من العيب أن أعتبر عليك سلوكك الشائن فانك قد تذكرت لك الشاعر الكوريه النبيلة ، وبلغ من ضعة نفسك أنك استسلمت إلى غرامات الأنبياء فغفرت جهتك حتى فدمى وجمل يختقر ، وجل دفعه إخلاصه ونباه إلى مقتلك واحتقار خيانتك ورياثك ، وأنا لا أجد في مقدوري أن أغفو عنك بعد الذي جرورته على من العار ، فأنا أتركك لضميرك إن كان لك ضمير وهو ما أرتاب فيه ، لأن ميلاتك من النساء قل أن ينتهي بالندم ووخر الضمير ..

« وأكبر اللعن أنك لا ترين وجهي بعد الآن ، ولا وجه الرجل الذى زهد في حبك . فأسلكي في حياتك الطريق الذى تخذلها فأنت لن أبداً بحر كاتك وسكناتك . وأسائل جهد طاتقى أن أفترض أنك لست على قيد الحياة »

زوجك جيوفري ثعبت

وغلفت الرسالة وختمتها . وبعثت بها إلى زوجي مع وصيتها وقد عادت إلى الوصيفة بعد دقائق . وأثنائي بأنها سلمت الرسالة إلى زوجي . وأن زوجي لم تكتب ردا . لأنها مصابة بصداع . وستانز غرفتها بقية التمار وقد قلت للخدم إننى وصديق قد دعينا فجأة إلى لندن لعمل هام وأنا قد ثقيب يومين أو أكثر . وأوصيتها أن يعنوا برسائلى ويرقى بي إلى منتدى (آرثر)

وقد شعرت كأن عبئاً قبلاً أزوج عن صدرى عندما غادرت ويلوزمير وأخذت أراج القصر توارى بالتدريج وراء الأشجار

تناولنا طعام الغداء في منتدى آرثر ...

واقترح على لوسيو أنباء الطعام أن أتوم برحالة طويلة في البحر الأبيض المتوسط في غته المعلم الماس لسلوة والنسيان

وكلت ذاهب الب قلم أفهم من كلامه شيئاً ، ولكنني تجرعت السكأن غير تردد وقد راقبي وأنا أفعل ذلك ، ثم تقدم إلى الباب وفتحه وقال :

— والآن نم في الغرفة المعاورة ، وأنا أؤكّد لك أنك سنتربع من الأحلام والذكريات وتستغرق في النسيان واللاشببية حتى الصباح وهي فترة وجبرة ... ولكن كل الإنسان يستذهبها ويتنمي منها حتى ولو كان من أصحاب الملابس .

وصدحت إلى شققها مرة أخرى تلك الابتسامة الساخرة التي طالما أزعجتني ، فرفقت عيني لأنظر اليه عائباً ، ولكنني رأيت في عينيه نظرة هادئة لطيفة أدركت منها مبلغ اشفاقه على مصاري . رغم ميله إلى التهكم والسخرية .. شددت على يده بحرارة وانطلقت إلى الغرفة المعاورة . وتعددت على فراش فيها . وهناك استغرقت في نوم عميق .

واستيقظت في صباح اليوم التالي ... وتراحت في ذهني مع الفكرة جميع الذكريات الزيزية .

تذكرت حوادث الليلة الفارطة جميعاً ولكن لم أجده في نفسي ميلاً إلى المزن والأسف ...

كانت عواطف باردة جامدة ، وكانت أبعد ما تكون من الغضب والقنوط ، فقد حل محل الغضب واليأس عزمه قوية وعصيم على إلا أرى سبيل مرة أخرى ، ولأنه أنظر بعد حوادث تلك الليلة إلى وجهها الجميل الذي يعطيه غشاء من الكذب والخدعه والربا ، حتى يُؤثر منظرها على فاختذنها الشفقة ، واغفر لها ما اجرمت ، وأáfفع عن خططيتها ..

قادرت الترفة التي قضيت فيها بقية تلك الليلة وذهبت إلى مكتبي وهناك كتبت إلى سبيل الرسالة التالية :

« سبييل ...

« أعتقد بعد النظر الفاضح الذى شهدته ليلة أمس ، أن كل تمام بين وبينك أصبح مستحلا ، وعليه فأأرحل مع صديق البرنس ريانز إلى لندن ولن أعود أبداً ، أما أنت فتستطيعين الإقامة في ويلوزمير ما شئت ، فالقصر قصرك ، ونصف ثروتي

وعلى ذلك نهنئ لوسيرو وأشجع ناحية ليكتب بعض الرسائل استعداداً للرحلة وجلست أنا أطالع إحدى الصحف ولا أكاد أجده فيها ما يلفت النظر . فإن الزاحفة في ميدان المعاشرة في هذه الأيام جعلت الإنسان يستطيع الاكتفاء بجريدة واحدة ولأنه مانشره إحدى الصحف تنشره في الوقت نفسه جميع الصحف وإنني أفكّر في هذا إذا بحاجة يتقدم إلى برقة ..

سألني : هل أنت مستقرٌ تحيطت ؟

— نعم .. واحتضرت منه البرقية وفضضتها في الحال .. وقرأت فيها هذه السكلات غير المفهومة :

« عد في الحال . وقع حادث عجيف ، لأنني لا أستطيع العمل بدونك »

ما فيك كيلر

مررت بمحاري قشريرة عجيبة . وسقطت البرقية من يدي على اللائدة ولاحظ لوسيرو كل ذلك فخف إلى . وتداول البرقية . وقرأها ، ثم قال :

— طبعاً يجب أن تذهب . وفي مقدورك السفر بقطار الساعة الثانية
فأسأله وقد جف ريق جي كدت أتعذر عن الكلام :

— وأنت ؟ فأجاب :

— أنا إنني سأذهب إلى الفندق الكبير وأمكث في انتظار أبياثك ، ولا شك أنك ستبدو إلى إفادتك بالواقع . وفي اعتقادي أن ما فيك كيلر لم تكن تبعث اليك شيئاً بهذه البرقية الفاضحة هالما يمكن هناك ما يستوجب ذلك فسألته : ماذا تظن قد وقع ؟ وماذا تفترض أن ..

قطاعفي بعده :

— أنا لا أظن شيئاً ولا أفترض شيئاً . ولكنني ألح عليك في السفر حالاً

قال ذلك . وتبغض على ساعدي ، وذهب إلى صالون المتدبر قارئ تذكرة معطلي وقعقى . وودعته في الحال وانطلقت بسرعة . وأناأشعر بخوف عجيب يقبض قلبي ركبت سيارة انطلقت إلى المحطة . وكانت خلال الطريق أسائل نفسى : ترى ماذا حدث ؟ وما الذي دفع ما فيك كيلر إلى ارسال هذه البرقية ؟

وغير هذا وذاك من الأمثلة .. ولتكن كنت في الوقت نفسه أخشى اقتراح أي جواب

ووصلت إلى ويوزمير فاستأجرت مركبة انطلقت بين الحقول ، ولم أسمع في الطريق غير حفيظ الريح بين خصون الأشجار أشيء ما يكون بابين روح حارة معدنة وكان النخلام قد هبط فلم أر في السماء بجواحداً يضيئ الظللة الدامسة وما كانت المركبة تصل إلى باب القصر حتى رأيت شبحاً خيلاً ضئيلاً في انتظاري وما لبست أن تبيّن وجه ما فيك كيلر الملائكي . فإذا به يمتنع بنم عن اتفعال شديد هتفت بصوت مرتجف عندما وقع بصرها على :

— شكر الله ، هذا أنت أخيراً ..

الفصل السادس والعشرون — تكابر

شدّدت على يدها بحرارة ، وسألتها عما حدث وأنا أدخل القمر سرعاً . ثم ما لبست أن رأيت نفسى في حالة القمر بين جميع الخدم الذين داروا حولي في الحال .. وراحوا يتمتمون وعلي وجوهم علامات الرعب والفزع بكلمات فهمت منها أنهم خائفون ، وأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون .

أومأت اليهم أن يبتعدوا نعم سألت ما فيك مرة أخرى :

— ماذا حدث ؟ آخر بي بسرعة ، بسرعة وبالاختصار .

فأحاثت في الحال : نحن نخشى أن يكون قد نزل باللادي سبيل مصاب فإن الجناح الذى تقيم فيه مغلق ، وقد حاولنا عيناً ندعوها أو نجعلها تسمعنا . وكانت وصيقتها أول من تنبه لذلك ففرزت إلى منزلى على اعتبار أننى صديقة العالة . وسألتني عما يجب عمله ، فجئت بها في الحال وقررت بباب مخدع سبيل وناديتها . ولكن بغير جدوى . وأنت تعلم أن توافق الطابق الثاني مرتفعة . ولا يوجد هنا سبل يمكن تسلقه للوصول إلى هذه التواؤذ ورثة ما بداخل الجناح الذى تقيم به سبيل .

وقد طلبت إلى الخدم أن يحطموا باب الجناح بالقرفة . ولكنهم رفضوا . وخافوا . ولم أستطع من ناحيتي أن أقدم على أي حمل على مستوى قي ولهذا أبرقت لك لك ...

تركتها قبل أن تم لامها . ووَقْتَتْ إلى الطابق الأول . وانتهت إلى باب المخاج
الخاص بزوجي . ووقفت هناك وأنا ألهت وصحت : سبييل ..
لم أسمع جواباً ..

وكانت مأذن قد تبعتي فوقت بجانبي وهي ترتجف من قمة رأسها إلى آخر قدميها
وتبعنا كذلك بعض الخدم . فراحوا ينسكعون فوق السلم في فرع وينتصتون في قلق
هفت مرّة أخرى ؟ سبييل ..
وأيضاً لم أسمع غير الصمت والسكون .

نحوت إلى الخدم الذين وقفوا ينتظرون على وجوههم علامات القلق والفرج .
وقلت وأنا أصنع المدحوه : ربِّاً مِنْ تَكُنَ اللادِي سبييل في مخدعها على الاطلاق . ومن
المحتمل أن تكون قد خرجت دون أن يراها أحد .

ثم إن لهذا الباب قفلان ميكانيكيان يعلق من تقاء نفسه . ولا يبعد أن تكون لفتحة
من الماء أو صدت الباب بعد خروج اللادِي ..

فهما يكن من أمر في الامكان خططيم الباب .
هاتوا مطرقة . أو أي شيء يصلح لخططيمه ..
لقد كان يحسن بهم أن تطعوا الآنسة مأذن كل هدا القلق

وانطلق الخدم في الحال للبحث عن الأدوات اللازمة ... ووقفت إلى جانب الباب
وأنا أتظاهر بالهدوء ...

وما هي إلا دقائق حتى أقبل الخدم . وأخذ صوت سقوط المطرقة على الباب
الصنوع من خشب السنديان الپدریج يدوى في أنحاء القصر ..
ويهد عمل شاق استمر عشر دقائق .. انهار الباب فوثبت فوق حطامه وانطلقت
إلى المخدع وأنا أصبح : سبييل ... سبييل .

ثم وقت وأصخت السمع وأنا ألهت .
لم يتبعني أحد ... ولا شئ أثر شعوراً بالخوف أو ما يشابهه أمسك الخدم
فحملوا في أماكنهم . كما جددت مأذنهم .

ووجدتني وحيداً . محرومًا بالظلم الدامس . أخذت أتحسن موضع زر الكهرباء على
المدار . وقلبي يخفق بين مثالي وشدة .

لم أستطع العثور على الزر . واصطدمت أمامي بأشياء كثيرة عرقها لاساعق
ب مجرد المعن ..

فهذه آية من الحرف بدعة الصنع تلقتها سبييل من إحدى الدوقيات هدية بمناسبة
زواجها .. وهذه آية أخرى من النحاس هي آية من آيات الزخرفة والحرف .

وما زلت أتمس طريق . إلى أن ألقت عيني الظلام . وعندئذ دب الدعر في قلبي
إذ رأيت أو شبه لي أنهى أرى هيكلًا طويلاً أيضًا ممدداً على الأرض . وجسد المم في عروق
حين خبل لي أن يد هذا الممكيل ترنف وتشير إلى باحتقار ،
ناديت في فرع : سبييل ...

ولتكن صوتي نهرج فكان أشبه بالمعنى .
استوى على الارتكاز . وتنذكرت بحاجة أن زر الكهرباء في المخدع سبييل على مقربة
من طاولة الزينة . فتقدمت لأبحث عنه . ومست يدي شيئاً ليـا بارداً كاللحم البت ثم
احتكت بثوب من الحرير تبعت منه رائحة عطرية منيعة ...
أزعجني ذلك أكثر مما أزعجني الشبح الذي شـبهـ لي أنه يومي . نحوـيـ بأميـعـهـ
فتراجعت إلى الوراء متذرعاً حق التصفت بالجدار .

وهنا وقفت يدي دون قصد على زر الكهرباء . خرـكتـهـ بسرعة . وأنا متورـ
جميع الأعصاب وفي الحال تألق الضوء الكهربائي وبمحبت الغرفة ومحتوياتها في نور وهاجـ
بـدـيـعـ .. نظرت لأرى أين أنا فوجدتني واقفاً على بعد ذراع واحد من جسد طويـلـ
متـسـخـ بـثـوبـ أـيـضـ جـالـسـ على مقعد أمام مرآة ذات إطار من الفضةـ
هـنـتـ سـبـيـيلـ ... زـوـجـيـ ..

ولـكـنـ الكلـمةـ الأخيرةـ تخـشـرتـ فيـ حـجـرـيـ ..

هل كانت زوجي حقاً هذه الكتلة الباردة المتصلبة التي تتعلق في المرأة بعـناـيةـ
واهـيـاـمـ .. نـظـرـتـ إـلـيـهـ فيـ دـهـشـةـ وـفـيـ شـكـ وـجـلـ إـلـيـ آـنـيـ آـمـامـ مـخـلـوقـةـ غـرـيـةـ لـمـ أـرـهـ
مـنـ قـبـلـ .. وـاقـفـيـ بـعـنـ الـوقـتـ قـبـلـ آـنـيـينـ تـقـاطـعـهـاـ تـعـاماـ ..

كان شعرها المجد الطويل البديع منسداً على كتفيها بانتظام . وكان سعادتها الأليض البشّر مستنداً إلى القعد كأنه جزء من ثلال رحامي دقيق الصنع .
أما هي فكانت حالية في مفعدتها كأنها ملائكة فوق عرشها .
اقربت يده ، وأنا أرْخَفَ وتناولت يدها بين يدي .
كانت باردة كالثلج وأشبه ما تكون بأمواج بديع من الشمع والأحجار السكرية
الغنية تتألق في آساتها .

أخذت أممن النظر في كل خاتم يزين أصابعها كالموكب أن أتأكد أن أتأكد من
شخصية صاحبها . وجدت بينها الخاتم الزمردي الذي أهداء إليها والدها ، ثم الخاتم
الذى أهدى إليها بدوري عندما خطبتها لنفسها .
يا الله . . . ما كان أعنها ثروة في أصافع من الطين . . .

نظرت إلى وجهها ثم إلى المنظر الذي تعكسه المرأة . واستولت على الحبرة مرة
أخرى . أيمكن أن تكون هذه سيل ١ وهل يمكن أن يكون هذا وجهها .
— لقد كانت سيل حسناء . أما هنا (الثانية) التي فعلت شفتيه المحتقين
المفرجين بابتسمة شيطانية وفي عينيه رعب متجمد .

وخلة . . . شعرت كأن شيئاً في جمجمي قد عزق وانهار . فترك الأصافع الباردة
وصرخت بصوت مرتفع : مافير مافير . . . كلاير . . .
وما هي إلا لحظة حتى كانت الفتاة إلى جانبها وكانت نظرة واحدة كافية لأن تظهرها
على كل شيء .

فتحت على ركبتيها عباب جنة المرأة للبيبة وافتجرت بكى بحرقة ، وتصبح :
— مسكينة أنت أيتها البيبة .. الضالة .. النعنة ..

نظرت إليها في دعثة ، وعجبت كيف يمكن أن تبكى لأحزان الغير . . .
كنت أشعر كأن ناراً نشتعل في جمجمي ، وقد اضطررت أنيكارى اضطراها غريباً .
فعجلت أنظر إلى زوجي للبيبة وإلى نظرتها الثابتة الجامدة وابتسامتها الخبيثة وهي مرتدية
ثوبها الأليض البارسي الثمين ، ثم إلى الفتاة الطاهرة الوهوبة التي ركبت إلى جانبها

وراحت تبكي بحرقة . وقامت في قسي نورة أطلقت لسانها بكلام لم أفكّر في أية لحظة
 منه . . . صحت :

— انهمي يا مافير . . لا ترکي إلى جانب هذه الجنة .. انهمي واذهب من هذه
الغرفة . . اغرب عن وجهي . . أنت لا تعلمين من كانت هذه المرأة التي ربّطت بها
آصرة الزجاج المقدسة . . لقد كنت أحسبها ملاكاً ، فألفيتها شيطاناً . . نعم يا مافير ،
إنها كانت شيطاناً رجيناً ..

انظر إلى إليها وقد جلست تأمل تعاطيها في المرأة ١١
ليس في مقدورك أن تصفعها بالجلال الآلن ..
إيتها تبسم كما ترين ، تبسم كما كانت تبسم ليه أمس .. اذهبى .. اذهبى .. أقول
لك اذهبى . . وضررت الأرض بقدمي في ضجر وغضّ ، واستطردت :

— إن جو هذه الغرفة موبوء ، فاذهي قبل أن يسمعك ..
إن عطر باريس ورائحة الموت إذا امْزِجا ، كان مزيجهما خليقاً بأن يولد الطاعون ..
اذهن بسرعة ، وأنبني الخدم بأن سيدتهم هاتت ، ودعهم يغلقون النوافذ ، ويسدون
الستائر ، ويلوّحون بجميع مظاهر الحزن والحداد مما اصطلاحت الطبقة الارستقراطية
على التلويح به عند زرول الكوارث ..

وضحكـتـ اـزـدـراءـ وـأـرـدـفتـ :ـ نـعـمـ ،ـ قـوـلـىـ لـلـخـدـمـ إـنـاـ سـنـلـحـ سـيـدـتـهـمـ فـىـ سـخـاءـ ،ـ وـأـنـاـ
سـنـحـترـمـ مـلـاـكـ لـلـوـتـ وـنـنـفـقـ فـيـ إـلـهـارـ هـذـاـ الـاحـتـرامـ بـيـذـخـ وـإـسـرـافـ ..
وـبـأـكـلـ الزـائـرونـ وـلـبـشـرـيـواـ وـلـيـتـامـواـ وـلـيـفـوـلـواـ مـاـ شـابـواـ وـمـاـ أـرـادـواـ .
الفصل الثاني والعشرون — عدوى

أمر الآن هر السكرام بتفاصيل (هز: الحزن) التي أحدثها بيـأ وفـة زـوجـيـ ،
وـبـالـحـزـنـ المـزـعـومـ الذـىـ قـاـيـلـتـ بـهـ المـيـثـةـ الـاجـتـمـاعـيـ هـذـاـ النـبـأـ (الرـوعـ) .ـ إـذـ الـوـاقـعـ أـنـ
أـحـدـاـ مـنـ النـاسـ لـمـ يـكـنـ صـادـقـ فـيـ حـزـنـهـ وـلـوـعـتـهـ ،ـ فـالـرـجـالـ رـفـوـعـ حـوـاجـبـهـ فـيـ شـيـءـ قـلـيلـ
مـنـ الدـهـشـةـ ،ـ تـمـ هـزـواـ كـتـافـهـ ..ـ وـتـكـبـرـاـ لـنـاقـشـةـ فـيـ الـوـضـوـعـ عـلـىـ اـعـتـارـ أـنـهـ (محـزنـ
وـغـيرـ سـارـ) .ـ وـالـنـسـاءـ سـرـهـنـ التـعـلـصـ مـنـ مـنـافـسـةـ حـسـنـاءـ كـانـتـ تـلـفـتـ النـظرـ وـتـبـرـ
الـاعـجـابـ فـيـ كـلـ جـلـسـ نـغـشـاءـ .ـ وـالـأـوـسـاطـ الـارـسـقـرـاطـيـ سـرـهـاـ أـنـ تـجـدـ مـنـاجـأـةـ مـنـ هـذـاـ

النوع تصلح مادة للسمر ، وإظهار الأسف الكاذب والمعطف الزائف .
 ذلك لأن الناس على العموم من سب الأثرة والأناية بحيث لا يأسف أحدهم أبداً
 حقيقة على اختفاء شخصية فدمة عناز بمحالها أو مواهبها .. لأن هذا الاختفاء يفتح سهل
 الراحة والمناسة ، ويرتكب مكاناً شاغراً يحاول كل إنسان أن يلاه ..
 وثق أيها القاريء أنك إذا كنت تتمنع بالجحافل والدكاء وسرعة المخاطر ، أو بواحد
 من أولئك ، فإن نصف المجتمع يتبعك لك الوقت ، ونصفه الآخر يعمل على أن يخل
 عليك الشقاء والتاعنة ما دامت حيا ..
 ولكن يقابل مونك بالحزن العميق الصادق من أحد الأشخاص ، يجب أن يكون
 هذا الشخص أحد الذين يعبونك جاهلاً خالوا من الأنانية والغرش ، ومثل هذا
 الشخص في هذا العالم أندر من اللآلئ في التراب .

والفضل كل الفضل لتروي الواسعة وسخاني ، فقد استطعت بالمال السكريأن أخفى
 حدث اتحمار سبيل .. ونظر آخر كرها في الهيئة الاجتماعية كافية أحد الموريات وزوجة
 أحد أصحاب الملائكة أصدر اثنان من كبار الأطباء (دفعت لها أجراً باهظاً) شهادة
 قالا فيها : « إنها توفيت قتباً ، وقدر آ على أثر سوء تغذيرها لكتيبة من مادة مخدرة تناولتها
 لمقاومة الأرق) وهي أفضل شهادة يمكن إداؤها في مثل هذا الظرف .. وقد أفسحت
 الأسباب التي ذكرت بها السبيل بعض الصحف الرخيصة فراح تقدّر مصاريل الموارد الخدورة
 وكانت حفلة تشييع الجثة إلى مقرها الأخير من أروع وأبدع ما شهد الناس وقد
 أصاب منها القاتلون بأمر الدفن تروة طائلة ، وربع نجاح الزهور من وفاة سبيل
 أرباحاً عظيمة ، فقد كان التابوت عندما أُنزل إلى مقره الأخير لا يكاد يرى تحت كناس
 الأكاليل ، وقد شدت إلى كل أكاليل بطاقة من صاحبه .. كتبت عليها الألفاظ العادية
 المتداولة مثل (إلى الفقيدة العززة) و (وداعا يا أعز الناس) ألم .. وهم تسكن هناك
 بطاقة واحدة تتضمن كلة ثم عن الحزن الحقيقى ..

ولم يشترك لوسيو في تشييع الجنازة .. ولكنه بعث إلى من ندين بر رسالة عزاء
 مقتضبة أشار فيها إلى أنه وافق من أنني لابد أن أفهم أسباب امتناعه عن الحضور للاشتراء

في الجنازة .. وكانت طبيعة أفهم هذه الأسباب .. وقد شكرت له في نفس احترامه
 اهواطني .. ولكنني في الواقع لم أشعر في أي وقت بحاجتي إلى وجوده ، معي ، شعوري
 بهذه الحاجة في تلك الظروف
 وبهذا يكن من أمر فقد كانت حفلة تشييع جده زوجي الحسن العادرة آية في
 الخدمة والإبداع ، بل وقد حضر هذه الحفلة بعض مخبري الصحف خلعوا عليها من
 الأوصاف ما لم يكن لها ، ووصلوا السكينة على غير الواقع بأنهما من أخْفِ كنائس
 الأقاليم ، وغير ذلك من البالغات التي رفعت عنها طبعاً .. إما مالاً .. وإما ولحة فاخرة
 قلت إن أحداً من الناس لم يشارك في تشييع الجنازة بشعوره الحقيق ووجوداته وإن
 أحداً لم يظهر حزناً غير مصطنع .. ولكن أخطأت في التعميم إذ الواقع أن مافير كلير
 اشتراك في تشييع الجنازة وكانت ظهرت عليها علام الحزن والتاثر العميق
 وقد وفت هذه الفتاة اللوهوبة الطيبة القلب جانباً ، وانتظرت حتى أهبل التراب على
 التابوت ، وحتى أحد التشيعون في الانصراف وعندئذ اقتربت من القبر ووضعت عليه
 صليباً من زهور الزرس كانت اقتطفتها من حديقتها
 وآتته راقبتها وهي تحمل ذلك وسمحت على أن أفالنها بكل شيء قبل أن انطلق مع
 لوسيو في رحلتنا إلى الشرق ، وهي الرحلة التي أجلتها أسبوعين بمناسبة وفاة سبيل ..
 وحان اليوم الذي توجهت فيه إلى بيت مافير كلير ، وكان يوماً عاصفاً مطرأً فوجدت
 مافير حالمة في مكتبتها والنار تضطرم في الموقف ، وعلى مقربة منها كلابها
 التي قببتها في قراءة أحد الكتب .. ولكنها لم تكدر ترانى حتى طوت الكتاب
 ونهضت تستقبلي وهي عينها الصافية من علام الاشتغال الصامت ما أثار في نفسى
 كان جيلاً في الواقع أن أراها آسفة من
 أعظم تأثير ..
 أجي .. وكانت غريباً أنني لم أكن أشعر بالأسف لنفسى
 حتى بشىء من الارتباك ، وجئت وأخذت أرتقبها في سمت وهي ترتب قطع
 الحب في الموقف ولاحظت أنها ت يريد أن تتحاشى نظراتي ..
 قلت لها فجأة وبصوت أحش : أظن أنك تعلمين أن حكاية المخدر الذى تناولته
 سبيل لتتعذر عن الأرق فقضى عليها ، هي حكاية وهبة اشتراها بحكم الظروف ورولا

على أحكام المباهة والتغليد ، وأنهن كذلك أنه تطلب أن زوجي تناول اسمه
قصد الانتحار ١

فخترت على نظره إخفاق وعطف وقالت باعما :
— كنت أخشى أن تكون هذه هي الحقيقة .

قالت في شيء من المدة : لا يوجد الآن ما يعنيني أو يزعجني ... الحقيقة هي كما
ذكرت ، قبيل تناول المسمى .. ولكن هل تطلبين الماء ؟ لأنها كانت مسورة
بزمامها النسبي . لأنها كانت تحب سديق ويسو وماريا جان ٢ وهي
وهذا أثبتت من قم ملقي سبحة آمن ونظرت إلى ذهب كتفه الأولى (المطر) .
أخرجت من حبي رسالة عربية ثمينة كتب وجسدتها بالقرب من الماء وجق
ومعن زجاجة السم ...

كانت رسالة مقتضبة .. ولكنها حيرتني .. ولم أفهم لها معنى .. وأكره على معرفتي
بسيل كيتها ساعة إن أسللت الروح

بسقط الورقة بين أصابعى المرة التالين وفرات قبها مابلي .
« ... كل آلة أخرى أزيد ان اكتبهما وألا اخترع من المياد إلى الموت لقد عرف
أخيراً من احييته ... يا لها ... رحمة في ... انني اعرف الآن آنما من قد جئت
وابهت ... إنه يعتقدني الآن إلى الجميع ... إن اعده ... »
وها انتهت الرسالة الغريبة واتجهت بيقظة من للناد تدل على ان القلم سقط من
البدنية فجأة .

دخلت بالرسالة إلى مافير .. وآلة آفول :
— هل تستطعين حل هذا الطليم . هذه الرسالة عن آخر ما كتب سيل .
فتناولتها وقرأتها .. ثم طرحتي بهذا السؤال :

— لم تشعر بعد كل هذا الذي مر بك انه في قبضة عدو ندو ..
— عدو ندو ! أماذا تخرين يا مافير !

قالت وهي تنظر إلى بحيرة وشققاها التي تعيشان :

— هل ت يريد ان تعرف عدوك الذي جلب عليك الشقاوة ؟ ان اشعر بأنه
يدور بك الآن .

— ١٤٥ —

إذا أردت ان تعرف عدوك المدود فاصعد إلى اسوات الطلق ، اصعد إلى سوت مبيل
مذلة تقول ، إنها تقول ووجهة يالى اني اعرف الآن من احييته ، ومن عبست ،
واعرف من الذي يعتقدني الآن الى الحرج ان امسه ...
فتلقعها : إنها كتبت عن السكانية بعد هذه السكانية لما امسه .

قالت ماقبر كلبر سوت مرتعض :
— امسه لوسيو فرياري ، أنا لا اعرف من اين ما هنا ارجل . ولكن اشهباد على
أنني اعتقاد فيه انه رجل إنهم وئر ، وانه شيطان في جسم آدمي جيل وانه رجل هادم عرب
لقد هبطت العنة على سيل منه وفع بصرها عليه ، وهذه العنة لا تزال معلنة
لوق رأسك ، طانع بنفسك منه ان كتت ناقلا ، انجع بنفسك حين لا يزال يوجد سيل
الحياة ، واخلل على الاتبعده يراك بعد الآن .
فات ذلك بسرعة . وأيقاظ لافتة ، كافل كانت تجلد قوته خيبة تعارف ان تعمها
من السكان ، قالت يروه : يستحب على العمل بهذه التصريح يا ماقبر ، فالمرقس وغابري
اعلن اصدقاء بل لست اعتقد ان في الوجود عديداً اشد منه اخلاصاً وورعاً وقد اثبتت لي
احساسه ووفاه في ظرف عجيب كان كفيلاً بأن يهدم شيبة اوطاء عدد كثيرون من الأصدقاء ،
انني لم اجدتك بكل شيء ... فاسمع .

ردت عليها باختصار ما وقع بين زوجي ولوسيو في ديلوزير في الايام السابقة
لآخرل ، وقد اصعدت إلى ولكن حتى من الليل . وعدد ما فرغت من كلام رفعت
خصمه من ايدت ، كتبت قد هبطت على جهتها . تم تهديد وقالت :
— يؤمنون بهذا الذي ذكرت لا يمكن ان يغير عقیدتي .
فأنا أعتقد أن الشخص الذي قلل أنه أحسن أنسداداته ليس في الواقع إلا
أحد أعدائك .

العمل الثالث والعشرون — بين الله واليه

بعد أسبوعين تقريباً كتبت في عرض البحر وفها على سطح يخت لوسيو الذي أطلق
عليه اسم (الشقاوة) وهو يخت بدبيع أبيق يلقت الانهار وعلاً نفس الظارة اعجماء .
وكانت آلات هذا اليخت على جانب عظيم من السرعة . وإن كثيرون من الباباكيين
قد أدهشتهم سرعته ودقته آلاه .

وكنت قبل سفرى قد تصرفت تصرفًا مفضحًا في بعض الشؤون . من ذلك مثلاً أنى تنازلت عن قصر ويلوزمير بغير مقابل لصاحب القديم الورد إيلتون ولم يكن يوجد ما يثير هنا السخاء غير مجرد رغبة في أن يشعر ذلك السيد بالسرف بأن يدين بقصره لي . وفي أن تقطن ديانا شيرنى ذلك القصر باسم (اللادى إيلتون الجديدة) وأن تنظر إلى وجهها في ذات للرآة التي جلست أمامها سيدل حين اختتمها للوت . كذلك أصدرت أمرى إلى أحد كبار التالبين الإيطاليين لكي يصنع لزوجي سيدل ثالثاً دقيقاً بدليعاً من الرخام الناصع وقدمت له صورتها الفوتوغرافية . وطلبت إليه أن يمثل سيدل بذلك فدم جناحه وتأهباً الصعود .

ذلك لأن المرأة مهما بلغ من إيمانها فإن زوجها ملزم بحكم قوانين النفاق الاجتماعي أن يظهرها بعد موتها في صورة ملاكاً .

وقد بدأت أشعر بعد ذلك بأن شيئاً في العالم لا يمكن أن يتبرأه حتى إلا ما كان يصل بشخصي مباشرة . وخيل لي بعد الذي شهدت وجرت عائلاً أنني أصبحت مجردًا من كل عاطفة إنسانية ، إلا فيما يختص بعافر كيلر . فإني كنت أشعر نحوها بعاطفة مبهمة . هي في الواقع نوع من الرغبة في أن تكون موضع شفقتها وعطفها وحبها حتى يجوز لي أن أتحول إلى الناس وأقول لهم « هذه المرأة التي تحبطونها بالقدر والاحلال بحبني ، فهي ليست لك . ولكنها لي وحدى »

وهو شعور كما ترى لا يمكن أن يوصف إلا بأنه أناقة خبيثة . أما شعوري نحو صديق ريانين فقد بدأ يتحول تجولاً كبيراً .

قللت له على تلك الجاذبية القوية . ولكنني ألمحت نفسى بين الفينة والفينية أربقعن كتب على الرغم مني . وأسائل نفسي ترى من هو ؟ وماذا أشعر دائمًا بأنني خاضع له طائع لأوامره ..

كانت نظراته وأحاديثه في بعض الأحيان تدخل على نفسى شيئاً من الرهبة ومع أنه ظل بالنسبة إلى ذلك الرجل الرهوب الجذاب ذا الأخلاق الدمنة . قان نوعاً من أنواع الحلو والشك بدأ يخالط شعوري نحوه واستولى على قلق مؤلم ورغبة نوية في أن أعرف للزيادة عنه ومن هو حقيقة ومن أين جاء .

وفي بعض الأحيان كنت أشعر نحوه ببعض شديد لامبراته ولا معنى . وأصابي هذا الشعور بشدة عندما وجدتني وحيداً معه في عرض البحر . وبذلت أوري فيوضوح وجلاً بعض أشياء كانت تخجلاً عن مشاغلها قبل ذلك : منها أن (أمير) كان في الواقع رجلاً يثير الريبة ولا يدعه وجوهه إلى الطمأنينة ، وأن الحرارة كانوا مثله رسالاً مرسى بين لا يُعْكِن الاطمئنان اليه . وقد كانت وجوههم البشعة تزداد لي في أحلاط فزع عجلى .

وقفت في أحد الأيام على ظهر اليخت واستندت إلى جداره . وأخذت أنظر إلى الأمواج للتلاطم وأفكر في أعمال السحر العجيبة التي اشتهرت عن بعض الشرقيين ذلك لأن نفسى كانت تخدعني بأن هذا البرنس رياضيز وجميع رجاله لا بد قد جاءوا من بلد سباق في الشرق وأن هذا الجو الغامض الذى يحيط بهم لا يفتر عن الأجواء ، القافية التي يسود فيها السحر الغامض .

وفي مساء أحد الأيام قصدت إلى غرفتي كالعادة وأنا مرتاح النفس .. فتمددت في فراشي وأخذت أترجع حوادث الماضي الغريب بسرعة ، وأضع خطى للمستقبل .. وجدت أن ذكري الناجعة الأخيرة بدأت تتسلس في مخيلتي ، بعد أسبوع أو شهور أنساها كلية ، ورأيت أن مركزى الحال لا يعبر عليه ، وأني أستطيع أن آبدأ حياتي من جديد وأن أخذنى زوجة أخرى ..

وعندما خطرت لي فكرة الزواج ، انصرف ذهني في الحال إلى ما يقرب كيلير .. أقسمت بيني وبين نفسي ألا أخذ لنفسى زوجة من دونها ، فهي للمرأة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تعيده إلى السعادة المفقودة ..

وكنت أفكرا في كل ذلك حين غلبني النعاس ، فاستغرقت في نوم عميق ، ولكنني استيقظت حول منتصف الليل ، وشعرت حللاً استيقظت بنوع من الرعب .. ذلك أنه رأيت القرفة تسحب في ضوء أحمر عنيف ، خطرت لي في الحال أن النار شبت في اليخت ، وبلغ من فوه رعنوي وذعرى أن جمد الدم في عروق فلم أستطع حراً كاكا .. ونهاية رأيت شيئاً ، فسكنت أفقد صوابي ..

وكنت قبل سفرى قد تصرفت نصراً مضحكاً في بعض الشؤون . من ذلك مثلاً أني تنازلت عن قصر ويلوزمير بغرض مقابل لصاحبه القديم الوردي إيلتون ولم يكن يوجد ما يثير هنا السخاء غير مجرد رغبة في أن يشعر ذلك السيد بالشرف بأن يدين بقصره لي . وفي أن تقطن ديانا شيرنى ذلك القصر باسم (اللادى إيلتون الجديدة) وأن تنظر إلى وجهها في ذات المرأة التي جلس أمامها سيدل حين اخترمها للوت .

كذلك أصدرت أمري إلى أحد كبار التالين الإيطاليين لكي يصنع لزوجي سيدل ثالاً دقيقاً بدليعاً من الزخام الناصع وقدمت له صورتها الفوتوغرافية . وطلبت إليه أن يمثل سيدل يلاك فدمد جناحه وتأهّب الصعود .

ذلك لأن المرأة منها بلغ من إنعماً كان زوجها ملزم بحكم قوانين النفاق الاجتماعي أن يظهرها بعد موتها في صورة ملاكاً .

وقد بدأت أشعر بعد ذلك بأن شيئاً في العالم لا يمكن أن يتبرأه حتى إلا ما كان يصل بشخصي مباشرة . وخيل لي بعد الذي شهدت وجررت عائلاً أنني أصبحت بمرداً من كل عاطفة إنسانية ، إلا فيما يختص بعافر كلير . فإني كنت أشعر نحوها بعاطفة محبة . هي في الواقع نوع من الرغبة في أن تكون موضع شفقتها وعطافتها وحبها حتى يجوز لي أن آخوئ إلى الناس وأقول لهم « هذه المرأة التي تحبطونها بالتقدير والاحلال بخيلى ، فهي ليست لكم . ولكنها لي وحدى »

وهو شعور كما ترى لا يمكن أن يوصف إلا بأنه أناية خبيثة . أما شعوري نحو صديق ريمانز فقد بدأ يتحول تجولاً كبيراً .

ظللت له على تلك الجاذبية القوية . ولكنني ألمحت نفسي بين الفينة والفنينة أرقب عن كتب على الرغم مني . وأسائل نفسي ترى من هو ؟ وماذا أشعر داعماً بأنني خاضع له طائع لأوامره . . .

كانت نظراته وأحاديثه في بعض الأحيان تدخل على نفسي شيئاً من الرهبة ومع أنه ظلل بالنسبة إلى ذلك الرجل المراهق الجذاب ذا الأخلاق الدمشقة . قاتل نوعاً من أنواع الحروف والشك بدأ يخالط شعوري نحوه واستولى على قلق مؤمّن ورغبة توية في أن أعرف المزيد عنه ومن هو حقيقة ومن أين جاء .

وفي بعض الأحيان كنت أشعر نحوه ببعض شديد لامبراته ولا معنى ، وأصابني هذا الشعور بشدة عندما وجدتني وحيداً معه في عرض البحر . وببدأت أرى فيوضوح وجلاً بعض أشياء كانت تخفيها عن مشاعري قبل ذلك : منها أن (أمير) كان في الواقع رجلاً يثير الريبة ولا يدعه وجوده إلى العطشانية ، وأن البحارة كانوا منه رجالاً مربين لا ينكرون الطعامان اليهم . وقد كانت وجوههم البشعة تراهم لي في أحلامي فترتعشني .

وقفت في أحد الأيام على ظهر اليخت واستندت إلى جداره . وأخذت أنظر إلى الأمواج للتلاطم وأفكرة في أعمال السحر العجيبة التي اشتهرت عن بعض الشرقيين ذلك لأن نفسى كانت تخدعني بأن هذا البرنس رعائز وجميع رجاله لا بد قد جاءوا من بلد ساحق في الشرق وأن هذا الجو القاسى الذى يحيط بهم لا يفترق عن الأجواء الخامسة التي يسود فيها السحر العائم .

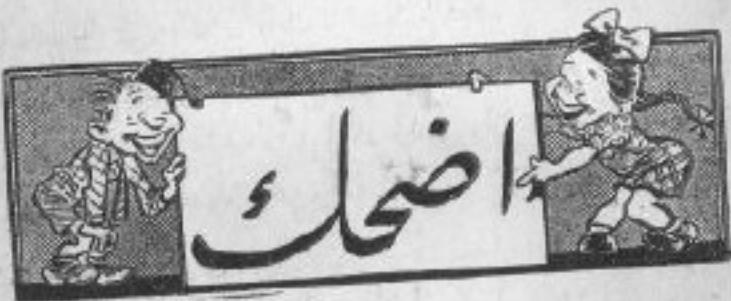
وفي مساء أحد الأيام قصدت إلى غرفتي كالعادة وأنا مرتاح النفس .. فتمددت في فراشى وأخذت أسترجع حوادث الماضي القريب بسرعة ، وأضع خطى المستقبل .. وجدت أن ذكرى الحاجة الأخيرة بدأت تتضخم في مخيلى ، وبعد أسبوع أو شهور أنهاها كلية ، ورأيت أن مركزى الحال لا يغادر عليه ، وأنى أستطيع أن أبدأ حياتي من جديد وأن أخذنى زوجة أخرى ..

وعندما خطوت إلى فكرة الزواج ، الصرف دهن في الحال إلى ما فيه كثير .. أقسمت بيدي وبين قصى لا أأخذ لنفسى زوجة من دونها ، فهي للمرأة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تعيده إلى السعادة المقودة ..

وكنت أفكراً في كل ذلك حين غلبني النعس ، فاستعرقت في نوم عميق ، ولكنني استيقظت حول منتصف الليل ، وشعرت حللاً استيقظت بنوع من الرعب .. ذلك أنني رأيت الغرفة تسبح في ضوء أحمر عجيب ، خطرت لي في الحال أن النار شبت في اليخت ، وبلغ من فرط رعى وذعرى أن جمد الدم في عروق قلم أستطيع حراكتها .. ونحوه رأيت شيئاً ، فكدت أفقد صوابي ..

يوم الاثنين من كل أسبوع

تصدر مجلة الفكاهة رقم ١



أول مجلة فكاهية في الشرق

طبع بالروتوغرافور الملون

تصدر عن دار الجيب

رأيت سبيلاً واقفة أمامي ، وهي وجهها تجعدات تشعر بالألم والعذاب ..
ولم يكن وجهها يفترق عما رأيته آخر مرة ، إلا أن عينها كانت تتألقان بحدة ،
وفيها نظرة تم عن التهديد واليأس والتحذير ..
ونحركت شفتيها كأنها ت يريد أن تسكم ، ولكن لم أسمع شيئاً ..
وبيتها كنت لا أزال أنظر إليها ، إذا بها تخفي فجأة ..
ولا بد أنني فقدت الرشد بعد ذلك ، لأنني عندما استيقظت وجدت الشمس في
رابعة النهار ..

ولم يكن هذا آخر ما رأيت من سبيلاً ، فقد ظهر لي شبحها مراواً بعد ذلك حق
اتهمني الخاوف وأصبحتأشعر بأنني -أجن أو أموت ..
عمدت إلى العقاقير الهدّة ، ولكن بغير جدوى ، فقد كنت أستيقظ من نومي في
وقت ما ، فأرى سبيلاً أمامي في جحيم من اللهب ، وفي عينيها نظرة التهديد والتحذير
المتداة ..

وحدث في أحد الأيام أنني دخلت غرفة ظهرها فرأيت صديق جون كارجتون حالساً
 أمام الطاولة وفي يده قلم ، وأمامه ورقة عليها أرقام ..

كان ينبع الوجه ، ولكنه تجمّم أمامي كما اعتدت أن أراه حق لم أعملك من أن
أدعوه باسمه . عند ذلك وقع رأسه ، ونظر إلى ، وابتسم ابتسامة حزينة ، ثم تلاشت ..
ارتحيت على أحد المقاعد وأنا أرتجف من ثقة رأسي إلى أحسن قدسي ..

ووجدت أنني أصبحت عرضة للأشباح والأطيااف تزعجني في النوم واليقظة كما ولم
يكن فيها عائمة من المصائب والكوارث الكفائية ..

لأشك أنني كنت مريضاً .. ومرضاً جداً .. وليس أقل من أن تكون هذه الظواهر
الغريبة أعراض مرض عقلي خطير ..

فكترت في أن أضع نفسي تحت الرقابة جيداً حتى أصل إلى الجنة ، وهناك أضع
نفسى تحت نصرف الأخصائيين إلى أن يتم لى الشفاء .

وقد حدث ذات ليلة أن استولت على المهاجم ، ولاج إلى طيف سبييل واللادي إيلتون .. فوثبت من قرashi إلى حافة البحت وخيل إلى أنهى لم أعد أطلق تلك الحياة البشة ، ونكرت في أن وتبة واحدة في جوف اللاء البارد تريحني إلى الأبد من متاعي وعندما هممت بأن ألو بفسي ، شعرت بيد قوية تقض على سعادى ..
خولت فرأيت وجه (أميلا) الأسمى وعينيه السوداويين البراقين .
قال بفحة اكترات : هل يحتاج سيدى إلى شيء ؟
حملقت في وجهه ، ثم انفجرت صاحكا .. وقلت بلهمجة المحموم :
— أحتج إلى شيء ؟ كلام .. فأنا لا تستطيع شيئا .
— إنني أحتج إلى الراحة . أحتج إلى النوم . ولا أستطيع أن أجده طبيق هنا .
إذ عجل إلى أن المرأة يعترق وأنني أكاد أختنق وأن النجوم توشك أن تشتعل ..
وصمت فنظر إلى قهقهة هدوء ثم هز رأسه .
قلت : سأعود إلى غرفتي .

واردفت وأنا أحاول أن أملك نفسي وأن أتكلم في هدوء :
— نعم . سأعود إلى غرفتي . فربما تهنت بمنحة الوحدة هناك .
وضحكـت مرة أخرى مضحكة مجنونة . وتنسـت طريقـ إلى غرفـقـ وأنا أخـىـ أن
أفتح عـيـقـ فأـرـىـ أـشـابـ سـيـيلـ وـكـارـنجـونـ وهـيلـينـ إـيلـتونـ .
وأـخـذـ قـابـيـ يـبـصـ بـقوـةـ وـعـنـفـ . وـقـدـ خـشـيـتـ أـنـ أـرـفعـ عـيـقـ لـكـيلاـ تـلـقـيـاـ بـعيـقـ سـيـيلـ .
قلـتـ لـنـفـسـ فـيـ هـسـ وـأـنـ أـتـاـوـلـ مـسـدىـ :
— إذا ضـفـطـتـ يـاصـبـعـ عـلـىـ هـذـاـ لـسـدـسـ اـتـهـيـ كـلـ شـيـ .
نعم .. بعد لحظة أستطيع أن أستمتع بالراحة والطمأنينة . فأ فقد السمع والبصر
ولا يصبح في طاقة الأذياح أن تزعجني ..
ورفعت المسدس إلى جحيمى وهـمـمتـ بـأنـ أـطـلقـهـ .
وفي هذه اللحظة فتحـ الـبابـ وأـعـلـ منهـ رـأـسـ لـوسـيـ .
رأـيـ عـلـىـ تـلـكـ الحـالـ قـالـ بـسرـعةـ : عـفـواـ .. مـ يـدرـ بـلـدـيـ أـنـكـ مشـغـولـ .. سـأـذهبـ

في سبييل .. ولن أزعجك ولو أعطيتـ مـلكـ العالمـ .
قال ذلك في تهمـكـ . وارتـسمـ علىـ شـفـتـهـ اـبـسـامـةـ شـيـطـانـيـةـ خـيـفةـ .
أدهـشـتـنـيـ كـلـاهـ وـأـثـارـتـ فـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـاشـمـارـ . فـأـبـعـدـتـ المسـدـسـ عنـ جـبـقـ
وقـلتـ فـيـ أـمـ : أـتـقـولـ ذـكـ وـأـنـ تـرـأـيـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـالـةـ ! لـقـدـ كـنـتـ أـحـبـكـ صـدـيقـ
فـنـظـرـ إـلـىـ بـحـدةـ . وـخـيلـ إـلـىـ أـنـ عـيـنـيـ قدـ اـكـنـسـتـاـ شـيـثـاـ مـنـ الـروحـ فـأـسـعـتـ جـاءـةـ
وـأـنـأـقـ فـيـهـاـ مـزـيجـ مـنـ الـاحـتـفـارـ وـالـنـضـبـ وـالـحـزـنـ .
قال وهو يـتـسـمـ بـرـةـ أـخـرـىـ تـلـكـ الـبـشـرـيـةـ الـشـيـطـانـيـةـ خـيـفةـ :
— هلـ كـنـتـ تـخـبـيـ صـدـيقـكـ ؟ إـنـكـ كـنـتـ طـلـبـاـ .. إـنـيـ عـدـوكـ .

وـسـادـ صـمـتـ رـائـعـ . وـتـقـلـصـ وجـهـ بـشـكـ عـيـفـ .. اـرـجـفـتـ . وـتـنـدـيـ جـيـنـيـ بـالـعـرـقـ
الـبـارـدـ . وـسـقـطـ المسـدـسـ مـنـ يـدـيـ .. وـكـنـتـ لـأـزـالـ آـنـظـرـ إـلـيـ فـيـ عـجـبـ وـخـوفـ وـيـأسـ .
 حينـ خـيلـ إـلـىـ أـنـ قـامـتـ الرـفـعـةـ أـخـذـتـ تـزـدـادـ طـوـلـاـ حـتـىـ صـارـتـ أـشـهـ يـرـجـ عـظـيمـ .
وـفـيـ هـذـهـ الـلحـظـةـ اـسـتـوـلـىـ عـلـىـ رـعـبـ هـائـلـ . وـغـشـيـتـ عـيـنـيـ سـحـابـةـ مـظـلـةـ فـسـقطـتـ عـلـىـ
الـأـرـضـ فـاـقـدـ الرـشـدـ .

ـ دـاخـلـيـ الشـكـ فـيـ صـحـةـ قـوـاـيـ العـقـلـيـةـ عـنـدـمـاـ فـتـحـ عـيـنـيـ بـعـدـ ذـكـ فـوـجـدـتـيـ موـتـوقـ
الـيـدـيـنـ وـالـقـدـمـيـنـ .. وـمـلـقـ فـيـ أـرـضـ غـرـفـيـ .. وـنـبـلـ أـنـ أـمـكـنـ مـنـ اـسـتـعـاـضـ مـاـمـرـيـ
وـإـدـرـاكـ مـوـقـعـ عـلـىـ حـقـيـقـتـهـ فـتـحـ بـابـ الـعـرـفـةـ وـدـخـلـ لـوـسـيـ ..
ـ كـانـ يـرـتـديـ تـوـاـعـجـيـاـ وـقـدـ أـلـقـ عـلـىـ رـأـسـ خـوـذـةـ .. وـعـلـىـ وجـهـ شـبـهـ قـاعـ وـأـخـذـتـ
قـطـرـاتـ المـاءـ تـنـسـاقـتـ مـنـ ذـيـلـ ثـوـبـهـ .. قال بصـوتـ كـفـصـ الرـعدـ :
— لقدـ خـارـتـ عـنـاـصـرـ الطـيـعـةـ يـاـيـوـفـرـيـ ثـبـتـ .. فـأـسـتـعـدـ لـلـمـجـرـيـ الـكـبـرـيـ ..
ـ لـقـدـ وـجـدـتـ مـنـ الـخـيـرـ الـلـكـ وـلـلـبـشـرـ أـلـاـ تـورـدـ نـفـسـكـ مـوـارـدـ الـمـلـكـةـ قـبـلـ أـنـ تـلـقـ
درـسـاـ تـذـكـرـهـ وـيـذـكـرـهـ غـيـرـكـ أـبـدـ الدـهـرـ ..

ـ ثـمـ أـلـقـ إـلـىـ بـخـنـجـرـ وـقـالـ بـلـهـجـةـ مـنـ بـرـيدـ إـلـىـ الـاسـرـاعـ :
ـ تـخلـصـ مـنـ وـثـاقـكـ .. رـيـثـاـ أـكـبـحـ جـمـاحـ الـعـاـمـرـ قـبـلـ بـقـلـتـ زـمامـهاـ مـنـ قـبـضـيـ

ووُبَ إلى الخارج وأغلق الباب ،
سألت فسي .. ترى هل في حلم أنا أم في يقطة .. وهل ما يتراهى لي هو وهم
خلقته عيني المقيمة ١١

الفصل الرابع والاثرون - الشيطان

رعد يدوى فيبر الخلية ، وبرق يتألق فيبر الأ بصار ، وأمواج تتواكب كأنماجال
تحيد ، وريح عاصفة ترسل صفيرًا مخيفًا .. وأرض تهتز ، كأنها جميع العناصر قد انطلقت
من عقدها فراجعت ترقص رقصة الول ..

سمعت صيحات بمحنة تهتف فوق سطح اليخت ، ومتزوج فيها شحات الفوز بآنين الأس
وশعرت باليخت ينایل ويتواكب ، كأنه جحون بري آخر جه الصيادون ، وكان يخيل
إلى كلا قصف الرعد أن اليخت يوشك أن ينشطر شطرين ..

وكانت الريح تعصف في الخارج وتحدث أصواتاً عجيبة رائحة كأنها آهات شيطان يتألم
خطير في الحال أن اليخت مشرف على الفرق .. ففتحت باب الفرق .. واندفعت
إلى الخارج . والنجير لا يزال في بيدي .. (أنظر صورة الغلاف)

رأيت لوسيو جالساً يدخن ويرقب أفاعيل العاصفة كما لو كان يرقب رواية تمثل على
تحول إلى فجأة .. ولا أعلم كيف شعر أحد المسارح ..
بوجودي .. وقال بلهمجة الأمر : الق النجير واتبعني ..

خانتي قوای وشجاعی ، فان أهوان العاصفة ، وشخصيته الرهيبة وعبره الخيف ،
كل ذلك جعل مني عذقاً نعسًا لا يكاد يملق قواه الجهنمية أو الفقلية
نظرت إليه في استعطاف وقلت وأنا لا أكاد أعنی ما أقول : بحق السماء ..

فرفع يده يأمرني بالسكت .. وقال : دع التوسل والاستعطاف واتبعني ..
وسار أمامي كأنه شبح أو خيال .. وتبعته كأن قوة خفية ترغمني على أن أتبعه ..
وكنت أسمع صوت الريح في هيكل اليخت كأنه فريح الأفاعي ..

وبلغنا إلى الصالون فارتديت على أحد المقاعد وأنا أرتخف من قبة رأسى إلى أخص قدمى.
تحول إلى لوسيو .. ونظر إلى في لحظة مفكرة ، ثم فتح النافذة ، فتناول رشاش

الأمواج على وجهى .. ولكن لم أعبأ بشىء ، فقد تركت كل قوای وحواسى في عيني
فذهبت أنظر في جزع إلى ذلك الخلوق العجيب الذى أخذته طيلة هذه اللدة صديقاً وصاحبًا
مد يده من النافذة ، وقال بلهمجة الأمر وبصوت رهيب : اهجمي باشياطين البحر
والمواء .. إنك لست عناصر الله .. ولكنك خدمي .. اهجمي فيه الساعة ساعي ..

وفد حمد الدم في عروق حين وجدت جبال الأمواج قد انبسطت وشعرت بالريح
العاصرة تستحيل في الحال إلى النسيم ، ورأيت أشعة القمر تبدد الظلام الخيف ..

وقف لوسيو في ضوء القمر خلوناً مهيباً جباراً رائعاً الطلعة

تحول إلى وقال : هل عرفتى الآن أنها الرجل الذى جعلت منه ملائكة عذقاً عذقاً
أم لازلت تحتاج إلى أن أعرفك بنفسى !
فتركت شفتاي .. ولكن لم أقو على الكلام ..

ذلك ان خاطراً عذقاً أو حقيقة مروعة تجلجلت في ذهنى فألتجئت قال :
— لا تكلم ولا تتحرك .. فقط اسمع وانصر وكن بقوة الله القى لا قوة في الأرض
ولا في السماء سواها عذقاً سلب الارادة لا يشعر ولا يفعل
لقد وقع عليك اختيارى من بين ملائكة البشر لأنك عليك في الحياة درساً يتعزم
هل الآخرين أن يعلوه بعد الحياة ، فاستجمع كل حواسك وذكائك ، وع ما سأقول
لك الآن ولقد لاخوانك الآدميين ..

حاولت مرة أخرى أن أنكم ، فقد كان لا يزال يخبل إلى أنه يمر مثلى .. وأنه
لا يزال صديق .. وان يكن قد صرخ بأنه عدوى ..

يد أن يريها عجباً عذقاً في عينيه جعل لسانه يلتصق بخلق وجعل أسنانه تصطرك بقوه
قال لي وهو لا يزال يصعدنى عينيه وينظر إلى في غير شفقة :

— إنك من أسعد أهل الأرض .. أو ان هذا على الأقل ما يتصوره أخوانك
الآدميون .. لأنك عملك ملاً كبيراً .. وعملك أن تتبع ضمائرك الناس .. غير ان القوة
المهيمنة على هذا العالم والحركة له ، لا تنظر اليك على هذا الضوء ، لأنك لا تستطيع أن
تتبع ضمائرك ، ولا عملك أن تؤثر عليها عمالك .. إنها تنظر اليك كما أنت على حقبتك

وترى عارى النفس فترى انك على غير ما تبدو . وعلى غير ما يدل عليه مظهرك . اتها ترك أناها سرفانة الأنانية . جاحداً مسروقاً في الجحود . وهي صفات لا عنده بيرها . وتسحق من أجلها المقاوم .

ان كل حلوقي تدفعه الأنانية إلى الجحود . ويغيره الجهل بالكفران يفسح السبيل لقوة أخرى تسيطر عليه ، هي قوة الشر . القوة التي خلقها الإنسان والتي يحافظ عليها بما طبع عليه من التمرد والعصيان والإثم . وهذه القوة هي ما أصطلح الإنسان على تسميتها بالشيطان (أمير الظلمات) . ولكن هذا الشيطان كان في وقت ما ملائكاً . وكان أخوانه الملائكة يسعونه (لوسيفر) أمير الضوا

وهنا كف عن الكلام ، ونظر إلى بحده . ثم اردد : هل تعرفني .. الآن ! جلست حامداً الحركة خوفاً ورغباً ، لا أستطيع أن انكلم ولا أن أفعل غير أن انظر إليه في صمت ورهبة . قال : إذا كنت لا تعرفني وإذا كنت لا تشعر في أحماقك بأنك لا تعرفني ، فليس ذلك إلا لأنك لن تعرف حتى شيئاً .

انى اهبط على الناس حين يطعون في كبرائهم وصلفهم وانانيهم فانصل بهم والأزمهم . وأصبح صديقهم الذي يحب اليهم الآلام التي تطيب لهم أكثر من سواها . ان لكل انسان مطلق الحرية في اختيار مستقبله . فلا تسمح لانسان أن يقول بأنه مسوق إلى كل ما يفعل وإن قوة جباررة أعظم من قوته قد قدرت له سلفاً نصيحة في الحياة . ذلك لأن الانسان يولد حرراً فتسيطر عليه الروح من البناء وتصعد عليه من الجحيم روح التمرد والعصيان . ومن ثم يبدأ النضال في كبروكه بين الخير والشر وببارادته هو يتوجه في نفق أحدى الكفتين على الأخرى

والآن اصح إلى ربياً استعرض تفاصيل حياتك لأنها صورة من حياة الآخرين . واحكم بنفسك كيف طفى الشر فيك على الخير ..



وارتجفت على الرغم مني ..

قال : انك يا جيوفرى تحبست أحد الآدميين القلائل الذين أسبغ الله عليهم جانيا

من تلك النعمة السماوية التي هي العبرية .

انها احدي النعم التي يندر أن تقع من نصيب واحد من البشر . ولكن اوويل من أصاب هذه النعمة فأخذتها سبلاً لارضاه شهواته الدنيوية واستغلها لماربه النهاية ولئن ديه ١١

وقد كنت مدفوعاً بارادة الله في طريق الخير : طريق المدرس والبحث والاستقراء والآلم والآلام . والضحجة والفقير . في هذه الطريق فقط ، وتحتتأثير هذه العوامل جميعاً تصدق النفس البشرية ، وترتفع إلى الكمال أو ما يقرب من الكمال . ذلك لأن الآلم والعمل الشاق يهدبان النفس وبعدهما لاحتلال الكاره ، والخروج من معترك الحياة بالفوز والنصر ..

لقد كان لهذا ثائقاً ولكنك كفرت بنعم الله ، ورثت من الحياة ، وتركت بالفقر ، وسمعت الجوع والبغاء ، وغاب عنك أن الفقر أفضل من الانتعاش في الشهوات سمعت الحياة ، ولم تستطع صبراً ، وغفلت عن آلام العبر فأصبحت لا ترى في الوجود من هو أشق منك ، وصررت على استعداد في كل وقت لأن تصب جام غضبك واعناتك على البناء وتقوت ..

نعم ، صرت سرافاً في الاشواق على نفسك ، سرافاً في الاعجاب بنفسك ، وامتلاً قليلاً بالزراوة وفك بالاعنان ، وحبي لك الآلام والتبرم بالحياة وانفرد على صيتك منها أن تورك نفسك وعقورتك موازد التلف ..

ولمذا جاءتك الملائكة ، ولهذا وجدي في طريقك ..

قال ذلك وحدجى بينين واسعين ساحرتين عزز فيهما السخرية بالحزن ..

استطرد : أنها الفر الأحق .. إنني حذرتك يوم قابلتك لأول مرة وصارحك بأن مظاهرى لا تدل على ، وثارت عناصر الطبيعة حين وضعت يدي في يدك وتماهدنا على الصداقة .. وحان لك مئات الفرس ، فكان في وسعك أن تفعل الخير وتتوب إلى رشيك فرنجى على أن أتركك وعلى أن أستمتع بالراحة نوعاً ما من العذاب الأبدي وأخلص من أحزانى وأرتفع خطوة إلى السماء ، ولكنك لم تعظ ولم تهتز هذه الفرس ، فازدادت

أحزانى ودفعتى بمحودك ونكرانك وآثامك الى المبوط خطوة أخرى نحو الجحيم ..
وقطب حاجبيه ، وصمت لحظة ، ثم استطرد :

— ستعلم من الآن كيف وقت في الشباك التي نصب لك ..

إن الملائين التي آلت إليك هي ملايين ، وقد كان الرجل الذي أورثك إياها عبداً من عيده ، كان عجل لا يتورع عن اغتصاب أموال البنائى وحقوق الآيات ، وبجمع المال بالطرق المشروعة وغير المشروعة ، فلن يحب المال ، واتحرر في لحظة من لحظات جحونته ..

إن الزوجة كالصقرية لا ينالها الإنسان هبة ، وإنما ينالها يستخدمها في وجوه الشر وفائدة البشر ، فإذا أفاد البشر من عقريتك وثروتك لا شيء إلا قلة ثاقبها وضيقها وقدمتها إلى الناس وسط ضجة مفتعلة .. ولم يكن لك مأرب إلا إرضاء شهوات نفسك ، ودرغبها في الشهرة ..

ثم إنك تزوجت ، طمعاً في الشهرة والظهور ، فكانت زوجة لم تصل إليها بر كذلك فاتتها بكارية ..

ذلك لأنك لم تتعذر على الله في شيء ، مما فعلت ، بل كان كل اعتقادك على نفسك وعلى ثروتك ، وكانت كل رغبتك إرضاء شهواتك الدينية ، وابنيان الصهاير بثروتك .
إنك أهنت نفسك صناعتك من دون الله ، ولهذا فقط وقع عليك اختياري لكي تسمع وترى ما لم يسمعه ولم يره إنسان قبلك ..

وقع عليك اختياري لأنك مثل بارز من أمثلة الأنانية التي تسود المجتمع البشري في هذا مصر ، فاعلم وعلم إخوانك البشر أن الأنانية من سمات ، وهي أحد الإنسان الذهب ريا ، ومن غافت الفضائل ، ومجدت الرذائل ، ونهض الشعرا ، والفلسفه يعلوون الناس الجحود والكفران ، فإن النهاية تصبح قريبة ..

لا تخدع نفسك أباها الرجل ، ولا تتصور أن ما ترى أضغاث أحلام ..

إنك في يقظة لا في حلم ، وهذا الكائن الذي تجده نفسك فيه الآن ليس الجنة ولا الجحيم ولا أى مكان بينهما ، ولكنه ركن من أركان العالم الذي يعيش فيه البشر ، وقد

رواية العدد القادم:

العدالة

تأليف الكتاب الكبير

دار ويك مانون

تعریف الأستاذ

شمس الدين الغرياني

آن لك أن تختار مصيرك ، فاما أن تعبد الله وإنما أن تعبد الشيطان ..
أنت الآن بارادة الله رأى ملائكة ، ولكن حذار أن تبني أنت بين البشر رجل
كثير الرجال ، أتقدم إلى الصغار والكبار والملوك والصالิก والطاء والجهة في
الصورة التي تطمن بها نفسهم ومبولهم الأئمة ، فاختار الآن مصيرك وكن خاصاً في
اختيارك ، ولا يحمل بالخوف سلطاناً على نفسك ..

اطلق بهذه الكلمات بصوت كالرعد ، وخيل إلى وأنا أنظر إليه أن هالة من الضوء
قد أحاطت برأسه الجليل ..

وازدحم في ذهني في تلك اللحظة جميع ما ارتضيت من الجرائم والاتام . وشعرت
بنفس شيئاً حظيرآ تافهاً بين العناصر الجبارية التي تحيط في فصرخت في صوت المعموم :
— سأطح اللهم .. الله وحده ..

عندئذ صعدت صوتنا عميقاً بعيداً بهتف : ارفع .. ارفع نحو السماء يا وسيف ..
لقد لفظك واحد من البشر .. ارفع قلبلاً . وانس بالهدى ساعة .
ارتفعت أوصالي . وذهبت أردد كالمجنون : الله .. الله وحده ..

وشعرت بقوى تخونني . وخيل إلى أن مسحابة مظلمة تمثلي عيني . وأنني أ فقد
سوابي بالتدريج ..

وكان آخر ما وعيته صوتاً رناناً يصبح بلحة الأمر :
— أحكروا وثاقه . واقتدوا به في ظلام الدنيا ..

الساعة

وجدتني عندما أفتحت على سطح باخرة يخفق عليها العلم الإنجليزي وقد أحاطتني بعض
البحارة وراحوا يخلون وثاق . ويدلّكون بدئي ووجهين ..

وما كدت أفتح عيني حتى انهالوا على بسيل من الأسئلة . عن أسمى . وكيف خطمت
في الباخرة . وأين زملائي . ولكن لم أفو على الكلام وعدت فأغمضت عيني ..

وحلّى البحارة إلى إحدى الغرف . وجاء طيب الباخرة العناية بي ، بفرعي شراباً

استترفت على أثره في يوم عميق . واستيقظت في اليوم التالي نشيط الجسم ولكن مشتت
بالحزن النفس ..

وأنبل قبطان الباخرة . وأعرب عن سروره بتجاهي . ثم قال :

— أنا نقرب الآن من سوهاجمبورون . ولا شك أنك ستركتنا هناك فهل أستطيع
أن أعرف اسمك ! إنه يندر جداً أن تتمكن بإحدى البوادر من إقاذ رجل غريق
في الأطلسيق ..

فهتفت :

— في الأطلسيق !

وعجيت أية قوه تلك التي قذفت بي من البحر الأبيض المتوسط إلى جوف الأطلسيق
ولكني لم أنشأ أطلاة التفكير . ولا استعراض الأهوال التي مرت بي قبل أن أفقد صوابي
قلت له :

— أسألك عن أسمى ؟

وخيّل إلى أن عشرات الأعوام قد انقضت منذ سمعت أسمى في الأفواه الآخر مرّة ..
قلت :

— أسمى جيوفري تبست :

فتح الرجل عينيه وقف بدهشة وهتف :

— جيوفري تبست .. يا إلهي .. مستر تبست الذي كان من أصحاب الملائين ٤٩
وهنا ملكتني الدهشة بدورى فهممت :

— الذي كان من أصحاب الملائين ؟ ! ماذا تعنى بكلمة (كان) ؟

— لم تسمع ؟ ألم تقرأ ؟

— كلا . لم أسمع ولم أرأ شيئاً منه غادرت إنجلترا قبل عدة شهور على سطح يعت
لأحد أصحابي . وقد تحطم بما يحيط . وأنت تعرف قيمة القصة . فإذا عندكم من الأنبياء ،
— يا إلهي . إنها أنباء سيئة . والأنباء السيئة تنشر بسرعة . ولهذا يدهشني أنها لم
صل إليك .

— بل أقدرها حق قدرها . وأعلم أنني أصبحت في نظر العالم رجلاً فقيراً .
فهز الرجل كتفيه ، ومضى في سبيله ، ولا شك أنه ظن أنني فقدت عقل حتى أتفق
ذلك الصدمة الشديدة بذلك المدهو وقلة الاكتتراث .

وصلت إلى إنجلترا أخيراً ، وكتبت الصحف عن وصولي ، ولم يدخل أحد شرك
في حكاية الخط التي سررتها وبررت بها وجودي في عرض الأطلسي ..
وعلى آخر وصولي إلى لندن ، قابلت مدير البوليس وقت له أنه متازل عن جميع
حقوق قبل (بتهم) و (أليس) لأنني أعتقد أن الثروة التي اختلاها كانت لعنة على .
وأن هذه العنة قد تحولت إليهما .

وجاءتني في اليوم التالي رسالة من المورد اليتون ، يسر لي فيها بمحنة فاترة عن
الله لصائين ، ويدعوني للإقامة معه في قصر ويوزمير ، وحضور حفلة زفافه على الآلة
ديانا شيرلي . ولتكن أرسلت إليه اعتذر عن قبول الدعوة ، ولم يدهشني أن أقرأ في
قائمة المدعون إلى تلك الحفلة التي شررت الصحف تفاصيلها اسم البرنس (لوسيوريانز)
وحدث في تلك الأثناء أن نيش أحد القادة كتاب الذي كنت أصدرته منذ شهور
ولا أعلم أى خير وجد فيه فكتب عنه مقالاً منافقاً جعل الناس يتذمرون على ابنياءه ،
وساعد على رواج الكتاب ما كتبته الصحف عن الكوارث التي تلت في ، وكانت النتيجة
أن أرسل إلى ناشر الكتاب تحويله ببلغ مائة من الجنيهات قال إنها نصيبي من الأرباح
وطلب مني أن أرضع له في إعادة طبع الكتاب ..
ولا أحدث القارئ عن اغتابطي بهذا المبلغ ، فقد كان سروري به لأنني درسته
بكمي وعصارة ذهني أضعاف سروري باللليدين الحسنة .

وند استأجرت غرفة متواضعة أفت فيها وحدى بعزل عن جميع الناس وشرعت
أجريب حظي من جديد في ميدان الأدب .

وظهرت على وجهه علام الدهشة والحزن فابتسم وقال :
— تكلم .. قل ما عندك . وثق أن شيئاً في الوجود لم يعد يحزنني أو يسرني .
فنظر إلى في شرك وارتياه .. ثم تركي ومضى وعاد بعد لحظة يحمل جريدة أمريكية
قدم إلى الجريدة وأشار فيها إلى عدة مطمور كتب بالحروف الكبيرة فتناولت
الجريدة وقرأت في تلك السطور (مليونير يفقد ثروته) — حادث تزوير هائل — البحث
عن الخاسرين منهم وليس)

وهنا سمع رأسى وشعرت بدورار ولكنني واصلت القراءة . وعلمت من أنها الجريدة
آن الخاسرين المترمين اللذين أتمتهم على ثروتي قد قلدا انتقامي . واستطاعوا سحب
جميع أموالى من البنك وإن البنك لم يفطن إلى هذا التزوير إلا بعد قوات الوقت .
وأن التحقيق دل على أن الخاسرين أضاعوا في الضاربات أكبر قسم من الثروة التي حصلوا
عليها بالتزوير .

قرأت هذا النبأ مني وثلاث . ثم أقيمت الجريدة جانباً . وقلت للقططان :
— شكرآ لك . إنك كنت وضعت ثقتك في هذين اللصين . ولتكن أؤكده لك أنني
آسف لأجلهما أكثر من أسف لأجل نفسي ، لأن الفص دائمًا لص . أما الرجل الفقير
فإنه أفضل من الفص ما دام أميناً .

إن الثروة التي سرقها لن تجلب عليها غير الشقاء . أنا واثق من ذلك . وإذا صحت
آرائي ، هذه الجريدة فانهـما يكونـان قد أضاعـا فـعلـا كلـ الثـروـة أوـ الشـطـرـ الأـكـبـرـ مـنـهـاـ .
ومن الحزن هنا أن يضيع وجـلانـ مـاهـرـانـ مـثـلـهـماـ كلـ وـقـتـهـماـ فيـ زـوـرـ إـمـنـاـقـ وـتـدـيدـ
ثـروـتـهـ مـعـ طـائـلـ .
ومـهـماـ يـكـنـ مـنـ أـمـرـ فـانـاـ غـيرـ آـسـفـ طـلـ شـيـءـ ، وـالـهـمـ الآـنـ أـبـدـاـ حـيـانـ مـنـ جـدـيدـ
هـذـاـ كـلـ مـاـ فـالـأـمـرـ .

فنظر إلى الرجل في دهشة وقال :
— لا أظن أنك تقدر مدى خسارتك يا مـسـٹـرـ تـمبـستـ !
فأـبـجـتـ وـأـبـتـسـمـ :

وكانت حوادث المأسى القريب زرجم في علائق في بعض الأحيان فاطرحتها جانب
الانصراف إلى العمل .

وقت أحد الأيام جاءتني رسالة من ماقير كلير عن طريق ناشر كتابي وقد قالت لي في هذه الرسالة إنها على طريق الصدفة أتيت إلى إنجلترا .. وأنها سرها أن هنالك شجاعي الذي ترجو أن يعززني عن فقدان نوروني ، وتدعوني إلى زيارتها في ديلوزير حين آجد في قوى القدرة على نسيان ذكريات تلك اللقعة .

وقد زارت هذه الرسالة على قلبي كأنها البلسم الشافي وكانت إليها في الحال أشكر اهتماماً بأمرى ، وذهاباً بالزبارة في أقرب فرصة .. وإنى في طريق لأنقذ نوروني في سندوق الخططيات إذا في أتنق وجهأً لوجه فمنعطف الطريق ... بلوسيل .. هانبر ..

كان كعهدى به جمال اللهم باعر العينين على وجهه المتعف علامات الخروء والكبرياء والاحقار ..

لمع عيناه عند عمار آنى ، وارتسمت على وجهه ابتسامة ، شعرت عندها كأنه قد
يكف عن الحركة ، ولكن أسرعت فتلمست رسالة ماقير كلير في جيئ كاتعاً لنفسها
الواقية من شر دائم .. وأاطرقت برأسى .. وخففت للسير .. ففهم .. وأفسح لي الطريق فثبتت في سيل
وأنا أردد اسم الله ، ولا أحسر بالنظر عنة أو سرقة ..

(انت)

١- ج. لة الفـ كـ اـ هـ رـ قـ

«اضحك»

تصدر صباح الاثنين من كل أسبوع